الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي – تيسمسيلت

معهد الآداب و اللغات

قسم اللغة والأدب العربي

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل.م.د)

تخصص: صوتيات عربية

موسومة بـ:

الوظيفة الإبلاغية لدلالة الصَّوت اللغوي في الخطاب المسجدي

إعداد الطالبة:

دلال عودة

إشراف الأستاذ الدكتور:

-أ.د: بن فريحة جيلالي

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د بوعرعارة محمد	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي -تيسمسيلت
أ.د بن فريحة جيلالي	أستاذ التعليم العالي	مقررا	المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي -تيسمسيلت
أ.د عرابي أحمد	أستاذ التعليم العالي	ممتحنا	جامعة ابن خلدون - تيارت
أ.د رزايقية محمود	أستاذ التعليم العالي	ممتحنا	المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي -تيسمسيلت
أ.د عزوز ميلود	أستاذ التعليم العالي	ممتحنا	جامعة ابن خلدون - تيارت
د. غربي بكاي	أستاذ محاضر –أ-	ممتحنا	المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي -تيسمسيلت

السنة الجامعية :

1440هـ/1441هـ- 2019م/2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا

شكر وعرفان

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾[الأحقاف:15]

- لك الحمد ربِّي والشكر والثناء كلّه على نعمة التوفيق.
- للوالدين الكريمين حفظهما الله ورعاهما وأطال في عمريهما، فأنتما أهل الشكر وخاصته شكرًا على صبركما وطول انتظاركما، لولا بركات دعواتكما ما وفقت كلّ هذا التوفيق ففرحتكما تسبق دائمًا فرحتي.
- أشكر أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور بن فريحة جيلالي الَّذي شرفني بإشرافه، وكان نعم المعلِّم والموجّه والمرشد طوال مراحل البحث.
- شكراً خاصًا وخالصًا للمدقق اللغوي الدكتور: غربي بكاي على التصويبات والتوجيهات فلم يفته حرف ولا كلمة إلاَّ وأعطى رأيه.
- لأخي العزيز وسندي عبد القادر وزوجته، كلمة الشكر لا توفيكما حقكما فقد كان لكما فضل إتمام هذه الرسالة بما وفرتماه لي من رعاية وعناية.
- للصديقة وأي صديقة كنز من الكنوز المفقودة: فتيحة شداد شكراً على النقاشات المفيدة على التصويبات وعلى كلّ المواقف الجميلة.
- شكراً لكلّ من قدَّم لنا خدمة من قريب أو من بعيد.

لكم مني خالص المودَّة والشكر والتقدير، أسأل القدير الجزاء الجزيل والعطاء الوفير في الدارين.

دلال عودة(سعيدة)

إهـــــــداء

❖ **لكما**: أمي وأبي هدية بسيطة أقدمها: فرحة تغمركما بتخرج بُنَيَّتِكما الَّتي تسعى دوماً لتنال رضاكما، وتُدخل السرور والبهجة إلى قلبيكما، أمدَّكما الله بالصحَّة والعافية وطول العمر.

❖ **إليكم**: أحبّاء قلبي إخوتي وأخواتي أيُّ فرحة من دونكم لا تساوي شيئاً.

❖ **إلى**: من أعطوا وأجزلوا بعطائهم، ونلت ثمار تعبهم وجهدهم أساتذتي المحترمين من أوَّل مراحل تعلُّمي إلى اليوم.

❖ **إلى**: كلّ الزملاء والأساتذة والصديقات بالمركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي تيسمسيلت.

❖ **إلى**: كلّ من جدَّ واجتهد في سبيل طلب العلم لا يبتغي من ورائه سوى وجه الله سبحانه وتعالى.

دلال عودة(سعيدة)

مقدمة

تعدَّدت وتنوعت الدِّراسات الَّتي تروم الغوص في النصوص اللغوية وسبر أغوارها، ويكثر الخوض في النصوص الشعرية بنسبة أكبر مقارنة ببقية الأجناس الفنية، وينافسها في ذلك وبتفوق الدِّراسات الَّتي تبحث في النَّص القرآني، وقلَّما نجد التوجه للخطب المسجدية بالرغم ممَّا تنفرد به من أهميَّة؛ حيث يجمع هذا الخطاب شواهد وحجج وبراهين من آي الذكر الحكيم وأحاديث نبوية شريفة وحكم وأمثال وأبيات شعرية ما يجعل الأذهان له صاغية.

يُضاف إلى ذلك قلَّة الدِّراسات الَّتي تقدم تحليلاً فونولوجيّاً لمختلف النصوص شعرية كانت أو نثرية ناهيك عن الخطب المسجدية؛ حيث يُظهر التحليل الفونولوجي مدى أهميَّة الجانب الإلقائي المميز في نجاح الرسالة الإبلاغية الملقاة على عاتق الخطيب، ثمَّ إنَّ الاهتمام بالأصوات اللّغوية ليس أمراً جديداً؛ وإنَّما هو قديم قدم الإنسان، فقد اهتمَّ به القدماء من هنود ويونان وعرب، وتميَّز العرب في مجال الدِّراسات الصَّوتية بصفة خاصة؛ لارتباط مباحثه بالنطق الصحيح لآي الذكر الكريم.

وقد أشاد بعض الباحثين الغربيين بجهود العرب في علم الأصوات، بالرَّغم من قلَّة الإمكانيات، وعدم وجود أجهزة كالمتوفرة في العصر الحديث في مجال الصوتيات التجريبية نحو ما أشار إليه "برجشتراسر" الألماني أنَّه لم يسبق الغرب في البحث الصَّوتي إلاَّ قومان من أقوام الشرق وهما الهنود والعرب، ونحو ما جاء به "فيرث" أنَّ علم الأصوات قد نما وشبَّ في خدمة لغتين مقدستين هما السنسكريتية والعربية.

نشأت الدّراسات اللّغوية العربية وعلم الأصوات في أحضان لغة القرآن الكريم عن طريق أدائه وتجويده، فقدمت الحضارة العربية رواداً عمالقةً أمثال: الخليل وسيبويه وابن جني، وابن سينا والخفاجي وابن الجزري وغيرهم، حيث يتيح حسن المتابعة لسلسلة المقاطع الصوتية إيقاعاً معيناً ومدلولات مختلفة تبعاً للمقام، فمحاكاة اللّفظ للمعنى، والتّلاؤم والفصاحة والجمالية نابع لا محال من حلاوة الأداء وجمال الإيقاع، فتظهر بذلك أهميَّة الصَّوت اللّغوي في أداء الوظيفة الإبلاغية في الفن الخطابي من حيث أنّ الوظيفة الإبلاغية تقوم على خاصيتي التأثير والإقناع المنوطة بها، ذلك أنَّ المرسل يحمل

على عاتقه مسؤولية استمالة الجماهير وتحفيزهم، أو تغيير أفكارهم وتوجهاتهم وتصرفاتهم، وتظهر بذلك أهميّة الوظيفة التواصلية بالموازاة مع الإبلاغية نظراً لاشتراكهما في عناصر التواصل : (المرسل –الرسالة– المتلقي).

من هنا جاء عنوان بحثنا الَّذي وسمناه بـ: **الوظيفة الإبلاغية لدلالة الصَّوت اللّغوي في الخطاب المسجدي**، وذلك للبحث عن أجوبة لإشكال رئيسي هو: **ما مدى أهميّة الصّوت اللغوي في أداء الوظيفة الإبلاغية في الخطابات المسجدية؟** يتفرع عن هذا الإشكال عدَّة تساؤلات منها: ما المقصود بالإبلاغية؟ هل يمكن عدُّها وظيفة قائمة بذاتها؟ ما هي القيم التعبيرية التي يحملها الصّوت اللغوي وتؤدي وظيفة إبلاغية؟ بمَ تقاس فاعلية الخطاب المسجدي؟

هذا والغاية من بحثنا إيجاد إجابات للإشكالات الَّتي سبق طرحها، وتقديم دراسة نوعية من ناحية التحليل المطبَّق (الصَّوتي)، ومن ناحية النماذج الخطابية المنتقاة، هذا إضافة إلى أنَّنا رأينا أنَّ هناك نقصاً كبيراً فيما يخص الأبحاث التي تتناول علم وظائف الأصوات، والحاجة الماسَّة لدراسة القيم التعبيرية والدَّلالية للصَّوت اللغوي من ناحية أداء الوظيفة الإبلاغية، ومع ذلك لا ندَّعي أنَّ الساحة العلمية قد خلت من دراسات من قبيل هذا النوع، وإنَّما هناك دراسات سابقة منها صوتية بحتة وأخرى تناولتها بالتطبيق التحليل الصَّوتي على بعض آي الذكر الحكيم نذكر منها:

التغيرات الصَّوتية وقوانينها (المفهوم والمصطلح) لصلاح الدين سعيد حسين، الصَّوت اللغوي في القرآن لمحمد حسين علي الصغير، أثر الاستبدال الصَّوتي في التعبير القرآني لخميس فزاع عمير، أثر القوانين الصَّوتية في بناء الكلمة لفوزي الشايب، الحذف الصَّوتي في القرآن الكريم لليث أسعد عبد الحميد، الخصائص الصَّوتية لقبائل وسط الجزيرة العربية وشرقها من خلال القراءات القرآنية لقبارى محمد شحاتة، الدِّراسات اللهجية والصَّوتية عند ابن جني لحسام سعيد النعيمي، وغيرها من الدِّراسات الصّوتيات.

وقد اخترنا المنهج الوصفي التحليلي، والتحليل الصَّوتي بالذات المناسب لموضوع البحث مقسمين البحث لثلاثة فصول يسبقهم مدخل معنون بـ: اللغة والوظيفة الإبلاغية؛ تحدثنا فيه عن اللغة وأهميّتها مذ خلق الله –سبحانه وتعالى– آدم –عليه السلام– ثمَّ انتقلنا إلى اللغة والاستعمال هذا قبل البحث عن وظائف اللغة ابتداءً بتحديد تعريف الوظيفة، لنلج بعد هذا إلى الحديث عن الإبلاغية الماهية والتعريف، ونختم مدخلنا بأهمِّ القضايا الَّتي تتواشج مع الإبلاغية، وأمَّا محتوى الفصول فجاء على النحو الآتي:

– **الفصل الأوَّل** عنوانه: الصَّوت اللّغوي ودلالته الوظيفية، يندرج تحته عدَّة عناوين تخدم الفصل ابتداءً بتعريف الصَّوت على العموم، ثمَّ الصَّوت اللّغوي ماهيته وتعريفه استناداً إلى ما جاء به علماؤنا وأهل الاختصاص في هذا المجال، ثمّ التفريق بين الصَّوت والحرف.

لننتقل بعد هذا إلى المراحل الَّتي يمر بها الصَّوت اللّغوي، انطلاقاً من تفرعات علم الأصوات (الفسيولوجي، الأكوستيكي، والسَّمعي)، ثمَّ مخارج أصوات اللّغة العربية وصفاتها، بعد هذا انتقلنا إلى تصنيف الأصوات اللّغوية، لنلج إلى علم وظائف الأصوات (الفونولوجيا) بالتعريف، وطبيعة المركبات الفونولوجية، ابتداءً بالمقطع الصَّوتي وأقسام المقطع اللّغوي، ثمَّ تعريف النَّبر وقواعده، وأهمية النَّبر ووظائفه.

يليه تعريف التنغيم، والوظائف الدَّلالية للتنغيم، ثمَّ تكرار الصَّوت اللَّغوي ووظيفته الدَّلالية لنذهب بعد هذا إلى تعريف الوقف والابتداء أنواعه وأهميّته، بعد ذلك انتقلنا إلى الحديث عن الفواصل (الفاصلة القرآنية)، نظراً لأهميتها الصَّوتية والدَّلالية، وعلى اعتبار أنَّ اللّغة نظام تتواشج عدَّة مستويات داخل نظامها، والفونولوجيا واحد من الدَّراسات الَّتي تتواشج مع مستويات اللّغة لذلك تطرقنا للفنولوجيا ومستويات اللّغة.

بعد هذه النقاط تطرقنا إلى اختلاف اللهجات العربية والنظام الصَّوتي، وجاء الحديث فيه عن بعض الاختلافات في الجانب الصَّوتي للغة المتداولة، وذلك لوجود فوارق لهجية يتمكّن المتلقي من خلالها التفريق بين ابن المنطقة من الغريب عنها، ترجع في أغلبها لعادات نطقية متوارثة لها جذور قبلية مذ كانت اللّغة صافية من منابعها، هذا لنصل الحديث عن اللهجات بالعيوب النطقية والتغيرات الفونيمية، وختمنا فصلنا بخلاصة عامة.

- **الفصل الثاني عنوانه**: الخطاب والخطابة؛ بدأناه بتوطئة عن تنوع الكلام بين النثر والشعر ثمَّ مفهوم الخطاب وأنماطه؛ على اعتبار أنّ الخطب الّتي انتقيناها تتنوع بين المدونة والمسجلة، ثمّ تعريف الخطابة وتاريخها ابتداء بالعصر الجاهلي، ثمَّ الخطابة في صدر الإسلام، وعادات العرب في الخطابة، لنصل إلى الحديث عن الخطابة في العصر الحديث وتصنيفاتها.

وتوجهنا بعد ذلك إلى الحديث عن علم الخطابة ومقوماته، يليه مكونات الخطبة وأسلوبها، ثمَّ شروطها وموضوعاتها، لنعرج بعد ذلك إلى شروط الخطيب وآدابه مع السَّامعين، ثمَّ قواعد الإلقاء الجيِّد، بعد ذلك فوائد الخطابة وأهدافها، وختامُ الفصل خلاصته.

- **الفصل الثالث**: عنوانه الإبلاغية في الخطب المسجدية - دراسة تطبيقية لدلالة الصّوت اللغوي؛ يُفتتح هو الآخر بتوطئة، ثمَّ الخطاب المسجدي والهيئة الوصية، وتوجيهات الدَّليل الوطني للخطيب، على اعتبار أنَّه ينطوي على تعليمات في غاية الأهميَّة، لا يمكن أن يعدَّ الشخص المكلف بالخطب إماماً خطيباً إنْ لم يكن على دراية واطلاع تام بكلِّ التوصيات، والمسؤوليات الملقاة على عاتقه من قبل السلطة الوصية، هذا قبل أن نتوجه إلى سبر أغوار القيم التعبيرية والدَّلالية للصَّوت اللّغوي، وذلك انطلاقاً من خطب منتقاة بعناية بعد الاستقصاء والتمحيص في النماذج التي تخدم موضوع البحث.

فبدايةُ التحليل الصَّوتي: مدُّ الصَّوت وتكرار المقاطع الصَّوتية ودلالته الإبلاغية، يليه الوقفة الاضطرارية لغاية إبلاغية، ثمَّ تشخيص لبعض العقبات الّتي تخلّ بالوظيفة الإبلاغية كالتلعثم، بعد ذلك كفاءة الخطيب اللّغوية والإلقائية ودورها في الإبلاغية، ثمَّ نبر الجُمل –دلالة التنغيم وإبلاغيته لننتقل بعدها إلى توظيف الشواهد ودورها في التأثير والإقناع، والفواصل الصَّوتية ودلالتها الإبلاغية ثمَّ استمالة الحاضرين بحسن التدرج في العرض، وحسن الافتتاح ودلالته الإبلاغية، لنذهب بعد هذا إلى أهميَّة الاختيار الصائب لموضوع الخطبة، ثمَّ التشويق في العرض ووظيفته الإبلاغية.

انتقلنا بعد ذلك إلى الحديث عن خطب المناسبات؛ ابتداءً بالإبلاغية في خطب المناسبات الدينية، اخترنا خطبة عيد الفطر لأبي بكر جابر الجزائري من مسجد قباء بالمدينة المنورة، وهي –خطبة– منتقاة من مؤلفه الّذي ضمّ جميع الخطب التي ألقاها في ذلك المكان المبارك عُنوانه (الخطب المنبرية)، ثمَّ الإبلاغية في خطب المناسبات الطارئة تخيّرنا هنا خطبتين: خطبة الكسوف وخطبة الاستسقاء من مؤلف الخطيب نفسه.

يليه الإبلاغية في خطب المناسبات الوطنية انتقينا خطبة بمناسبة الدخول المدرسي بعنوان: (الصبر في طلب العلم جهاد ومراقبة الأبناء مسؤولية الأولياء)، وأخيراً الإبلاغية في خطب المناسبات العالمية، وعلى اعتبار أنّه في نهاية كلّ سنة، وبداية أخرى يحتفل العالم بالمناسبة تخيّرنا لهذا خطبة بعنوان (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا)، والخطبتان–الوطنية والعالية– لعبد الحميد مهدي من مؤلفه (خطب الجمعة –الأعياد والمناسبات الدينية والوطنية والدولية)، وختام هذه الرسالة خاتمة حملت زبدة البحث وإجابات عن الإشكالات الَّتي سبق طرحها.

ولا يفوتنا أنَّ نشير إلى أهم المصادر والمراجع الَّتي خدمت الموضوع وسهَّلت البحث بشكل كبير نذكر منها: أسباب حدوث الحروف لابن سينا، سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي جواهر البلاغة للهاشمي، البيان والتبيين للجاحظ، التحديد في الإتقان والتجويد للدّاني، النشر في القراءات

العشر لابن الجزري، العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، الخصائص لابن جني، إضافة إلى عدَّة تفاسير كتفسير ابن كثير وتفسير الجلالين وتفسير السَّعدي هذا فيما يخص أمات الكتب.

أمَّا فيما يخصّ المراجع فقد كانت خزائن اللغة والأدب جدّ ثرية وكريمة فما بخلتنا من وافر ما أمدَّته لنا من مادة انتقينا منها ما يخدم موضوع بحثنا منها: دراسة الصَّوت اللغوي لعمر مختار عمر نبر الكلمة وقواعده في اللغة العربية لعبد الحميد زهيد، البحث اللغوي عند إخوان الصفا لأبي السعود أحمد الفحلاني، اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان، الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس، الخطابة –أصولها– تاريخها في أزهى عصورها عند العرب للإمام محمد أبي زهرة، ديوان خلاصة الأدب في كفاية الخطباء من الخطب لحسن محمد الرفاعي، الخطب المنبرية لأبي بكر جابر الجزائري، خطب الجمعة لعبد الحميد مهدي، وغيرها من المراجع المهمَّة.

إضافة إلى دوريات ورسائل علمية وروابط إلكترونية، وخطب ودروس مسجلة لأئمة ولاية تيسمسيلت وما يجاورها، تمكنت من الحصول عليها بالاتصال بمديرية الشؤون الدينية ودار الثقافة فانتقيت منها ما رأيت أنّه يخدم موضوع البحث، ولا يفوتني أن أشير إلى أنَّني كنت أمام كمٍّ هائل من المصادر والمراجع، والروابط الالكترونية بقدر ما سهَّلت العمل والتدرج فيه بقدر ما أرهقتني كثرتها وجمع المادة منها مع الحيطة قدر المستطاع في ألاّ تفوتني معلومة تخدم الموضوع وضبطها جميعاً تحت خطة مناسبة.

ومن العوائق والصعوبات الَّتي تلقيناها: اختيار عنوان قيم يليق بأطروحة تخرج ننال من ورائها درجة الدكتوراه، ثمَّ ضبط صياغة مناسبة للعنوان تتجلَّى معالم البحث من خلالها، يليه الكمّ الهائل من المعارف في مقابل خطة مناسبة تضبط وتحوي المادة العلمية مع احتساب الدَّقة العلمية، واجتناب الإطناب والحشو الممل أو الإيجاز المخل قدر المستطاع.

ومع ما لقيته من عناية وتوجيه وتيسير كلّ الصعاب من قبل الأستاذ المشرف: أ.د بن فريحة الجيلالي، إضافة إلى تتبعه لكلِّ خطوات البحث، والتصويب والتقويم في آجال محدَّدة ساعدني كثيرا في السَّير قُدماً بالعمل والاجتهاد أكثر، فجزاه الله عني خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

هذا وأرجو أنَّني قد وُفِّقت بالقدر الَّذي يرضي أساتذتي، وكلّ من أحسن الظن في شخصي الضعيف، وما التوفيق إلاَّ من الله العزيز القدير نحمده ونشكره ونثني عليه الثناء كلَّه.

بتاريخ: 16 أفريل 2019م الموافق لـ: 11 شعبان 1440هـ

الطالبة: دلال عـــــودة

المدخل: اللغة والوظيفة الإبلاغية

- اللغة والاستعمال
- الوظيفة الماهية والتعريف
- وظائف اللغة
- الإبلاغية الماهية والتعريف
- قضايا لغوية متواشجة مع الإبلاغية

توطئة:

تؤدِّي اللّغة دوراً مهمًّا في الحياة الإنسانية، وفي التَّواصل الاجتماعي لا تدانيها في ذلك أيَّة وسيلة أخرى من وسائل التَّواصل الإنساني؛ كالرُّموز، والإشارات، والصُّور، والرسوم وغيرها، فقد كرَّم الله –عزَّ وجلَّ– الإنسان باللّغة فقال عزَّ من قائل:﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ القُرْآنَ خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ البَيَانَ﴾[الرحمن:01-04]؛ أي علَّمه الإبانة والإفصاح اللّغوي عن طريق النُّطق.

فمنذ خلق الله –تعالى– " آدم" –عليه السَّلام– جعله ناطقا متكلِّما فصيحا؛ علَّمه الأسماء كلَّها بجميع اللّغات: العربية، والفارسية والسريانية والعبرانية وغير ذلك من سائر اللّغات، قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[البقرة:31]، فكان "آدم" وولده يتكلمون بها إلى أن تفرَّقوا في الدنيا، وعلق كلّ واحد منهم بلغة من تلك اللّغات غلبت عليه واضمحلّت عنه ما سواها.[1]

فأوَّل شيء تلقاه "آدم" من ربِّه هو تعلُّم النطق بمسميات الأشياء الَّتي من حوله، والَّتي بالضرورة هو جاهل لها، هذا لعلم العليم أنَّها ضرورة ملحَّة، وأنَّها الوسيلة الَّتي بها –اللغة– يقضي حوائجه، و((لما كان التبليغ أو التفاهم أمراً ضروريّاً لقيام المجتمع، فإنَّ الفرد يضطر إلى التعبير عن أفكاره في قوالب اجتماعية معروفة لدى جميع النَّاس.))[2] وهذا بطبيعة الحال بالتواتر والتوارث من خلال التعامل مع بعض والاحتكاك والتأثير والتأثر، وهو ما يُعرف في الدِّراسات اللغوية بالاكتساب.

---

[1]– ينظر: أبو السعود أحمد الفحلاني، البحث اللغوي عند إخوان الصفا، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، (1411هـ/1991م) ص:39.

[2]– بن فريحة الجيلالي، الوظيفة التواصلية للغة في التراث العربي (مقال)، كتابات معاصرة فنون وعلوم، مجلة الإبداع والعلوم الإنسان ع.78، المجلد 20، (تشرين الأول–تشرين الثاني 2010م)، ص:88.

في هذا يقول "البويربي": ((اللّغة شأن خطير في حياة النَّاس، فهي بصورتها المكتوبة المسموعة بمكانة القلب من جسم الحضارة الإنسانية، فلا يمكن أن تقوم حياة اجتماعية بلا لغة، ولا شك أنَّ تجريد المجتمع الإنساني من اللّغة بمثابة الحكم عليه بالإعدام.))[1]

من هنا يمكننا أن نعدِّد للّغة أدواراً لعلَّ أهمَّها: التَّواصل وإقامة علاقات اجتماعية، المؤانسة والإمتاع، تبادل الأفكار والمعلومات والآراء، تبادل الأحاسيس والمشاعر والتَّعبير عنها، التَّسجيل والتَّوثيق وحفظ تراث الأمَّة وتاريخها وغيرها، إذن اللّغة ليست أداة أو وسيلة للتخاطب والتَّفاهم والتَّواصل فحسب، وإنَّما هي وسيلة للتأثير في العالم وتغيير السلوك الإنساني من خلال مواقف كلِّية.[2]

توجَّب على لغة كلِّ متحدث ((أن تكون لغة وسطى، لا هي باللغة السوقية ولا هي باللغة الغريبة التي يظهر فيها التكلّف والتصنّع والغموض، بحيث تكون قادرة على التواصل مع كلِّ طبقات المجتمع من دون أن يفقد هذا التواصل اللغوي أدبيته وشعريته.))[3]

ونقصد بالضرورة متكلِّماً يوجّه كلامه لجَمْع من الحضور مختلفي الطبقات والفئات العمرية والمستويات الثقافية؛ لغرض تبليغ رسالة ما إضافة إلى أنَّها –اللغة–من نعم الله –تعالى– الَّتي أنعم بها على عباده ليكونوا بها قادرين على ذكره ومناجاته وأداء غيرها من الطاعات والعبادات الَّتي تكون اللّغة فيها سيِّدة الموقف قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُوْنِ﴾[الذاريات:56].

---

[1]– عبد الرحمن أحمد البويربي، اللغة العربية أصل اللغات، دار الحسن للنشر والتوزيع، عمان الأردن،(د ط)،(1419هـ/1998م) ص:26.

[2]– ينظر: أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، (1991م) ص:06.

[3]– حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان ط1 (1435هـ/2014م)، ص:50.

لم تعرف لفظة (اللّغة) طريقها للظهور بين مفردات العربية، إلاَّ بعد انتهاء القرن الثاني الهجري مع عصر التدوين؛ فقد أطلقت آنذاك على ما جمعه الرواة من البادية؛ عن العرب الفصحاء بعد فُشو اللّحن، أي في نواحي القرن الرابع بعد انتشار التصنيف في اللّغة وتمايز علوم العربية فصار صاحب اللغة يعرف بها، [1]وجاءت أوَّل مرة في شعر "لصفي الدين الحلي" في قوله: [2]

بِقَدْرِ لُغَاتِ المرْءِ يَكْثُرُ نَفْعُهُ *** فَتِلْكَ لَهُ عِنْدَ المِلمَّاتِ أَعْوَانُ

تَهَافَتْ علَى حِفْظِ اللّغَاتِ مُجَاهِداً *** فَكُلُّ لِسَانٍ فِيْ الحَقِيْقَةِ إِنْسَانُ

وفي القرآن الكريم عُبِّر عن (اللّغة) بلفظ (اللّسان) في قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِياًّ لِّيُنذِرَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِيْنَ﴾[الأحقاف:12]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوْحُ الأَمِيْنُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُوْنَ مِنَ المنْذِرِيْنَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِيْنٍ ﴾[الشعراء:193-195]، ومن اللَّطيف أن يُنسب للدِّراسات اللّغوية الحديثة ما أصبح يُعرف باللّسانيات والألسن بدل لغويات ولغات.

فاللّسان ((أداة يظهر بها حسن البيان، وظاهر يخبر عن ضمير، وشاهد ينبئك عن غائب وحاكم يفصل به الخطاب، وناطق يردّ به الجواب، وشافع تدرك به الحاجة، وواصف تُعرف به الحقائق، ومعزّ ينفى به الحزن، ومؤنس تذهب به الوحشة، وواعظ ينهي عن القبيح، ومزيِّن يدعو إلى حسن، وزارع يحرث المودَّة، وحاصد يستأصل الضَّغينة، وملهِ يُنِقُ الأسماع.))[3] ولذلك فإنّ اللّسان في اللسانيات الحديثة هو النظام التواصلي للّغة.

[1]- ينظر: عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطور، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، (1400هـ/1980م)،ص: 24.

[2]-ديوان صفي الدين الحلي، دار صادر، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص:669.

[3]- الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط7، (1998م)، 75/2.

يمكن اعتبار النظام الَّذي يربط علاقات النَّاس ببعض نظام (التواصل)، والَّذي تعتبر فيه ((اللّغة كيانا اجتماعيا خاضعا لمنطق التَّبادل المعرفي عن طريق الأصوات اللّغوية))[1]؛ فالأصوات اللغوية هي اللبنات الأساسية في البناء اللغوي، ومعلوم أنَّ اللغة ((أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم.))[2]

يربط "ابن جني" (ت.393هـ) تعريفه للغة بالجانب الأدائي الَّذي يظهر في الأصوات اللّغوية الَّتي يعبر بها كلّ قوم عن حاجاتهم، فتتجلَّى لنا وظيفة التَّواصل الَّتي طبعت بها اللَّغة، والَّتي تقتضي مُلقياً ومتلقياً ورسالةً، وهي أهمّ عناصر التواصل اللّغوي في الدِّراسات الحديثة الَّتي تطرق لها "فرديناند دي سوسير"(Ferdinand de Saussure)(1857، 1913م) بما يعرف بـ (الدَّورة الكلامية) أي تبادل الأدوار بين طرفي العملية التواصلية الباث والمتلقي تكون الرسالة الوسيط المشترك بينهما.

نجد أيضا "ابن سنان الخفاجي" (ت. 466هـ) يشير إلى تواصلية اللّغة واجتماعيتها محاكياً بذلك طرح "ابن جني"(ت.393هـ) حيث يقول: ((الكلام غير مقصود في نفسه وإنّما احتيج ليعبر النّاس عن أغراضهم ويفهموا المعاني الّتي في نفوسهم.))[3] أي أنَّ الكلام وسيلة للإفصاح عن المضمر في النفوس، والكلام عن الكلام صعب كما قال أبو حيان التوحيدي، غير أنَّنا لا نقصد هنا دراسة الكلام في حدِّ ذاته بقدر ما نروم الإحاطة بعميلة التواصل ككل متكامل.

فأصوات اللّغة تحيط بنا من كلّ مكان؛ إنَّنا نستعملها، ونسمعها ونستمتع بها... فإذا كان من الممكن لشخص أن ينقل رسالة لآخر بطرق غير الكلام مثل: الكتابة، أو استخدام مرآة عاكسة أو التلويح براية، أو استخدام الإيماءات والإشارات، فمن الثابت أنَّ لغة الحديث هي أهمّ وسائل الاتصال الإنساني، فمتوسط ما ينتجه الشخص من حديث أكثر بكثير ممَّا ينتجه من كلام مكتوب

[1]- هامل شيخ، التواصل اللغوي في الخطاب الإعلامي من البنية إلى الأفق التداولي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1 (2016م)، ص:22.

[2]- ابن جني أبو الفتح عثمان بن بحر، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة، القاهرة، مصر،(د ط)، (د ت) 33/1.

[3]- ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1،(1982م)، ص:220،221.

ومن إيماءات وإشارات، ذلك أنَّ كلّ النَّاس يتفاهمون عن طريق الأصوات الكلامية[1]، بينما الكتابة أو الكلام المكتوب لا يشترط فيه في الأغلب التواصل، أو بالأحرى حضور المتلقي وتبادل الكلام كتابيا بل من غير المعقول ذلك، وفي المقابل تساعد الإيماءات وإشارات الجسد المتحدث على بلوغ المقصد من كلامه، ((فالصَّوت هو آلة اللفظ والجوهر الَّذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلاَّ بظهور الصّوت.))[2]

تُسهِّل لغة الرموز على النَّاس توصيل المعلومات والحصول عليها، ولكن فهمها لا يتمُّ إلاَّ بترجمتها للذِّهن بالكلام، ولو أراد شخص أن يشرح سبب وقوفه عند إشارة المرور الحمراء لقال: وقفت لأنَّ معناها (قف)، وتختلف هذه الكلمة في كلّ لغة بحسب أشكال حروفها، أمَّا المعنى فواحد وهو الأمر بالوقوف، فقد سارت اللّغة الرّمزية أو الرّموز التعبيرية جنبا لجنب مع اللّغة المنطوقة...لكن لغة الكلام سبقت لغة الرّموز؛ وإلاَّ فكيف نفسر عناصر الرّموز؟ فيجب أن يعرف النَّاس قبل وجود طبول الحرب معنى كلمة طبل وحرب وعدوّ، وأن يعرفوا قبل إقامة مراسم الزواج معنى كلمة عروس وزواج وأبناء.[3]

وعلى اعتبار أنَّ الأداء اللَّغوي أو كما عُرف بالفعل اللّغوي –عند أعلام التداولية– أكثر أهمِّية كما سبق وأن أشرنا؛ فقد وضع "غرايس"[*] (Paul Grice) قواعد خطابية للفعل اللّغوي، منطلقاً

---

[1]– ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، (د ط)، (1418هـ/1997م)، ص:13.

[2]– الجاحظ، البيان والتبيين، 79/1.

[3]– ينظر: عبد الرحمن أحمد البويربي، اللغة العربية أصل اللغات، ص:54-55.

[*]– هربرت بول جرايس(13 مارس 1913 – 28 أغسطس 1988) ينشر أعماله عادةً باسم إتش بي جرايس أو إتش بول جرايس أو بول جرايس، كان فيلسوف لغة بريطانيًا مثقفًا قضى آخر عشرين سنة من حياته المهنية في الولايات المتحدة، أثرت مؤلفات جرايس عن طبيعة المعنى على دراسة علم المعاني من المنظور الفلسفي. وتعد نظريته حول الاستلزام من أهم وأكثر المساهمات تأثيرًا في علم التداوليات.

من مبدأ عام سماه (مبدأ التعاون) ومقتضاه إجمالاً؛ أن يتعاون المتخاطبون للوصول إلى الغرض المطلوب من دخولهما في التَّخاطب وهذه القواعد هي:[1]

أ)-قاعدة الكم: لتكن إفادة المخاطَب على قدر حاجته، من غير زيادة ولا نقصان.

ب)-قاعدة الكيف: لا تذكر إلاَّ ما تعلم صدقه أو تقدر على إثباته.

ج)-قاعدة العلاقة: مراعاة المناسبة في الكلام.

د)-قاعدة الجهة: الاحتراز من الغموض والإطناب والاضطراب.

يتضح من هذه القواعد لكلّ لبيب ما أشار إليه أسلافنا سابقا؛ نحو قضية الإيجاز والإطناب وقضية الصدق والكذب، وقضية مراعاة مقتضى الحال، وقضية الفصاحة والبلاغة، بمعنى أنَّ هذه القواعد مهمَّة ليتمَّ التخاطب والتواصل في أحسن صوره والَّذي اصطلحوا عليه بمبدأ التعاون.

فالمتكلِّم يختار للتعبير عما في نفسه طريقة من الطرق الثلاث: فهو تارة يوجز، وتارة يسهب وتارة يتوسط بينهما على حسب مقتضيات الخطاب[2]، بل وحسب دواعي المقام، وسياق المقال ويبقى للمتحدث الحرية في طريقة الكلام حسب شخصيته، مع أنَّ « حق الكلام أن يكون بقدر الحاجة لا زائداً عنها، لئلا يكون عبثاً، ولا ناقصاً عنها، لئلا يخل بالغرض.»[3] وهو ما يوافق قاعدة الكم عند "غرايس"، غير أنَّ أسلافنا لهم في هذه النقطة بالذات تفصيلات؛ بالضبط في باب الإيجاز والإطناب ومفادُ ما جاءوا به نختصره فيما يأتي:

---

[1]- ينظر، عبد الرحمن طه، التواصل والحجاج، منشورات جامعة الإسكندرية، ط1، (2001م)، ص:12.

[2]- ينظر:علي جارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار المعارف، باتفاق خاص مع الناشر ما كميلان وشركاه بلندن (د ط)، (د ت)، ص: 239.

[3]- السيِّد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص: 57.

جاء في (جواهر البلاغة) ((الإيجاز هو جمع المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل الوافي بالغرض مع الإبانة والإفصاح.))[1] والإطناب عكس الإيجاز؛ أي زيادة اللفظ على المعنى لغاية وفوائد لخصها "علي الجارم" في:[2]

- ذكر الخاص بعد العام؛ للتنبيه على فضل الخاص.
- ذكر العام على الخاص؛ لإفادة العموم مع العناية بشأن الخاص.
- الإيضاح بعد الإبهام؛ لتقرير المعنى في ذهن السَّامع.
- التكرار؛ لداعٍ كتمكين المعنى في النَّفس.
- الاعتراض؛ وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متّصلين في المعنى بجملة أو أكثر لا محلَّ لها من الإعراب.
- التذييل؛ وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها توكيدا لها.
- الاحتراس؛ ويكون حينما يأتي المتكلِّم بمعنى يمكن أن يدخل عليه فيه لومٌ فيفطن لذلك ويأتي بما يخلِّصه منه.

أمّا قاعدة الكيف فقد تطرق إليها "القزويني" في معرض حديثه عن الصدق والكذب بقوله: ((صدق الخبر مطابقته للواقع، وكذبه عدمها، وقيل مطابقته لاعتقاد المخبر ولو خطأ.))[3] يوافق عندهم ما تعلم صدقه؛ أي يتقبله المتلقي لمطابقته للواقع، أو تقدر على إثباته بمعنى تقدم ما يجعل المتلقي يقبله فيصدقك.

وفيما يخص قاعدة العلاقة أي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، أو ما يعرف بسياق المقام مع ضرورة توفر فصاحة الكلام؛ و((الكلام الفصيح ما كان واضح المعنى، سهل اللفظ، جيِّد السَّبك ولهذا

[1]- السيِّد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص: 197.

[2]- علي جارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص: 250،251.

[3]- الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط1، (1904م)، ص:38.

وجب أن تكون كل كلمة فيه جارية على القياس الصَّرفي بينة في معناها مفهومة عذبة سلسة ويشترط أن يسلم التركيب من تنافر الكلمات، فلا يكون اتصال بعضها ببعض ممّا يسبب ثقلها على السَّمع وصعوبة أدائها باللسان.»[1]

ويعود ذلك إلى تنافر الحروف، والغموض والغرابة الَّتي تكتنف الكلام الراجع لمخالفته القياس فيؤدي لا شكَّ إلى الكراهة في السَّمع، وهو ما يوافق قاعدة الجهة؛ الَّتي قصدوا بها –أعلام التداولية– الاحتراز من الغموض والإطناب والاضطراب،كلّ هذا وغيره حتَّى يتمكن المتكلِّم من استعمال اللغة استعمالاً يسهِّل عليه التواصل وقضاء حاجاته، ويسهّل في المقابل على المتلقي فهمه وحصول القصد والمراد من تواصلهما.

1–اللّغة والاستعمال:

يرى "أحمد المتوكل" أنَّ نسق اللّغة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنسق استعمالها؛ ويقصد بنسق الاستعمال مجموعة القواعد والأعراف الَّتي تحكم التعامل داخل مجتمع معين، ونسقا اللّغة والاستعمال عنده نسقان مختلفان؛ من حيث طبيعتهما لكنَّهما مرتبطان من حيث كون نسق الاستعمال يحدّد في حالات كثيرة قواعد النَّسق اللّغوي: المعجمية والدّلالية والصّرفية والتركيبة والصّوتية، وهو ما يُعنى به فرع اللّسانيات المسمَّى (اللغويات الاجتماعية)، ويقدم مثال على هذا نحو اختلاف خصائص العبارات اللّغوية اختلاف الوسائط الاجتماعية؛ كحسن المخاطب وسنه وطبقته المجتمعية والمنطقة الجغرافية الَّتي ينتمي إليها.[2]

يوافق ما ذهب إليه "المتوكل" ما قدَّمه "الجاحظ" كمثال في معرض حديثه عن البلاغة، وعن هيئة المتكلِّم وما يتركه في نفوس الحاضرين، وهو ما ينسب إلى (اللغويات الاجتماعية) قوله: «لو أنَّ رجلين خطبا أو تحدّثا، أو احتجّا أو وصفا، وكان أحدهما جميلاً جليلاً بهيّاً، ولبَّاساً نبيلاً، وذا حسب

[1]– علي جارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص: 05.

[2]– ينظر: أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، مطبعة الكرامة، دار الأمان، الرباط، ط1 (2006م)، ص:21.

شريفاً، وكان الآخر قليلاً قميتاً، وباذَّ الهيئة دميماً، وخامل الذكر مجهولاً، ثمَّ كان كلاهما في مقدار واحد من البلاغة، وفي وزن واحد من الصواب، لتصدَّع عنهما الجمع، وعامتهم تقضي للقليل الدَّميم على النبيل الجسيم، وللباذّ الهيئة على ذي الهيئة...ولأنَّ النفوس كانت له أحقر، ومن بيانه أيأس...وظهر منه خلاف ما قدَّروه تضاعف حسن كلامه في صدورهم، وكبر في عيونهم، لأنَّ الشيء من غير معدنه أغرب.»[1]

يتبيَّن من هذا أنَّ هيئة المتحدث ومكانته الاجتماعية تجعل المتلقين يتصورون أنَّه على قدرٍ كبير من حسن استعمال اللغة خطاباً وتحاوراً، لذلك نجد أسلافنا يقدمون الكثير من الخطابات والقصص الَّتي تؤكد على النظرة الاجتماعية الراسخة عن أقدار النَّاس وطبقاتهم الَّتي توافق طريقة كلامهم، غير أنَّ المثال الَّذي قدَّمه "الجاحظ" يفنّد هذه النّظرة، لأنَّ المتحدث الثاني خالف المتوقع منه وخرج عن أفق توقعهم، فأبهرهم ومالوا إليه.

ويقتضي حسن استعمال اللّغة، أو التواصل الناجح تطابق العبارات المنتقاة مع سياق استعمالها؛ في هذا يصنف "المتوكل" سياقين: سياق مقالي، وسياق مقامي؛ ويقصد بالسياق المقالي مجموع العبارات المنتجة في موقف تواصلي معين، باعتبار أنَّ عملية التواصل لا تتم بواسطة جمل، بل بواسطة نص متكامل في غالب الأحوال.

ومن أهمِّ مظاهر الترابط بين عبارات النَّص الواحد ظاهرة (العود الإحالي) المعروفة؛ الَّتي تربط بين ضمير ما ومركب اسمي سابق أي ربط السَّابق بلاحق، أمَّا ما يقصد بالسياق المقامي؛ فهو مجموعة المعارف والمدارك الَّتي تتوافر في موقف تواصلي معين لدى كلّ من المتكلِّم والمخاطب فالمعارف الآنية هي: المدركات الحسية السَّمعية والبصرية وغيرها المتواجدة في موقف التواصل ذاته.[2]

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، 89/1.

[2]- ينظر: أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد ، ص:22،23.

بعد كلّ هذا تساءل "أحمد المتوكل" ((هل للّغة وظيفة على الإطلاق؟ إذا ثبت أنَّ للّغة وظيفة ما فهل هي وظيفة واحدة أم هل هي مجموعة من الوظائف؟))[1] ولكي يجيب عن تساؤلاته يحدّد أوّلاً مفهوم الوظيفة؛ حيث يرجعه إلى مفهومين اثنين هما: الوظيفة كعلاقة والوظيفة كدور، وقبل البحث عن إجابة لهذا السؤال لا ضير من التطرق للوظيفة الماهية والتعريف على العموم:

2-الوظيفة الماهية والتعريف:

لغةً: جاء في (لسان العرب) الوظيفة من كلّ شيء ما يقدَّر له في كلّ يوم من رزق أو طعام أو علف أو شراب، وجمعها الوظائف، ووظَّف الشيء على نفسه وظيفة توظيفاً ألزمها إيّاها، وقد وظَّفت له توظيفا على الصبي كلّ يوم حفظ آيات من كتاب الله عزّ وجلّ.[2]

وجاء في (المنجد): وَظَّفَ الشيء على نفسه ألزمها إيّاه، وظَّفه عيَّن له في كلّ يوم وظيفة ووَظَّفَ عليه علا قدره، واظَفَه وافقه ولازمه، اسْتَوظَفَ الشيء استوعبه، الوظيفة جمعها وظائف ووظَّف ما يُعين من عمل وطعام ورزق وغير ذلك، أو العهد والشرط، وربما أُستعملت بمعنى المنصب والخدمة، يُقال الدنيا وظائف أي نوب ودول.[3]

هذه التعريفات اللّغوية لجذر (وظف) جاء بعدَّة معان هي: التَّقدير للشيء، الالتزام التَّعيين الموافقة، والملازمة، والاستيعاب، العهد والشرط، المنصب والخدمة؛ وممَّا تقدم يمكننا أن نفهم معنى الوظيفة بأنَّه العمل المقدَّر الّذي يَلزمه صاحبه، أو يُلْزِمُ بِهِ غَيْرَه، بحيث يترتَّب عليه متابعته والالتزام به بشكل مستمر.

---

[1]- أحمد المتوكل، التركيبات الوظيفية قضايا ومقاربات، مكتبة دار الأمان، الرباط، ط1، (1426هـ/2005م)، ص:21.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة (د ط)، (د ت)، المجلد السادس، باب الواو، ص:4869.

[3]- معلوف لويس، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، ط19، (د ت)، ص:907.

اصطلاحاً: من التعريف اللّغوي لمادة (وظف) نستنتج التعريف الاصطلاحي لوظيفة اللّغة والَّتي ((تعني أنَّ كلّ عنصر في التّركيب اللّغوي يقوم بالدَّور المرتَّب عليه، أو عمل مستمر في هذا التَّركيب))[1]، دون إغفال ما تؤدِّيه اللّغة من دور في الحياة الاجتماعية، وربطه بسياق الاستعمال المقالي والمقامي على حدٍّ السواء كما سبق وأشرنا.

إذن اللّغة مسخَّرة لتحقيق التَّواصل داخل المجتمعات البشرية، ((من هذا المنظور تعدّ العبارات اللّغوية مفردات كانت أم جملاً وسائل تستخدم لتأدية أغراض تواصليّة معيّنة وتقارب خصائصها البنيوية))[2] وليس ثمَّة اختلاف كبير في وظيفة اللّغة؛ لوجد حقيقة ذات شقين على رأي "المتوكل" مفادها:

أوَّلا: لا موجود موجود دون أن تكون له وظيفة وجد من أجل تأديتها.

وثانيا: أنَّ هذا الموجود يتخذ كليّاً أو جزئيّاً الشكل الَّذي تتطلبه الوظيفة المسندة إليه.

يضيف مستفهماً: إذا سلَّمنا بأنَّ للغة وظيفة هي أساساً وظيفة التَّواصل فهل هي الوظيفة الوحيدة أم أنَّ اللّغة تسخّر لتأدية وظائف أخرى؟[3]

2-1 وظائف اللغة:

قدَّم "المتوكل" جهوداً معتبرة؛ بحثا عن إجابة لتساؤلاته الَّتي طرحها؛ فتوصَّل إلى أنَّ للّغة عدَّة وظائف نجمل ما جاء به فيما يأتي: [4]

---

[1]- عبد الكريم حاقة، إبلاغية الخطاب القرآني من منظور لسانيات النص –دراسة في سورة البقرة، رسالة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، (2016/2015م)، ص:39.

[2]- أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، ص:20.

[3]- ينظر: أحمد المتوكل، التركيبيات الوظيفية قضايا ومقاربات، ص:24،25.

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص:21-23.

2-1-1 الوظيفة العلاقة:

حين يرد مصطلح الوظيفة دالّاً على علاقة، فالمقصود العلاقة القائمة بين مكونين أو مكونات المركَّب الاسمي أو الجملة، نجد مصطلح الوظيفة بهذا المعنى متداولاً في جلّ الأنحاء؛ بما فيها الأنحاء التقليديّة، مع اختلاف من نحو إلى نحو، أو من نمط إلى نمط من الأنماط؛ مردّه إلى نوع العلاقة الَّتي يرد رامزاً إليها؛ أي العلاقات التركيبية كعلاقة الفاعل بالمفعول المباشر أو المفعول غير المباشر باختصار كلّ العلاقات الَّتي تقوم داخل الجملة أو التَّركيب.

2-1-2 الوظيفة الدَّور:

ويقصد بها الغرض الّذي تسخّر الكائنات البشرية اللّغات الطبيعية من أجل تحقيقه...إنَّ العلاقة رابط بنيويّ قائم بين مكونات الجملة أو مكونات المركَّب، في حين الدَّور يخص اللّغة بوصفها نسقاً كاملاً، لغاية ومقصد محدّد.

2-1-3 الوظيفة الأداة:

يسخر مستعملو اللّغة هذه الأداة لتحقيق أغراض متعدِّدة؛ كالتَّعبير عن الأفكار والأحاسيس والمعتقدات، والتَّأثير في الغير بإقناعهم أو ترهيبهم، أو مجرد إخبارهم بواقعة ما وغير ذلك، إلاَّ أنَّ هذه الأغراض وإن تعدَّدت واختلفت من حيث طبيعتها آوية إلى وظيفة واحدة هي: تحقيق التَّواصل بين أفراد المجتمع، ومن المعلوم أنَّ التَّواصل يمكن أن يتمَّ عبر قنوات أخرى؛ كالإشارة والصُّور، إلاَّ أنَّ التَّواصل عبر هذه القنوات لا يرقى قوة ودقَّة إلى التَّواصل المتوسَّل فيه باللَّغة، ومن المعلوم أيضاً أنَّ أدوات التَّواصل غير اللّغوية قد تتضافر مع اللّغة في أنساق تواصليّة مركّبة كالشريط السينمائيّ مثلاً.[1]

مِنَ اللّسانيين مَنْ رأى أنَّ للّغة وظائف متعدِّدة لا وظيفة واحدة؛ "فهاليداي" (1970م) يُرجع مختلف وظائف اللّغة إلى ثلاث وظائف مترابطة هي: [2]

[1]- ينظر: أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، ص:20،21.

[2]- ينظر: أحمد المتوكل، التركيبات الوظيفية قضايا ومقاربات، ص:25.

أوّلاً: الوظيفة التمثيليّة: قصد بها التّعبير عن تجربة المتكلّم بالنّظر إلى الواقع، أو بالأحرى إلى عالم من العوالم الممكنة.

ثانياً: الوظيفة العلاقية: هي التّعبير عن الدّور الاجتماعي الّذي يقوم به المتكلّم بالنسبة للمخاطب...كأن يكون متيقّناً أو محتملاً أو شاكّاً.

ثالثاً: الوظيفة النّصية: الّتي تكمن في إنتاج خطاب متسق مطابق لمقام إنتاجه.

تتنوع الرسائل اللّفظية وفق الوظيفة اللّغوية الّتي تهيمن على الوظائف الأخرى، ويترتّب على هذا تحوّل وتغيّر في البيانات التّركيبيّة والنّحويّة والصّرفيّة والفونولوجيّة، وأشكال الترابط بين هذه البنيات، وكذلك أنماط التقابلات الّتي يمثلها التلقي[1]، في هذا المقام ميّز "ياكبسون" ست وظائف هي على التوالي:[2]

1) الوظيفة المعرفية (Cognitive):

الوضعية أو المرجعية تتفرع هذه الوظيفة عن الشّكل التواصلي المتمثل في (السياق)، ويمكن أن تتحقق في اللّغة اليومية واللّغة العلمية؛ لأنّ الرسائل في هذه الحالة تعتمد على المواضعة اللّغوية المشتركة بين أفراد الجماعة اللّسانية، كما أنّ الغرض من التّواصل يتمثل في الإبلاغ ذي الطبيعة النّفعية.

2) الوظيفة التعبيرية (Expressive):

أو الانفعالية تركّز على الحمولة الانفعالية والوجدانية ومن ثمّ فإنّها ترتبط بالمرسل؛ أي تقدم انطباعه وانفعاله تجاه شيء ما، وترتبط هذه الوظيفة ببنية تعبيرية خاصة على مستوى النّحو والصّوت والمعجم، ويترتّب عن هذا تباين بين ظواهر لسانية متنوعة؛ فعلى المستوى الصّوتي مثلاً ترقى الظواهر الفيزيولوجيّة والعناصر التمييزية إلى مرتبة العنصر الاختلافي الّذي يعبر عن الانفعال.

---

[1]- ينظر: عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظرية التواصل رومان ياكبسون نموذجا، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1 (2003م)، ص:47.

[2]- المرجع نفسه، ص:47،48.

يفصل "الطاهر بومزبر" في مقام الحديث عن الوظيفة التعبيرية؛ حيث يقسم الانفعالات من زاوية أنَّها تعبر عن انفعال المرسل إلى: ((التعبير الانفعالي الخالص كما يختلج في الذَّات الَّتي كانت مصدرا للخطاب المرسل، وأخرى تجاوزت النقل المباشر للأحداث الَّتي يبدي المرسل تجاهها موقفا مميزا يجعل الخطاب المنجز ملكا له؛ ويتجلي الصنف الأوَّل في الرسالة المشحونة بخطاب علمي، أو حديث عاد حيث تنطبق في معظمها الدَّوال مع مدلولاتها، بينما تزداد الرسالة المشحونة بخطاب متعال في قيمتها الإبداعية، كلَّما تمكَّن الباث من إرسال سلسلة وحدات خطابية ذات مدلول متجاوزاً للواقع الخالص، متعالٍ عن الحقيقة كما هي في وجودها الطبيعي، وبالتالي فمعيار الصدق والكذب هنا ليس بالقياس إلى القيمة الإبلاغية الَّتي تحملها الرسالة، وإنَّما من زاوية الالتزام بالواقع الموصوف أو التخلص منه.))[1]

ومن ثمَّ فإنَّ الطبقات الانفعالية المتعاقبة في خطاب منطوق مباشر تشتدُّ وضوحا، ويرتفع نتوؤها كلَّما ظهرت على سطح الخطاب المنطوق أكثر من المكتوب؛ لأنَّ الأوَّل يستعمل آليتين اثنتين؛ هما فيزيولوجية وفونولوجية، أي التَّفخيم والتَّرقيق والجهر والهمس والنَّبر والتَّنغيم والوصل والوقف وغيرها، بينما تكون الثانية دلالية صرفة ندركها من المسنَّنات المتعارف عليها مثل: صيغة التَّعجب والاستغاثة والندبة وغيرها.[2]

3) الوظيفة الإفهامية (Canative):

تكتسي نوعية الإبلاغ الموجه للمستمع صبغة الأداء التمييزية الَّتي تطبع الرسائل بدلالات خاصة؛ وتتسم تمظهراتها وبناها التركيبية والنحوية بخصيصات محددة، تعين تعالق مكونات الجملة والخطاب وأقسام الطبقات التعبيرية، فالوظيفة الإفهامية تتصل وتركِّز على المرسل إليه؛ تحدِّد لنفسها

[1]- الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية –مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط1، (1428هـ/2007م)، ص:35.

[2]- ينظر: المرجع نفسه ، ص:36.

إطاراً خاصّاً للتبادلات العلائقية، والتمفصلات اللّسانية الَّتي تتفاعل داخلها، فهي تجد تعبيراتها النحوية الأكثر ظهوراً في النداء والأمر.[1]

4) الوظيفة الانتباهية (Phatique):

تهدف بعض الرسائل إلى إقامة التواصل والحفاظ عليه؛ وذلك باستخدام أشكال تعبيرية وسلسلات لفظية في لحظات معينة، قصد التَّأكد من استمرار التواصل وصحَّة تمثيل المستمع مضمون الإبلاغ، وتأخذ هذه الوظيفة أبعاداً تشكيليةً توظف لأغراض فنية توفرها الرغبة في إقامة التواصل.

5) الوظيفة المتا لسانية (Métalinguistique):

يمكن أن نميّز في هذه الوظيفة بين مجالين لغويين المجال الأول: وتمثله اللّغة الواصفة المعتمدة في الدِّراسة العلمية الَّتي تتخذ من اللّغة موضوعاً لها، أمَّا المجال الثاني: فيرتبط بعمليات الشَّرح الَّتي تتخلّل التَّواصل في الكلام اليوميّ، وترمي إلى تحقيق درجة قصوى من التمثل لدى المستمع.

6) الوظيفة الشعرية (Poétique):

ترتكز على الرسائل الَّتي تهيمن فيها هذه الوظيفة على الرسالة ذاتها، ولا تقتصر على الشعر فقط، وإنَّما ينبغي دراستها في أشكال الرسائل اللّفظية الأخرى، وكذلك غير اللفظية، وتعمل هذه الوظيفة على إبراز قيمة الكلمات والأصوات والتَّراكيب في ذاتها مكسبة إياها قيمة مستقلة.[2]

تبيَّن مما سبق أنَّ اللغة وُجدت لتؤدي عدَّة وظائف حيوية، وإن كانت وظيفة التواصل على رأس جميع الوظائف، بل وتتواشج في أحايين كثيرة مع بقية الوظائف لدرجة يصعب الفصل بينها وبين بقية الوظائف نحو: الوظيفة الإفهامية والوظيفة الإنتباهية.

تطرق أسلافنا لعملية التواصل الَّتي نعدُّها هنا الوظيفة الأساس الَّتي تقوم بها اللغة؛ حيث ((جعل "الجاحظ"(ت.255هـ) مسار الرسالة لغوية كانت أم غير ذلك تتراوح بين قطبين رئيسين هما:

---

[1]- عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظرية التواصل رومان ياكبسون نموذجا، ص:48،49.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص:49،50.

الفهم من قبل المتلقي، والإفهام الَّذي يحيل إلى المرسَل؛ حيث ربطه بالبيان، والبيان باعتباره اسماً جامعاً فهو شامل لكلِّ أنساق التَّواصل، يستدعي كلّ الآليات الَّتي من شأنها أن تحقق الإفهام، بأي شيء بلغ المرسِل ذلك وكشف عن المعنى، مما يجعل حيز التَّواصل في نظر "الجاحظ" يستثمر كلّ الطاقات الإبلاغية الَّتي سماها (الدَّليل).»[1]

توصَّل "هامل شيخ" لهذا الرأي المهمّ من خلال تحليله لما جاء به "الجاحظ" في معرض حديثه عن البيان قوله: «البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان ومن أيّ جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع، إنّما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع.»[2]

وفي موضع الحديث عن أصناف الدَّلالة قول "الجاحظ": «وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد، أوّلها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة.»[3]

يوافق "الجابري" "الجاحظ" في الرأي مشيراً إلى أنَّ سيميولوجيا التواصل عبر علاماتها وأماراتها وإشاراتها تهدف إلى الإبلاغ والتأثير على الغير عن وعي أو عن غير وعي؛ من خلال مجموعة من الوسائل اللّغوية وغير اللّغوية؛ لتنبيه الآخر والتأثير فيه عن طريق إرسال رسالة وتبليغه إياها، كما أنَّ الوظيفة الأولية للّغة هي التَّأثير على المخاطب من خلال ثنائية الأوامر والنواهي.[4]

---

[1]- هامل شيخ، التواصل اللغوي في الخطاب الإعلامي، ص:19.

[2]- الجاحظ، البيان والتبيين، 76/1.

[3]- المصدر نفسه، ص ن.

[4]- ينظر: محمد عابد الجابري، التواصل نظريات وتطبيقات، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، منتدى مكتبة الإسكندرية، بيروت ط1، (2010م)، ص:57،58.

تشير "خولة طالب الإبراهيمي" إلى أنَّ: ((اللسان وسيلة أي أداة يستعملها الإنسان لتؤدي وظيفة معينة هي وظيفة التبليغ والاتصال والإخبار، والتبليغ والتواصل هو التخاطب المتبادل بين أفراد جماعة ما، هو عبارة عن تبادل معلومات وأعراض بكيفية معينة، تلك هي الوظيفة الرئيسية الَّتي تؤديها الألسنية البشرية.))[1] من هذا المنطلق تحدّد "خولة" الوظيفة الَّتي يؤديها اللّسان –اللّغة– ألا وهي التبليغ والتواصل بين الأفراد؛ أي بين المخاطِب والمخاطَب، والسؤال الّذي يطرح نفسه هل الإبلاغ أو التبليغ له علاقة بالتواصل ؟

تجيبنا "خولة" أنَّ الوظيفة التبليغية أو الإبلاغية ((تشمل الدَّورة التخاطبية بجميع عناصرها وهي وظيفة الإخبار والتواصل والإفادة)) [2]؛ حيث تعدُّ الإبلاغية وظيفة في النَّص وخاصية من خصائصه ذلك أنَّ كلّ منجز إنَّما أنجز لقصد إبلاغه، ممَّا يعني أنَّ الإبلاغ أو التبليغ يتجسَّد في عملية التَّواصل من خلال حضور العناصر الأساسية للتخاطب؛ أي المرسل والمتلقي والرسالة، لغاية التبليغ والإفادة.

وبمحاولة الوقوف على تحديدٍ لماهية مصطلح الإبلاغية، ونظراً لقلّة الدِّراسات اللّغويّة لهذا المصطلح، إضافة لتداخله مع عدَّة حقول معرفية، سنحاول البحث واستقصاء كلّ ما له علاقة من قريب أو من بعيد بهذا المصطلح، ونسج خيوط تتواشج بينها وبينه في سيرورة الدَّورة التخاطبية والوظيفة الإبلاغية الَّتي تؤديها اللّغة.

3– الإبلاغية الماهية والتعريف:

لغةً: جاء في (لسان العرب) البلاغ: ما يُتبلّغ به ويتوصَّل إلى الشيء المطلوب، والبلاغ: ما بلغك والبلاغ: الكفاية، بالغ يبالغ مبالغة وبلاغا إذا اجتهد في الأمر، والمعنى في الحديث: كلّ جماعة أو نفس تبلّغ عنا وتذيع ما نقوله فلتبلِّغ ولْتَحْكِ، وبلَّغ الفارس إذا مدَّ يده بعنان فرسه ليزيد في جريه وبلغ الغلام: احتلم كأنَّه بلغ وقت الكتابة عليه التكليف، وبلغت المكان بلوغاً وصلت إليه.[3]

---

[1]– خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، (2006م)، ص:24،25.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص:30.

[3]– ابن منظور، لسان العرب، ص:346.

وفي القرآن الكريم: وردت مادة (بلغ) في القرآن الكريم بصيغ متعدِّدة ومعان مختلفة؛ والصيغ المتعلقة بالإبلاغ والتبليغ منها: (بَلَغَ، بَلِّغْ، أُبَلِّغُكُمْ، يُبَلِّغُوْنَ، أَبْلَغُوْا، بَلَاغٌ) وردت في العديد من آي القرآن الكريم كلّها ترمي لإيصال رسالة وغاية ومقصد نحو: إخبار أو إنذار أو وتقديم نصح نذكر بعض الآيات الَّتي حملت هذه المعاني، منها:

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا القُرْآنُ لِأُنْذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمُ لتَشْهَدُوْنَ أَنَّ مَعَ اللهِ أَلِهَةً أُخْرَى﴾[الأنعام:19]

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُوْلُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾[المائدة:67]

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُوْنَ﴾[الأعراف:62]

﴿الَّذِيْنَ يُبَلِّغُوْنَ رِسَالاَتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَه وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً﴾[الأحزاب:39]

﴿لِّيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوْا رِسَالاَتِ رَبِّهِمْ﴾[الجن:28]

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلاَغُ وَاللهُ بَصِيْرٌ بِالْعِبَادِ﴾[آل عمران:20].

اصطلاحاً: الإبلاغية اتجاه يتناول أساليب التعبير الفني في اللّغة؛ لتحقيق أكبر قدر من التأثير والإقناع وذلك بتفجير الطاقات الكامنة في اللّغة؛ من خلال الابتعاد بها عن مستوياتها في الإفهام والإيصال[1]، وذلك عن طريق "مجموع الشحن النفسية المتوارية في الخطاب".[2]

يرى "سمير أبو حمدان" أنَّ " الإبلاغية مصطلح حديث التداول، يقف على حدود مشتركة بين علم النفس، وعلم اللّغة الحديث"[3]، تبحث الإبلاغية كوظيفة في جميع سبل التأثير والإقناع على

[1]- ينظر: نادر عبد الرحمن محمد الوقفي، الإبلاغية في الشاهد البلاغي دراسة وتحليل، رسالة دكتوراه، جامعة مؤته، (2007م) ص:03،04.

[2]- سمير أبو حمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية، منشورات عويدات، بيروت، ط1، (1991م)، ص:08.

[3]- المرجع نفسه، ص ن.

المتلقي المستمع/القارئ، انطلاقاً من اللغة الَّتي تعدّ الوسيط المشترك بين طرفي عملية التواصل الباث والمستقبل.

3-1 الإبلاغيّة من ناحية التنظير:

الإبلاغيّة كمصطلح متداول صراحة في الدِّراسات اللّغوية العربية أو الغربية قديماً أو حديثاً بشكل قار ومنظّر لم نجد له دراسات مفصّلة ومنفصلة، إلاَّ ما كان متداخلاً مع البلاغة والأسلوبية والنَّصانية، أو التّواصل والتداولية، ومع ذلك سنجتهد في لمِّ شتات ما ألفيناه هنا وهناك يدور في رحى الإبلاغية.

4- قضايا لغوية متواشجة مع الإبلاغية:

نقول إنَّ هناك محاولات مبكِّرة للّغويين والبلاغيين العرب القدماء، يمكن عدّها مِهاداً للبحث في الإبلاغية، فقد كان القدماء على وعي بهذا المصطلح دون توسّع ومنهجية واضحة كما هو الحال في الدِّراسات الحديثة، ولعلَّ من القضايا الَّتي تواشجت بطريقة أو بأخرى مع مفهوم الإبلاغية ما يأتي:

- أوَّلاً: تخيّر الألفاظ:

المتصفح لأمات كتب علمائنا لا ينفك يرصد كمّاً من المؤلفات الَّتي اهتمَّت بتخير اللّفظ من ذلك على سبيل المثال لا الحصر معجم (تهذيب الألفاظ) "لابن السكيت"(ت.244هـ) و(الألفاظ الكتابية) "للهمذاني"(ت.395هـ)، و(جواهر الألفاظ) "لقدامة بن جعفر"(ت.337هـ) و(متخير الألفاظ) "لابن فارس"(ت.395هـ).

فكتاب (تهذيب الألفاظ) "لابن السكيت"(ت.244هـ) كمثال دقيق التصنيف؛ مقسم إلى أبواب تبدأ بباب (الغنى والخصب)، وتنتهي بباب (ما تكلمت به العرب من الكلام المهموز)، وفي كل باب يتناول "ابن السكيت" الألفاظ الدَّالة على عنوان الباب وتداولها بين النَّاس.

وبالرجوع إلى كتاب (متخير الألفاظ) نجد أنَّ "ابن فارس"(ت.395هـ) رتَّب كتابه على أبواب المعاني، وفي خاتمة كتابه حشد الكثير من الألفاظ والمفردات المستحسنة، فمن خلال عناوين الأبواب الَّتي تخيّرها يتّضح جليّاً تصنيف "ابن فارس" للألفاظ حسب ما تتركه من أثر في المتلقي؛ أي درجة الاستجابة والانفعال الَّذي تتركه اللّفظة في وجدان المتلقي.[1]

و"الجاحظ" في كتابه (البيان والتبيين) لا ينفك يؤكد على تخير الألفاظ الَّتي تصيب المرام وتترك الأثر في باب الحديث عن البلاغة نحو قوله: ((جماع البلاغة التماس حسن الموقع، والمعرفة بساعات القول، وقلة الخرق بما التمس من المعاني أو غمض، وبما شرد عليك من اللفظ أو تعذَّر))[2]؛ ذلك لأنَّ المعاني مطروحة في الطريق كما هو متعارف عنده، وعلى المتحدث تخير اللفظ المناسب لسياق المقام، مع الابتعاد عن الغريب والغامض من الألفاظ.

من هنا يظهر أنَّ علماءنا كانوا على دراية بأهميّة تخيّر الألفاظ خدمة للوظيفة الإبلاغية، حتَّى وإن لم يستعملوا ذات المصطلح، وذلك من خلال الوقوف على الدَّلالات الجديدة الَّتي تطرحها الألفاظ ذاتها في سياقات استخدامها المختلفة، وينطوي تحت مظلَّة الإبلاغية أيضاً مجموعة من المفاهيم الَّتي تسهم في استجلاء الطاقات التعبيرية للغة واستثمارها لأداء الوظيفة الإبلاغية منها أيضاً ما يأتي:

ثانياً:انتقال الدَّلالة:

تتغير الدَّلالة وتتبدل و((تنتقل دلالة المفردات في اللّغة من معنى إلى آخر؛ نتيجة لعدَّة عوامل ترجع في مجملها إلى الاستعمال أو السياق، حيث يتغير مدلول اللّفظة من السَّلف إلى الخلف حسب

[1]- ينظر: نادر عبد الرحمن محمد الوقفي، الإبلاغية في الشاهد البلاغي دراسة وتحليل، ص:11،12.

[2]- الجاحظ، البيان والتبيين، 88/1.

تغير العوامل الاجتماعية والنفسية))،[1] فقد تطرق علماء اللّغة للتغيّر والتّطور الدَّلالي للألفاظ نُلخص أهمَّ ما توصلوا إليه فيما يأتي:[2]

أ)–تخصيص الدَّلالة: بمعنى إطلاق الكلمة ذات المعنى العام على معنى خاص، ومن ذلك أثر الإسلام في تغيير وتطور دلالة بعض المفردات من العام إلى الخاص مثلا: (الأذان، الركوع، السجود).

ب)–نقل الدَّلالة: أي تحويل الدَّلالة، وهذا يجري عادة في الكلمات الَّتي يربط بينها وبين معناها المعجمي علاقات: كأسماء الألوان، وأعضاء الجسم، وأسماء الحواس؛ بسبب علاقات المشابهة.

ج)–تعميم الدَّلالة: ومعناها الانتقال بدلالة الكلمة من معناه المعجمي الضيق إلى دلالة أعم وأوسع منه، مثل كلمة (البأس) الَّتي يدل معناها المعجمي على الحرب، ثمَّ أصبحت تطلق على كلِّ شدَّة.

ثالثاً: التداولية:

التداولية من المصطلحات ذات الصِّلة بالإبلاغية؛ تبحث في الظواهر اللّغوية في مجال الاستعمال وتُعرف باللسانيات التداولية تُعنى ((بأقطاب العملية التواصلية، فتهتم بالمتكلم ومقاصده بعدِّه محركا لعملية التواصل، وتراعي حال السامع أثناء الخطاب، كما تهتم بالظروف والأحوال الخارجية المحيطة بالعملية التواصلية))[3]، وليس المقام هنا لتفصيل الحديث حول التداولية، لكن بما أنَّ التداولية تعنى باللغة في الاستعمال توجَّب علينا ألاّ يفوتنا الإشارة إلى ارتباطها بالوظيفة الإبلاغية.

رابعاً: الفصاحة والبلاغة:

فصاحة المتكلِّم شرط ضروري لنجاح التواصل بين المتحدثين، فما بالك بالتأثير والإقناع؟ والفصاحة ((خصوصية في نظم الكلم، وضمِّ بعضها إلى بعض على طريق مخصوصة، أو وجوه تظهر

---

[1]– نادر عبد الرحمن محمد الوقفي، الإبلاغية في الشاهد البلاغي دراسة وتحليل ، ص:4،5.

[2]– ينظر:خليل حلمي، الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الأسكندرية، (د ط) (1996م)، ص:113-117.

[3]– باديس لهويمل، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر ع7، (2011م)، ص:155.

بها الفائدة[1]»، فتمام آلة البيان الفصاحة؛ فهي مقصورة على اللفظ لأنَّ الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى، بينما البلاغة سميت كذلك لأنَّها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه.[2]

فالبلاغة ليست « في الحقيقة إلاَّ ملكة البيان، وقوة النَّفس على حسن التَّعبير عمَّا تريد من المعنى، لتبلغ من مخاطبها ما تريد من أثر في وجدانه، يميل به إلى الرَّغبة فيما رغب عنه، أو النَّفر ممَّا كان يميل إليه أو تمكين ميل إلى مرغوب، أو تقرير نفرة من مكروه، أو تحويل في اعتقاد، أو تغيير لعادة وشبه ذلك ممَّا يقصد بالخطاب».[3]

في هذا يقول "حسن عبَّاس": « البلاغة فصاحة اللفظ أوَّلاً، وموافقة المعنى المقصود ثانياً والتأثير النفسي؛ لأنَّ الذي يستطيع أن يؤثر في النفوس هو الذي يكون صادقاً مع نفسه، وليست البلاغة شيئاً غير هذا.»[4] ويضيف مؤكداً «البلاغة إذن لا بدَّ فيها من ذوق وذكاء؛ حيث يدرك المتكلِّم متى يتكلَّم، ومتى ينتهي، وما القوالب الَّتي تصبّ فيها المعاني الَّتي رتبها في نفسه، فربَّ كلام جميل في نفسه لكنه لم تُرَاعَ فيه هذه الظروف فتكون نتائجه عكسية غير متوقعة».[5]

وللجاحظ صولات وجولات في مقام حديثه عن البلاغة؛ فقد جمع أخباراً ومروياتٍ وقصصاً يعرف تارة ويشرح أخرى ويعقب ويستشهد، من ذلك تطرقه لصحيفة هندية مترجمة جمعت التعريف بالبلاغة وما يجب أن يتوفر في الخطيب ليتصف بالبليغ مما جاء فيها: « أوَّل البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخيِّر اللفظ، لا يكلم سيِّد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السُّوقة، ويكون في قواه فضْل التصرُّف في كل طبقة، ولا

---

[1]-الجرجاني أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد النحوي، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر مكتبة الخانجي، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص: 36.

[2]- ينظر: أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين،to pdf.www el mostafa.com، ص:06،07.

[3]- الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ص:19.

[4]- فضل حسن عبّاس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط4، (1417هـ/1997م)، ص:57.

[5]- المرجع نفسه، ص:58.

يدقق المعاني كل التدقيق، ولا ينقّح الألفاظ كلَّ التنقيح، ولا يصفها كل التصفية، ولا يهذبها غاية التهذيب، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما أو فيلسوفاً عليماً...»[1]

خامساً: التناسب بين مقاطع الكلام:

يظهر التناسب بين مقاطع الكلام فيما يعرف بالسَّجع في الدِّراسات البلاغية؛ ذلك أنَّ للسَّجع أثراً كبيراً في حسن الكلام، وقيمة كبرى في انعطاف النَّفس نحوه، وإصغاء الأذان إليه، خاصة إذا أحسن المرسل –الكاتب/المتحدث– استخدامه فإنَّه سيسهم بصورة فعالة في إيصال الغرض من الرسالة، ومن أهمِّ مزايا السَّجع رعاية الفاصلة، إضافة إلى تأثيره النفسي، كما يساعد على حفظ الكلام واختزانه في الذاكرة لسهولة ترداده وتذكره، ولذلك كان حفظ الشعر أسهل من النثر، وحفظ النثر المسجوع أيسر من النثر المرسل.[2]

والأكثر من ذلك أنَّنا نجد اختيار كلمات معينة بحسب توفر حروفها على نبرات خاصة له أهميَّة كبيرة في الوفاء بالغرض المقصود، ومواكبة الإحساس الكامن في نفس المتحدث، ويظهر ذلك بصورة جلية في الكثير من سور القرآن الكريم نحو قوله عزَّ جلَّ: ﴿وَقَالَ نُوْحٌ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِيْنَ دَيَّاراً إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوْا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوْا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً﴾ [نوح:26] .

سادساً: الأسلوب:

ترتبط دراسة الطاقات الإبلاغية للّغة بالأسلوب؛ فالأسلوب هو الميدان الَّذي يتناول القيم الإبلاغية للّغة الَّتي من شأنها إحداث التأثير الَّذي يتوخّاه الخطيب، لقد سعت الدِّراسات الأسلوبية والدِّراسات النَّقدية الحديثة إلى الكشف عن جماليات الخطاب الإبلاغي؛ بوصفه نظاماً يتشكّل من مجموعة الوحدات الخطابيّة، تربط فيما بينها علاقات تحقق للخطاب انسجامه، وتميزه بخصائص لغويّة

[1]– الجاحظ، البيان والتبيين، 92/1.

[2]– ينظر: عبد الجواد محمد طبق، دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1 (1413هـ/1993م)، ص:11،12.

يتحوّل بها من سياق إخباري إلى وظيفة تأثيريّة وإقناعيّة، فيتّجه الأسلوب بداية إلى دراسة البنى الصَّوتية والتركيبية والدَّلالية، وطاقاتهم الإبلاغية ثمَّ وصف العلاقات القائمة بينها.[1]

وجوهر الأسلوبية عند "شارل بالي"(Charles Bally) يكمن في ((إنزال القيمة التّأثيريّة منزلة خاصة في سياق التعبير، وتتّجه الإبلاغية في ذات المقام إلى جوانب أخرى في الكلام الملفوظ المكتوب، من خلال رصد القيم الانفعالية في اللّغة، وتناغم الأصوات، والإيقاع، وإبراز عناصر محدَّدة في العبارة وتداعي الأفكار)).[2] وهو بالضبط ما يوضح تواشج الأسلوب بخاصية الإقناع والتأثير المنوطة بالإبلاغية كوظيفة.

سابعاً: السياق:

سبق وتحدثنا عن سياق الاستعمال هذا الأخير الَّذي قسَّمه "المتوكل" إلى سياق مقامي وسياق مقالي، ونظراً لأهميّته في عملية التواصل وبالضبط في أداء رسالة إبلاغية أصبح واحداً من العناصر الَّتي تتداخل مع غيرها من العناصر التي سبق التطرق إليها لتظهر الإبلاغية كوظيفة من الوظائف التي تؤديها اللغة؛ حيث يضطلع السياق بأدوار كثيرة في التفاعل الخطابي، مثل تحديد قصد المرسل، ومرجع العلامات من خلال السياق اللّغوي؛ الَّذي يجسّد لنا التتابعات اللّغوية في شكل خطاب، وسياق الموقف أو الحال[3].

يوضّح السياق إذن أهمِّية وجود الكلمة ضمن التركيب، فلا يستقيم المعنى الَّذي نريده لها إلاّ مع مجموعة من المفردات الَّتي تسبقها وتليها متوافقة مع المقام؛ ((فالكلمة الواحدة يتفاوت أمرها حسناً وقبحاً، قبولاً ونفوراً باختلاف السياق الذي ترد فيه.))[4]

---

[1]- ينظر: نادر عبد الرحمن محمد الوقفي، الإبلاغية في الشاهد البلاغي دراسة وتحليل، ص:08،09.

[2]- عفيف دمشقية، الإنفعالية والإبلاغية في بعض أقاصيص مخائيل نعيمة، دار الفرابي، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص:80.

[3]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1 (مارس 2004م)، ص:40.

[4]- السيد شفيع، الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ط)، (1986م)، ص:24.

ثامناً:الإقناع والتأثير:

من أهداف الرسالة اللّغوية الوصول إلى المخاطَب؛ قصد إقناعه والتأثير فيه، فالإقناع والتأثير من أساسيات الوظيفة الإبلاغية للّغة؛ لأنَّ الإبلاغ لا يقتصر على مجرد نقل الأخبار والمعلومات ولكنَّه يحمل عناصر تتجه إلى العقل، وأخرى تتّجه إلى الوجدان من أجل حمل المخاطَب على تبنّي مضمون الرسالة الإبلاغية والعمل بها.

جاء في (فن الخطابة والإلقاء): ((الإقناع يعني عرض القناعة في نفوس من تحدثهم))[1] وبشيء من التفصيل يقول "محمد أبو زهرة": ((مرمى الخطاب الإقناعي ليس هو الإلزام والإفحام فقط بل مرماه حمل المخاطب على الإذعان والتسليم وإثارة عاطفته.))[2]

أمَّا التأثير هو ترك الأثر في نفس المتلقي، تأثير في القلوب، أو في العقول؛ مما يفضي إلى تغيير سلوك أو تغيير وجهة نظر؛ حيث يتجه الإقناع صوب العقل بينما يتجه التأثير ناحية الوجدان، فقد جاء في (القاموس العربي الأول لمصطلحات علوم التفكر) عن الإقناع ما مفاده: ((هو عرض وجهة النظر بأسلوب منطقي، أو أسلوب عاطفي يؤثر في الأشخاص المستمعين أو المستهدفين، والإقناع هو العرض الشفهي لوجهة النظر أمام الآخرين من أجل نقل الأفكار والمعلومات.))[3] ممَّا يعني أنَّه يتعين على المتحدث توظيف شواهد وحجج وبراهين تمكنه من إقناع المتلقي لخطابه.

تاسعاً:البلاغة الصَّوتيّة:

البلاغة الصَّوتيّة هي كلّ وسيلة صوتية يتحقق بها مفهوم البلاغة بمعناها المصطلح عليه عند البلاغيين، فلا بدَّ فيها من ملاحظة أمرين:

---

[1]- نعيم أنطوان وحيد، فن الخطابة والإلقاء، دار الكتاب العربي، لبنان، (د ط)، (2010م)، ص:162.

[2]- أبو زهرة محمد، الخطابة، مطبعة العلوم، مصر، ط1، (1353هـ/1934م)، ص:68.

[3]- العوفي عيسى سعد وعبد الرحمن علوي، القاموس العربي الأول لمصطلحات علوم التفكير، دار ديبونو، الأردن، ط1 (2010م)، ص:58.

أوّلاً: أن يتجاوز الإطار الصَّوتي بجرسه وإيحائه وإيقاعه واعتداله إلى ما يحدثه من إبراز المعنى وتأكيده وتسلسله وانتظامه.

ثانياً: أن يتحقق بالأداء الصَّوتي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وحديث علماء البلاغة عن المواءمة بين أقدار المعاني والألفاظ وأقدار حالات المستمعين جلي وكثير؛ والقرآن الكريم خير نموذج للبلاغة الصَّوتيّة يتوقف قدر كبير على حسن تلاوته، وإعطاء كلِّ حرف حقه ومستحقه مخرجاً وصفةً [1] ((فالبلاغة هنا وردت بأبسط تحديداتها على أنها إظهار المعاني في قوالب صوتية واضحة مفهومة)).[2]

عاشراً:التّناغم الصَّوتي:

إنَّ الإيقاع أو الجرس الموسيقي أو القيمة الصَّوتية ينطوي على بعد نفسي، فقد عرف الحقل العربي نوعين من الإيقاع؛ إيقاع داخلي نعني به جرس اللّفظ المفرد، أو كما يطلق عليه البلاغيون (الفصاحة)، وإيقاع خارجي نعني به الموسيقى الناتجة عن ارتباط عدد من الألفاظ، وتآلفها مع بعضها البعض، هذا الارتباط والتآلف بين الألفاظ يولِّد الإيقاع العام الخارجي للنَّص، فوقع جرس اللّفظ ووقع تأليف أصوات حروفها، وحركاتها على الأذن دور مهمّ في إثارة الانفعال المناسب؛ حيث يعتبر منبهاً قوياً لإثارة الانفعالات الخاصة والمناسبة لتحريك مخيلة المتلقي والمتكلِّم على السواء.[3]

ينطوي الإيقاع الموسيقي على بعد إبلاغي ذي قيمة تأثيرية إقناعاً واستمالةً؛ فهو وفي الوقت نفسه يشحن معه مجموع الأحاسيس والانفعالات الَّتي يحملها الخطيب صادقاً؛ ليدفع بها في سلسلة لغوية من الأصوات، الَّتي تترك أثراً براغماتيّاً؛ من خلال تنوعاتها الإيقاعية؛ ارتفاعاً وانخفاضاً، شدَّةً ولياً، استعطافاً وتهويلاً، كلّ هذه وغيرها لن يجسدها سوى وقع الصَّوت اللّغوي في أذهان السَّامعين وخير ما نمثله له خطبة "علي بن طالب" في أهل العراق قوله:

---

[1]- ينظر: محمود ابراهيم شادي، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، الشركة الإسلامية للإنتاج والتوزيع والإعلان (الرسالة)، الدقي ط1، (1409هـ/1988م)، ص:11،12.

[2]- هامل شيخ، التواصل اللغوي في الخطاب الإعلامي، ص:24.

[3]- ينظر: سمير أبو حمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية، ص:69.

((لوددت أنِّي لم أركم! معرفة والله جرَّت ندماً وأعقبت سدما)) ويقول: ((يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال وعقول ربات الحِجَال)) ويقول: ((يغار عليكم ولا تغيرون ولا تغزون، ويعصى الله وترضون))؛ يظهر جليّاً ما لهذه العبارات الساخطة من ترابط في المقاطع، ومن تناغم وجرس وسلاسة لفظية، فالتدرج الكامن في طيات النَّفس يتدرّج من الرغبة في عدم رؤية أولئك الرجال الَّذين يثيرون الاشمئزاز إلى الرغبة في عدم معرفتهم؛ لأنَّه يرى أنَّهم عديمي الرجولة، إلى تصوير الألم الشدّيد الَّذي سببته معرفته بهم.[1]

نخلُص إلى أنَّ علماءنا نقّبوا وفحّصوا ومحّصوا ورتّبوا وصنّفوا في عدَّة جوانب لغوية حسب ما استدعته الدِّراسة واهتماماتهم اللّغويّة في زمانهم، من غير أن نجد نظرية قائمة بذاتها، أو وظائف لغويّة قارة، وهذا لا ينفي ما ألفيناه متناثراً هنا وهناك وله صلة وتواشج مع الإبلاغية، أو ما اصطلحنا عليه بالوظيفة الإبلاغية، كما تداخلت الإبلاغية مع الوظيفة التواصليّة والدِّراسات الأسلوبيّة والبلاغية وغيرها في الكثير من المواطن.

وما يثير فينا البحث والاستقصاء هو كيف تجسَّدت الوظيفة الإبلاغية في الصَّوت اللّغوي؟ لهذا الغرض سنبحث في الدِّراسات الصَّوتية، ونسلط الضوء على علم وظائف الأصوات (الفونولوجيا) بالأخص على اعتبار أنَّ بحثنا يدور حول دلالة الصَّوت اللّغوي والقيم التعبيرية الَّتي يحملها، لنتمكّن من ربط الصّلة بينه وبين الوظيفة الإبلاغية في أداء الرسالة الخطابية، وعليه سنتطرقّ إلى الصَّوت اللّغوي ودلالته الوظيفية بشيء من التفصيل في الفصل الأوَّل.

[1]- ينظر: سمير أبو حمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية، ص:47.

الفصل الأوَّل: الصَّوت اللّغوي ودلالته الوظيفية

- ماهية الصَّوت اللغوي وتعريفه
- علم الأصوات (فوناتيك) وفروعه
- علم وظائف الأصوات (الفونولوجيا) ومباحثه
- الفونولوجيا ومستويات اللغة
- اختلاف اللهجات العربية والنظام الصَّوتي
- عيوب النطق والتغيرات الفونيمية

توطئة:

يعدُّ الصَّوت اللّغوي ركيزة الدِّراسات الصَّوتية؛ حيث يتناول علم الأصوات بالدِّراسة أصوات اللّغة في جانبها المادي؛ وذلك من أجل وصفها وتفسيرها، وتصنيفها، معتمداً في ذلك كلِّه على النظريات والمعارف المستمدَّة من فروع علم الأصوات الثلاثة: علم الأصوات المخرجي أو النطقي وعلم الأصوات الأكوستيكي أو الفيزيائي، وعلم الأصوات السَّمعي، وقد أصبحت هذه العلوم في الوقت الحاضر علوماً متطورة تستعمل الآلات والأجهزة المختلفة، يطلق عليه علم الأصوات التجريبي.[1]

وعلم الأصوات معرَّب عن مصطلح (Phonétique) (الفوناتيك) في الجانب الماديّ، وهناك جانب وظيفيّ لأصوات اللّغة أطلقوا عليه علم وظائف الأصوات (Phonologie)، وعُرِّب إلى (الفونولوجيا)؛ الأوَّل يكتفي بدراسة المادة الصَّوتية من حيث كونها أحداثاً منطوقة، والثاني يبين وظائف هذه الأصوات وقيمتها في اللّغة؛ منتهيا بوضع قواعد ونظم تحدِّد نوعيات هذه الأصوات وصنوفها من حيث أدوارها في البناء اللّغوي.[2] والسؤال الَّذي يطرح نفسه: ماذا نقصد بالصَّوت والصَّوت اللّغوي بالذات؟

1- تعريف الصَّوت:

لغةً: الصَّوت في (لسان العرب) الجرس، معروف مذكَّر، وقد جاء ذكر الصّوت مؤنثا كما في قول رويشد بن كثير الطائي:

يَأَيُهَا الرَّاكِبُ المزْجِي مَطِيَّتَهُ *** سَائِلْ بَنِيْ أَسَدٍ مَا هَذِهِ الصَّوتُ؟

---

[1]- ينظر:محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن، ط1، (1996م) ص:08.

[2]- ينظر:كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، (2000م)، ص:09.

فإنَّما أنَّثه لأنَّه أراد به الضوضاء والجَلَبَة على معنى الصَّيحة، أو الاستغاثة، وقد صاتَ يصُوتُ ويَصَاتُ صوتاً، وصوَّت به: كلُّه نادى، ويقال: صوَّت يُصوِّت، تصويتاً فهو مُصَوِّت، وذلك إذا صوَّت بإنسانٍ فدعاه، ويقال: صات يصوت صوتا، فهو صائت معناه صائح؛[1] يظهر من تعريف الصَّوت لغة هو: الجرس، والصياح، والنداء، والدَّعوة، والاستغاثة.

اصطلاحاً: الصَّوت عند "إبراهيم أنيس" ((ظاهرة طبيعية ندرك أثرها قبل أن ندرك كنهها))[2] بمعنى أنَّ للصَّوت أثراً ندركه عن طريق حاسة السَّمع قبل أن نعرف المقصود بالصَّوت في حدّ ذاته وقد سبق أن تطرق علماء العربية لمصدر الصَّوت، وتميزوا بدراستهم لأصوات العربية، بل وكان لهم قصب السبق في ذلك ابتداء بمعجم العين "للخليل بن أحمد الفراهيدي" (ت.170هـ)، وقبله "أبو الأسود الدؤلي" (ت.69هـ) في نقط المصحف الشريف، وتميَّز علماء العرب الفلاسفة منهم بالذات بدراسة مصدر الصَّوت وانتقاله.

يُرجع "ابن سينا"(ت.427هـ) سبب حدوث الصَّوت ((لتموج الهواء دفعة بسرعة وبقوة من أي سبب كان))[3]؛ أي أنَّ السبب الرئيس لحدوث الصَّوت عند "ابن سينا" هو اندفاع الهواء بسرعة وبقوة، إضافة إلى أنَّ ((الصَّوت أمر حادث ينشأ بسبب من هذا السَّبب القلع أو القرع، فأمَّا القرع فهو أن تضرب صخرة أو خشبة بشيء فيحدث صوتاً، وأمَّا القلع فمثلما تنزع أحد شقي خشبة عن الآخر، وإذا زال السَّبب المحدث للصَّوت توقف إلاَّ من تردد (صدى) يستمر لحظات ثمَّ ينقطع)).[4]

وهذا حسب رأي "ابن سينا"(ت.427هـ) في قوله: ((يحدث أيضا عن مقابل القرع وهو القلع وذلك أنَّ القرع هو تقريب جرم ما إلى جرم مقاوم له، لمزاحمته تقريباً تتبعه مماسَّة عنيفة لسرعة حركة

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، باب الصاد، ص:2521.

[2]- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة، مصر، (د ط)، (د ت)، ص:05.

[3]- ابن سينا أبي علي الحسين بن عبد الله ، رسالة أسباب حدوث الحروف، تح: محمد حسَّان الطيَّان ويحي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، (د ط)، (د ت)، ص:56.

[4]- إبراهيم خليل، صوتيات ابن سينا (مقال)، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 32، ع.3،(2005م) ص:543.

التقريب وقوّتها، ومقابل هذا تبعيد جرم ما عن جرم آخر مماس له منطبق أحدهما على الآخر، تبعيداً ينقلع عن مماسَّته انقلاعاً عنيفاً لسرعة حركة التبعيد، وهذا يتبعه صوت من غير أن يكون هناك قرع.»[1]

وعليه كلّ صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتز «تتوقف شدَّة الصَّوت أو ارتفاعه على بعد الأذن من مصدر الصَّوت، فعلى قدر قرب الأذن من ذلك المصدر يكون وضوح الصَّوت وشدَّته.»[2]

1-1 تعريف الصَّوت اللّغوي وماهيته:

يستلزم وجود صوت لغوي عضو يصدر هذا الصَّوت، وآخر يستقبله انطلاقاً من الأثر الَّذي يتركه؛ أي «الصَّوت اللّغوي أثر سمعيّ يصدر طواعية واختياراً عن تلك الأعضاء المسماة (أعضاء النطق)، والملاحظ أنَّ هذا الأثر يظهر في صورة ذبذبات معدّلة، وموائمة لما يصاحبها من حركة الفم بأعضائه المختلفة، ويتطلب الصَّوت اللّغوي وضع أعضاء النطق في أوضاع معينة محدَّدة، أو تحريك هذه الأعضاء بطريقة معينة محدَّدة أيضا؛ ومعنى ذلك أنَّ المتكلِّم لا بدَّ أن يبذل مجهودا ما كي يحصل على أصوات لغوية».[3] وقد أدرك "إخوان الصفا" نشأة الصَّوت والمراحل الَّتي يمر بها نوجزها في ما يأتي:[4]

- ❖ مرحلة حدوثه أو إصداره.
- ❖ مرحلة انتقاله.
- ❖ مرحلة سماعه.
- ❖ مرحلة إدراكه.

---

[1]- ابن سينا أبي علي الحسين بن عبد الله ، رسالة أسباب حدوث الحروف ، ص:57.

[2]- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص:05.

[3]- كمال بشر، علم الأصوات، ص:119.

[4]- ينظر: أبو السعود أحمد الفحلاني، البحث اللغوي عند إخوان الصفا، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، (1411هـ/1991م) ص:83.

وفي المقابل ضبط "ابن سينا" (ت.427هـ) تعريفاً للصَّوت اللغوي بقوله : ((هيئة للصَّوت عارضة له يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدَّة والثقل تميزا في المسموع...والحروف بعضها في الحقيقة مفردة وحدوثها عن حبسات تامة للصَّوت أو الهواء الفاعل للصَّوت، يتبعها إطلاق دفعة وبعضها مركبة وحدوثها عن حبسات غير تامة لكن تتبع إطلاقات.))[1]

يتميز الصَّوت اللّغوي-الحرف- عن غيره من الأصوات بوجود حسّ صوتيّ مغاير يستطيع السَّامع من خلاله التَّمييز بين وحدة صوتية لغويّة وأخرى حتَّى وإن تشاركا في الحدَّة والثقل، مثل: (الحاء) و(الخاء) في حائر وخائر.

وعرَّف "الجاحظ" (ت.255هـ) الصَّوت اللّغوي بقوله: ((الصَّوت آلة اللفظ، والجوهر الَّذي يقوم به التقطيع به يوجد التأليف ولن تكون حركات اللّسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلاَّ بظهور الصَّوت.))[2] يؤكدِّ "الجاحظ" على الجانب النطقي الَّذي يظهر من خلاله الصَّوت، والَّذي يصدر في شكل مقاطع تترابط عبر حركات اللّسان لتكوّن كلاما منظوماً أو منثوراً.

1-2 التمييز بين الصَّوت والحرف:

كثيراً ما نعتقد أنَّ الصَّوت هو نفسه الحرف استناداً إلى أقوال علمائنا الأجلاء وخاصة منهم "ابن سينا" من خلال مؤلفه (أسباب حدوث الحروف) بدل (أسباب حدوث الأصوات) ولعلَّه بهذا يقصد الأصوات اللغوية للتفريق بينها وبين باقي الأصوات كأصوات الحيوانات، والصَّوت عند "الجاحظ"(ت255.هـ) بالنسبة للتقطيع هو بمنزلة الحبر الَّذي في القلم بالنسبة الكتابة نفسها، فكما أنَّ الحبر مادة يظهر من خلالها الكلام المكتوب فكذلك الصَّوت مادة يظهر من خلالها الكلام الملفوظ.[3]

---

[1]- ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، ص:60.

[2]- الجاحظ، البيان والتبيين، 79/1.

[3]- ينظر : محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغة والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(1994م)، ص:111.

توصل"محمد جواد النوري" إلى أنَّ: ((الحروف وحدات من نظام، ولهذه الوحدات أقسام ذهنية لا أعمال نطقية على نحو ما تكون الأصوات، والفرق واضح بين العمل الحركي للصَّوت، وبين الإدراك الذهني الَّذي للحرف.)) [1] أي بين ما هو مادي محسوس، وبين ما هو معنوي مفهوم.

وقد فرقت "منال أبو الحسن" بين الصّوت والحرف بشكل أكثر تبسيطاً مما أشار إليه "الجاحظ" و"محمد جواد النوري" بقولها: ((إن الحرف ما يكتب وهو رسم تعارف النَّاس على كتابته باليد، ويدرك بالعين المجردة، ويكتب على الورق بالقلم والحبر، فهو كمّ مادي، أو شكل هندسي يرسمه كلّ فرد تعلَّم القراءة والكتابة، ويفهمه كلّ مَنْ أوتي حظّاً من ذلك ولو يسيراً، أمّا الصَّوت فهو الَّذي ينطق وهو لا يدرك بالعين، وإنَّما يدرك بالسَّمع، وهو لا يرى لأنَّه تموجات صوتية ترسلها عضلات الجهاز الصَّوتي.))[2]

بهذا الشكل المبسط في الشرح تمكَّنت (منال أبو الحسن) من وضع حدود فارقة بين الصَّوت والحرف في الوقت الَّذي مازال يعتقد الكثير أن الصَّوت اللّغوي هو نفسه الحرف، في حين قد يكون الصّوت اللّغوي سلسلة من المقاطع الصّوتية يعدّ الحرف فيها أصغر وحدة، والَّتي بالضرورة هي حروف متراصة بينها وقفات وسكتات لتشكِّل وحدات فونيمية ذات دلالات، ولتمييز دلالة المقاطع الصّوتية فيما بينها، هذا كلّه لغرض التواصل والتحاور والإبلاغ.

2- المراحل الَّتي يمر بها الصَّوت اللغوي:

يمر الصَّوت اللّغوي في أثناء عملية التواصل بمراحل متعددة؛ ((هي عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات تجمع بين متكلِّم ومستمع ووسط بينهما ينتقل عبره الصَّوت، وتبدأ تلك العملية بأحداث نفسية وعمليات عقلية تجري في ذهن المتكلِّم قبل الكلام أو في أثنائه، ثمَّ يتحقق لتلك الأحداث وجود نطقي حين يرسل المخ أوامر إلى أعضاء النطق؛ على هيئة مثيرات عصبية تنطلق عبر ممرات عصبية إلى تلك الأعضاء، حيث تقوم بتحركات معينة فتعوق تدفق الهواء القادم من الرئتين، ممَّا

[1]- محمد جواد النوري، علم أصوات العربية، ص:121.

[2]- منال أبو الحسن، الصوتيات علم وفن تدريب وممارسة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، (2014م)، ص:25،26.

يترتب على ذلك عملية تقطيع للأصوات، فتظهر على صورة أصوات كلامية منطلقة عبر الشفتين إلى الهواء الخارجي، ثمَّ تنتقل تلك الأصوات على هيئة موجات صوتية عبر وسط ناقل إلى أذن المستمع فتحدث أيضا عمليات عضلية، وعصبية تنتهي بأحداث نفسية، وعمليات عقلية تجري في ذهنه لتفسير تلك الموجات وإدراك ما تحمله من معان».[1] هذه السلسلة من العمليات المتّصلة اعتنى بدراستها علم الأصوات.

3- علم الأصوات (فوناتيك) وفروعه:

يدرس علم الأصوات (Phonétique) الصَّوت اللّغوي من حيث مخرجه وصفته وكيفية صدوره وانتقاله، ويطلق عليه الصّوتيات، وهو فرع من فروع علم اللّغة، ومما سبق تبيَّن أنّ للصَّوت اللّغوي ثلاث جوانب مهمَّة ومتعالقة بعضها ببعض هي فروع علم الأصوات: جانب نطقي فسيولوجي وجانب فيزيائي، وجانب سمعيّ، والَّتي تعدّ ركائز أساسية في علم الأصوات أو الصَّوتيات العامة(الفوناتيك)، نُحَوْصِلُ حديثنا حولها فيما يأتي:

3-1 علم الأصوات النطقي أو الفسيولوجي (physiologie phonétiques):

يعدُّ هذا الفرع من اللّغويات أقدم فروع علم الأصوات، وأرسخها قدماً وأكثرها انتشاراً في البيئات اللّغوية كلِّها، بل إنَّ هذا الفرع بقي الفرع الصَّوتي الوحيد المهيمن على الدِّراسات الصَّوتية حتَّى القرن التاسع عشر تقريباً، ويرجع ذلك حسب "محمد جواد" إلى أنَّه سهل المنال للملاحظة الذَّاتية، والممارسة الشخصية عن طريق التدقيق في الأصوات، ونطقها مرة بعد أخرى، وتحديد مواضع النطق، وتعيين حركات أعضاء النطق، وهذه أمور بمقدور الباحث العادي أن يمارسها بنفسه دونما حاجة إلى عناء كبير أو تدريب شاق،[2] وعليه يقوم هذا الفرع على تحديد مخارج الحروف، وبيان الصفات الصَّوتية الخاصة بكلِّ حرف، ونظراً لأهميّة هذا الفرع في تحديد دلالة الصَّوت اللّغوي انطلاقا من مخرجه وصفته نتطرق إليه بشيء من التفصيل فيما يأتي:

---

[1]- أبو السعود أحمد الفحلاني، البحث اللغوي عند إخوان الصفا، ص:117.

[2]- ينظر: محمد جواد النوري، علم أصوات العربية، ص:13.

3-1-1 مخارج أصوات اللغة العربية:

عدَّد علماء اللغة حروف العربية تسعة وعشرين حرفاً، وصنّفوا لها ستة عشر مخرجاً و((معنى المخرج أنَّه الموضع الَّذي ينشأ منه الحرف، وتَقْرُبُ معرفته أن يسكَّن الحرف وتدخل همزة الوصل عليه ليتوصل إلى النطق به، فيستقر اللّسان بذلك في موضعه فيتبيَّن مخرجه)) [1]؛توصل أسلافنا لضبط مخرج الحرف عن طريق تسكين الحرف وإدخال همزة الوصل عليه نحو: (اِبْ-اِجْ-اِخْ).

قدَّم "الداني" (ت.444هـ) تصنيفا لمخارج الحروف؛ جاعلاً للحلق منها ثلاثة مخارج وسبعة أحرف وللّسان منها عشرة مخارج وثمانية عشرة حرفاً، وللشفة مخرجين وأربعة أحرف، والمخرج السادس عشر مخرج التنوين يخرج من الخياشيم خالصا، وتلخيص ما جاء به في (التحديد) فيما يلي:[2]

- أقصى الحلق: الهمزة والألف والهاء.
- وسط الحلق: العين والحاء.
- أدنى الحلق: الغين والخاء.
- أقصى اللّسان مع الحنك اللّحمي: القاف.
- أقصى اللّسان مع الحنك اللّحمي والعظمي: الكاف.
- وسط اللّسان مع وسط الحنك الأعلى: الجيم والشين والياء.
- طرف اللّسان وأصول الثنايا العليا مُصعدا إلى الحنك: الطاء والتاء والدال (نطعية).
- ما بين طرف اللّسان وأطراف الثنايا العليا: الظاء والذال والثاء (لثوية).
- الفرجة الَّتي بين طرف اللّسان والثنايا العليا: الصاد والزاي والسين (أسلية).
- طرف اللّسان بينه وبين ما فويق الثنايا العليا ويتصل بالخياشيم: النون

[1]- الداني أبي عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي، التحديد في الإتقان والتجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمّار، عمان الأردن، ط1، (1421هـ/ 2000م)، ص: 102.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص:102-104.

- حافة اللّسان وما يليها من الأضراس: الضاد.
- أدنى حافة اللّسان إلى ما يليها من الحنك الأعلى: اللام.
- طرف اللّسان بينه وبين ما فويق الثنايا العليا، غير أنَّه أدخل من النون في ظهر اللّسان لانحرافه إلى اللام: مخرج الراء.
- باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا: الفاء.
- ما بين الشفتين حين تنطبق الشفتين: الباء والميم، وحين لا تنطبقان: الواو.

3-1-2 صفات أصوات اللّغة العربية:

الصفة هي الكيفية العارضة للحرف عند حصوله في مخرجه، وهي على قسمين: قسم له ضدّه وقسم لا ضدّ له، فالذي له ضدّ خمس هي: الهمس ضده الجهر- الشدّة والتوسط ضدهما الرخاوة- الاستعلاء ضده الاستفالة- الإطباق ضده الانفتاح- الإذلاق ضده الإصمات، والَّذي لا ضدَّ له سبع: الصفير- القلقلة- الإنحراف- التكرار- اللين- التفشي- الاستطالة.[1] ولبيان هذين القسمين ارتأينا أن نجملهما في الجدول الآتي:[2]

قسم له ضد	قسم لا ضد له
الهمس لغة: الخفاء، **اصطلاحاً:** جريان النفس عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على المخرج، وحروفه مجموعة في قولك (فحثه شخص سكت). **الجهر لغة:** الإعلان، **اصطلاحاً:** انحباس جري	**الصفير:** صوت يشبه صوت الطائر، يصحب النطق بأحد حروفه وهي ثلاثة: الصاد، الزاي السين. **القلقلة لغة:** الحركة، **اصطلاحاً:** اضطراب الحرف في مخرجه عند النطق به، وتظهر واضحة

[1]- ينظر: محمد صادق القمحاوي، البرهان في تجويد القرآن، دار الفا للنشر والتوزيع، مكتبة الرائد العربي، ط1 (1433هـ/2012م)، ص:37،38.

[2]- ينظر: مكي أبي محمد بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح: أحمد حسن فرحات، دار عمَّار، عمان، ط3، (1417هـ/1996م)، ص: 115-135.

النفس عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على المخرج وحروفه ما عدا حروف الهمس.

الشدة لغة: القوة، **اصطلاحاً:** انحباس جري الصَّوت عند النطق بالحرف لكمال الاعتماد على المخرج وحروفه مجموعة في قولك: (أجد قط بكت).

الرخاوة لغة: اللين، **اصطلاحاً:** جريان الصَّوت مع الحرف لضعف الاعتماد على المخرج وحروفه ما عدا حروف الشدَّة والتوسط والجهر.

الاستعلاء لغة:الارتفاع، **اصطلاحاً:** ارتفاع اللسان عند النطق بالحرف إلى الحنك الأعلى وحروفه هي مجموعة في قولك: (خصَّ ضغط قظ).

الاستفالة لغة: الانخفاض، **اصطلاحاً:** انحطاط اللسان عند خروج الحرف من الحنك إلى قاع الفم، وحروفه هي ما عدا حروف الاستعلاء وعددها اثنان وعشرون حرفا.

الانطباق لغة: الالتصاق، **اصطلاحاً:** تلاصق ما يحاذي اللسان من الحنك الأعلى وحروفه هي: الصاد، الضاد، والطاء، والظاء.

الانفتاح لغة: الافتراق، **اصطلاحاً:** عبارة عن انفتاح ما بين اللسان والحنك وخروج النفس من بينهما عند النطق بحروفه، وهي ما عدا حروف

إذا كان الحرف ساكناً، وحروفه مجموعة في قولك:(قطب جد) وللقلقلة ثلاثة أقسام:

1. أقوى ما تكون القلقلة في الحرف المشدّد نحو: (الحقُّ)، (وتبَّ) (الحجُّ) سميت قلقلة كبرى.
2. ويليه الساكن المتطرف غير المشدَّد عند الوقف عليه نحو: قريب، خلق سميت قلقلة وسطى.
3. ثم الساكن المتوسط نحو: (يدخلون) (يبدأ) وسميت قلقلة صغرى.

اللين: هو مد حرفي الواو والياء الساكنين بعد فتح حالة الوقف مثل: فَوْقْ، بَيْتْ، أما في حالة الوصل فلا يمدد، ويجوز في مدّه حركتان أو أربع أو ست.

الانحراف: وهو ميل الراء واللام عن مخرجهما إلى طرف اللسان، فاللام تميل إلى مخرج النون والراء تميل إلى ظهر اللسان.

التكرير: هو قبول الراء التكرار لارتعاد طرف اللسان عند النطق بها.

التفشي: هو عبارة عن انتشار النفس في الفم عند النطق بالشين، وسمي متفشياً؛ لأنَّه تفشى في مخرجه حتَّى اتصل بمخرج غيره.

الاستطالة: هو امتداد الضاد في مخرجها حتى

الانطباق. **الذّلاقة لغة:** الفصاحة، **اصطلاحاً:** الاعتماد على ذلق اللسان والشفة، أي طرفيهما وحروفها جمعت في قولك: (فر من لب). **الإصمات لغة:** المنع، وحروفه ما عدا المذلقة وسميت مصمتة لأنها ممنوعة من انفرادها في كلمة على أربعة أحرف أو خمسة.	تتصل بمخرج اللام، وسمي كذلك لاستطالته في الفم حتَّى اتصل بمخرج اللام.

3-1-3 تصنيف الأصوات اللغوية:

لأصوات اللّغة عدَّةُ تصنيفات أشهرها التصنيف الثنائي؛ والمعروف بـ: (أصوات صامتة) (Consonants)، والثاني (الأصوات الصائتة) (Vowels)؛ ينبني هذا التصنيف على معايير معينة تتعلق بطبيعة الأصوات وخواصها المميزة لها بالتركيز في ذلك على معيارين مهمَّين هما: وضع الأوتار الصَّوتية، والثاني طريقة مرور الهواء من الحلق والفم أو الأنف عند النطق بالصَّوت المعين، وبالنَّظر في هذين المعيارين معاً وجد أنَّ الأوتار الصَّوتية تكون غالباً في وضع الذّبذبات عند النطق بالصوائت (الحركات)، فالهواء في أثناء النطق بها يمرّ حرّا طليقاً من خلال الحلق والفم،[1] وتوضيحها في ما يأتي:

أ) الصوائت (Vowels):

يراد بالصوائت " الفتحة والضمة والكسرة والألف والواو والياء أي الحركات القصيرة والطويلة"[2]، ومن المعلوم أنَّ أصوات الحركات كلّها مجهورة؛ والسبب في ذلك واضح وبسيط فالحركات وقد فقدت الانسداد الكامل الَّذي تنشأ عنه الصوامت الانفجارية[♣]، والانسداد الجزئي

[1]- ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص:149،150.

[2]- رشيد عبد الرحمن العبيدي، معجم الصوتيات، مكتبة الدكتور مروان العطية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، جمهورية العراق، ط1، (1428هـ/2008م)، ص: 188.

♣- الانفجاري: صوت ينحبس معه تيار النفس ثم ينطلق بشكل انفجار طفيف مثل: ب-ت -د.

الَّذي تنشأ عنه الصوامت الاحتكاكية(♦)، لم يبق لها إلاَّ الوتران الصَّوتيان لتعتمد عليهما في تصويتها وعلى هذا فلولا الجهر الَّذي هو تدخُّل الوترين الصَّوتيين لمرَّ الهواء من الرئتين إلى الخارج دون تدخُّل يذكر تماما كما يحدث في الزفير، فالجهر في الحركات هو الَّذي يجعلها صوتاً مسموعاً وليس مجرد زفير.[1]

ب) الصوامت (Consonants):

تشمل الأصوات الصامتة الأصوات الانفجارية والاحتكاكية والأنفية والجانبية والانزلاقية يحدث عند النطق بها إعاقة أو إيقاف لتيار النفس[2]، بمعنى جميع الحروف عدا حركاتها، يلخّص لنا "محمود السَّعران" تصنيف الأصوات إلى صوائت وصوامت بقوله: ((يحدَّد الصَّوت الصَّائت في الكلام الطبيعي بأنَّه الصَّوت المجهور الَّذي يحدث في تكوينه أن يندفع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلق والفم، وخلال الأنف معهما أحياناً، دون أن يكون ثمَّة عائق يعترض مجرى الهواء اعتراضاً تامّاً، أو تضييق لمجرى الهواء، من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا، وأي صوت في الكلام الطبيعي لا يصدق عليه هذا التعريف يعدّ صوتا صامتا.))[3] وهذا يتطابق مع ما تقدم من شرح.

هذا ويشكل الصامت زائد الصائت أصغر وحدة صوتية، ويشكل تسلسل مقاطع أصوات اللّغة مفردة أو مركبة مفردات اللغة، وتحيل المقاطع الصَّوتية المركبة لدلالات يتمُّ التواصل بواسطتها أي تحمل الوحدات الصَّوتية قِيِّماً تعبيرية، وهو الجانب الوظيفي الَّذي اعتنى به علم وظائف الأصوات.

3-2 علم الأصوات الأكوستيكي أو الفيزيائي(Acoustique et physique phonétiques):

يعدّ علم الأصوات الأكوستيكي فرعاً من الفوناتيك حديث العهد بالوجود نسبياً؛ يهتمُّ بدارسة الخصائص المادية أو الفيزيائية للأصوات اللّغوية أثناء انتقال الرسالة اللّغوية من المتكلِّم إلى

♦- الأحتكاكي: يقصد به احتكاك تيار النفس بأعضاء النطق.

[1]- ينظر: أيوب عبد الرحمن، أصوات العربية، مطبعة الكيلاني، القاهرة، ط2، (1968م)، ص:176.

[2]- ينظر: محمد علي الخولي، معجم علم الأصوات، مطابع الفرزدق التجارية، ط1، (1402هـ/1982م)، ص:91.

[3]- محمود السَّعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص:148.

السَّامع، أو على وجه التحديد إلى أذن السَّامع، وتتركز وظيفة هذا العلم على دراسة التركيب الطبيعي للأصوات؛ فهو يحلِّل الذبذبات والموجات الصَّوتية المنتشرة في الهواء، بوصفها ناتجة عن ذبذبات ذرَّات الهواء في الجهاز النطقي المصاحبة لحركات أعضاء هذا الجهاز،[1] ويمثل المرحلة الوسطى بين علم الأصوات النطقي، وعلم الأصوات السّمعي.

3-3 علم الأصوات السَّمعي (Audio phonétiques):

يعدّ هذا الفرع من أحدث فروع علم الأصوات (الفوناتيك) على الإطلاق، وهو ذو جانبين: جانب عضوي أو فسيولوجي (physiologie)، وجانب نفسي (psychologico)؛ يقوم الجانب الأوَّل على دراسة جهاز السَّمع لدى الإنسان ألا وهو (الأذن)؛ وذلك بالاعتماد على علم التشريح، فنتعرف من خلال هذا الجانب على مكونات الجهاز السَّمعي، هذا العضو المكلَّف باستقبال الذبذبات الصَّوتية وتحويلها إلى ذهن المستمع، يأتي بعده دور الجانب الثاني وإن لم يصل العلم بعد لتفصيلات مهمَّة حوله، إلاَّ أنَّه يقوم على البحث في العمليات الَّتي تجري في الذهن لفك شفرات الرسالة الَّتي تستقبلها الأذن.[2]

4- علم وظائف الأصوات (الفونولوجيا):

يدرس علم وظائف الأصوات، أو "الفونولوجيا (Phonology) وظيفة الوحدة الصَّوتية في داخل السلسلة الكلامية، وتفاعل بعضها مع بعض وتأثير بعضها في بعض، وقد يُسمّى أيضاً علم الصَّوت الوظيفي"[3].

يتناول بالدَّرس الأنظمة الصَّوتية للّغات، ووضع قوانين عن طبيعة هذه الأنظمة بعامة ويدرس ذلك تحديداً الوحدات الصَّوتية التمييزية؛ أي الوحدات الصَّوتية ذات القيمة الدَّلالية التفريقية في لغة معينة، كما يدرس أيضاً تثبيت نظام الوحدات الصَّوتية التركيبية أو القطعية، والملامح الصَّوتية غير التركيبية، أو غير القطعية في كلّ نظام، وإقامة تقابلات وظيفية بين تلك الوحدات، وذلك من أجل

[1]- ينظر: محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، ص:14.

[2]- ينظر: مناف مهدي محمد الموسي، علم الأصوات اللغوي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، (1998م)، ص:14.

[3]- رشيد عبد الرحمن العبيدي، معجم الصوتيات، ص:125.

تعيين التشكيلات المختلفة لها في اللّغة الواحدة، وكذلك تعيين الارتباطات القائمة بين تشكلات الوحدة التمييزية الواحدة، بالإضافة إلى تعيين الارتباطات القائمة بين تشكُّلات مختلف الوحدات.[1]

طبيعة المركبات الفونولوجية: تنقسم المركبات الفونولوجية إلى قسمين هما:

أولاً: الوحدات الصَّوتية التركيبية أو القطعية:

يقصد بالوحدات الصَّوتية التركيبية أو القطعية تلك العناصر الَّتي تكون جزءاً أساسيّاً من الكلمة المفردة؛ ويشمل ذلك الصوامت كالباء والتاء وغيرها، والصوائت كالفتحة والضمة والكسرة قصيرة وطويلة، ((يعتمد هذا النوع من الفونولوجيا على تحليل الكلام إلى قطع صوتية صغرى متميزة تسمى الفونيمات))؛[2] كتمييز التاء من الطاء في طاب وتاب.

الفونيم (phonème):

يعدّ الفونيم ((أصغر وحدة صوتية يستطيع المرء تغييرها في الكلمة، ويستطيع من خلالها التمييز بين كلمة وأخرى في الدَّلالة، ولا يمكن تقسيمها إلى عناصر صوتية، ولا وظائف مهمّة في تركيب كلّ لغة على حدة))[3]، أطلق مصطلح (الفونيم) على الصَّوت بمعناه المطلق، وبمرور الزمن وتطور الفكر الصَّوتي قصر استخدامه للإشارة إلى الصَّوت المعين؛ من حيث قيمته ووظيفته في اللّغة المعينة ينعته بعضهم بالوحدَّة الصَّوتية كالباء والتاء والثاء وغيرها.[4]

وهناك رأي آخر يقدمه "كمال بشر" ((أنَّ الفونيم حزمة من الخواص الصَّوتية الأساسية الَّتي يعتمد عليها في التفريق بين الوحدات الصَّوتية للغة ما؛ فالميم في العربية مثلاً ينظر إليها على أنَّها مجموعة من السمات التالية: أنفية، شفوية، مجهورة، وهذه الخواص الثلاث الأساسية الفارقة بين الميم

[1]- ينظر: محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، ص:92.

[2]- المرجع نفسه، ص:98.

[3]- رشيد عبد الرحمن العبيدي، معجم الصوتيات، ص:132.

[4]- ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص:19،20.

وغيرها من الوحدات تسمى (السمات الفارقة)، الَّتي يرى أنَّه من الضروري أن نميز الوحدات الصَّوتية أو الفونيمات في لغة ما بعضها من بعض بوجود صفة فارقة واحدة على الأقل".[1]

وعليه "يمكننا اعتبار مصطلح (حرف) في اللّغة العربية مقابلا لمصطلح (فونيم) في اللّغة الانجليزية، كما يمكننا أن نعتبر مصطلح (صوت) في اللّغة العربية مقابلا لمصطلح (ألوفون) في اللّغة الانجليزية".[2]

الألفون (Allophone):

الألفون "مصطلح أوربي يراد به الحالات الَّتي تعتري الصّوت الواحد من تشكلات في التصويت بين التفخيم والترقيق والإخفاء والإظهار والتحقيق والتخفيف، وليس لهذه التغيرات تأثير في دلالة الكلام؛ لأنَّ الدَّلالة من وظيفة الفونيم، ويُدخل بعضُ الباحثين (الحركات) الَّتي تلحق الفونيمات كالفتحة والضمة والكسرة تحت مصطلح (الألفون)، فهذه الحركات لا تُغيِّر من حقيقة الصّوت اللّغوي، ولكنها تكون أعضاء لفونيم واحد، أو ألفونات للفونيم الواحد".[3]

الثنائيات الصغرى:

يقصد بها " أقل تقابل ممكن تسمح به بنية اللّغة، وينتج عنه اختلاف في المعنى المعجمي؛ أي كلمتان متماثلتان في أصواتهما باستثناء صوتين اثنين (فونيمين)، يقعان في موضعين متناظرين منهما مع اختلاف الكلمتين في المعنى، وعندئذ يعدُّ الصوتان المختلفان منتميين إلى فونيمين مختلفين، ومن أمثلة ذلك التقابل القائم بين الكلمتين: تاب وذاب".[4]

[1]- كمال بشر، علم الأصوات ، ص:489.

[2]- محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، ص:121.

[3]- رشيد عبد الرحمن العبيدي، معجم الصوتيات، ص: 50.

[4]- المرجع السابق، علم الأصوات العربية ، ص:117.

المورفيم (Morphème):

استعمل علماء الأصوات الغربيّون مصطلح المورفيم بمعنى أنَّه مصطلح غير عربي؛ أخذ به باحثو الأصوات العرب، وحقيقته هي السوابق واللواحق والحشو من العلامات المميزة بين المعاني والدَّلالات كالألف واللام للتعريف، وألف التثنية، وواو الجماعة.[1]

إضافة إلى هذا ((تتألف الكلمة العربية من عنصرين؛ أحدهما ثابت هو مادة الكلمة، وثانيهما متحرك وهو مصوّتاتها، أمَّا مادة الكلمة فالجذر الثابت فيها الَّذي تنوع الصوائت معانيه وصيغه، من الجذر (درس) يمكن أن نشتق: دَرَسَ ، دَارَسَ، دُرِسَ...كما أنَّ الكلمة قد تنقص بالحذف لغرض صوتي ويمثل هذا النقصان في أصواتها نوعا آخر من أنواع تشكل الكلمة)).[2]

أقسام المورفيم: ينشطر المورفيم إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي:

أوَّلاً: أن يكون عنصراً صوتياً؛ وهذا العنصر قد يكون صوتاً واحداً أو مقطعاً أو عدَّة مقاطع.

ثانياً: أن يتكون المورفيم من طبيعة العناصر الصَّوتية المعبرة عن المعنى أو التصور أو الماهية.

ثالثاً: هو الموضع الَّذي يحتلّه في الجملة كلّ عنصر من العناصر الدَّالة على المعنى.[3]

أهمية دراسة الفونيم: نستنتج مما سبق أنَّ الغاية من دراسة الفونيم تكمن في ما يلي:[4]

- ✓ دراسة الفونيم تمكّننا من تمييز كلمة من أخرى.
- ✓ التفريق بين الكلمات في مستوياتها الصَّرفية والنَّحوية والدَّلالية.
- ✓ وسيلة مهمة في عملية تعلم اللّغات الأجنبية وتعليمها.
- ✓ يساعد على ابتكار ألفبائيات منظمة ودقيقة للغات.

---

[1]- ينظر: رشيد عبد الرحمن العبيدي، معجم الصوتيات، ص:198.

[2]- ديزيره سقال، الصرف وعلم الأصوات، دار الصداقة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، (1996م)، ص:25.

[3]- ينظر: محمود السَّعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص:218،219.

[4]- ينظر: محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، ص:126،127.

ثانياً: الوحدات الصَّوتية غير التركيبية أو غير القطعية:

يقصد بالوحدات الصَّوتية غير التركيبية أو الملامح الصَّوتية غير التركيبية أو غير القطعية ((تلك الملامح الصَّوتية الَّتي ستتأثر بها وحدات صوتية تركيبية، أو قطعية، وتكون ذات مغزى ومعنى في الكلام المتصل، ومن أمثلتها النبر والتنغيم والمفصل)) [1] بمعنى آخر هي ملامح صوتية ((تمتدّ عبر أطوال متنوعة، يسمى (فونيم فوق تركيبي) أو (البروسوديمات) أي فونيم بروسودي)).[2] ويسمى هذا النوع باسم ((الفونولوجيا التطريزية (Prosodic phonology))).[3]

مما سبق نتوصل إلى أنَّ الباحث يحتاج إلى تقسيم الكلام المتصل إلى مقاطع صوتية، بها يعرف نسج الكلمة في لغة من اللّغات؛ والمقاطع الصَّوتية نوعان: متحرك وساكن؛ المقطع المتحرك هو الّذي ينتهي بصوت لين قصير أو طويل، أمَّا المقطع السَّاكن فهو الَّذي ينتهي بصوت ساكن.[4] وبيان ماهية المقطع الصَّوتي وأقسامه فيما يلي:

4-1 المقطع الصَّوتي:

المقطع الصَّوتي هو أبسط وحدة نطقية؛ يتكون المقطع الصَّوتي في اللغة العربية من صوتين على الأقل ومن ثلاث أصوات على الأكثر، يحدَّد المقطع بالفترة الفاصلة بين عمليتين من عمليات غلق جهاز التصويت غلقاً كاملاً أو جزئياً.[5]

أو بتعريف آخر؛ هو أصغر كتلة نطقية يمكن أن يقف عليها المتكلِّم، فكلمة مثل: (كَتَبَ) مكونة من ثلاثة أحرف يمكن نطقها على ثلاث وحدات؛ الكاف المفتوحة، ثمَّ التاء المفتوحة ثمَّ الباء المفتوحة (كَ تَ بَ)، ولكلِّ لغة من اللّغات نظام مقطعي تتميز وتتحدّد به، ويتضح النظام المقطعي

---

[1]- محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية ، ص:94.

[2]- ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص:219.

[3]- المرجع السابق، ص:98.

[4]- ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص:87.

[5]- ينظر: الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، ط3 (1992م)، ص.77.

للّغة العربية بناء على قيمها وقوانينها الأصواتية من كراهية التقاء الساكنين، أو توصُّلاً إلى النطق بالساكن.[1]

إذن " المقطع من حيث بناؤه المثالي أو النموذجي أكبر من الصَّوت(Sound) وأصغر من الكلمة؛ وإن كانت هناك كلمات تتكون من مقطع واحد مثل (من) بفتح الميم أو بكسرها بلا فرق [man-min] والكلمة التي تتكون من مقطع واحد تسمى (أحادية المقطع) (monosyllabic word)، في حين الَّتي تتشكل من أكثر من مقطع يطلق عليها (متعدّدة المقاطع) (polysyllabic word)".[2]

4-1-1 أقسام المقطع اللّغوي:

تنقسم "المقاطع من حيث طولها وقصرها إلى ثلاثة أنواع؛ مقطع قصير ومقطع طويل ومقطع مديد، وهي ومن حيث نوعها مقفلة أو مفتوحة"[3] تفصيلها فيما يلي: [4]

- المقطع الأوَّل (القصير): هو ما تكوَّن من صوت صامت تتلوه حركة قصيرة، ومثاله (الكاف) في (كتب)، رمز علماء الأصوات للصامت أو الحرف (ص)، والأصوات الصائتة أو الحركة القصيرة (ح)، رمز هذا المقطع هو (ص ح) مثل: وَ، رُ، كِ
- المقطع الثاني متوسط مفتوح أو طويل مفتوح: يتكوَّن من صوت صامت تتلوه حركة طويلة رمزه (ص ح ح) مثل: لا- يا – ما.
- المقطع الثالث متوسط مقفل أو طويل مقفل: يتكوَّن من صوت صامت تتلوه حركة قصيرة فصوت صامت ورمزه (ص ح ص) مثل: لنْ – لمْ.

---

[1]- ينظر: أحمد كشك، من وظائف الصوت اللغوي –محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، ط1، (2002م)، ص.23.

[2]- كمال بشر، علم الأصوات، ص.503-504.

[3]- ديزيره سقال، الصرف وعلم الأصوات، ص:23.

[4]- ينظر: أحمد كشك، من وظائف الصوت اللغوي، ص:23-25.

- المقطع الرابع المديد النوع الأول: وأكثر ما يربط هذا المقطع بالوقف ويتكون من صامت فحركة طويلة، فحرف صامت، من نماذجه: ريم وعيد، ورمزه (ص ح ح ص).
- المقطع الخامس المديد النوع الثاني: ويتكون من حرف صامت تتلوه حركة قصيرة فحرفان صامتان نماذجه: ذئب الموقوف عليها، ورمزه (ص ح ص ص).

ملاحظات مهمَّة:

قدَّم علماء الأصوات ملاحظات جديرة بأن تُؤخذ بعين الاعتبار نلخصها في النقاط الآتية:[1]

- ✓ المقطع القصير محدود الاستعمال في العربية مقصور على بعض الضمائر والأحرف الَّتي لا تستعمل منفردة ومستقلة بمعناها متصلة بالكلمة، أو على بعض أفعال الأمر الَّتي تشتق من اللفيف المفروق مثل: قِ-عِ-فِ وهي أشكال لغوية محدودة جداً في اللغة قياسا على غيرها من الأشكال.
- ✓ المقطع المديد محدود أيضاً بالمقارنة مع الأشكال الَّتي سبق وذكرناها مقتصر على الوقف.
- ✓ المقطع الطويل المقفل والمفتوح هو الأكثر استعمالا في العربية، وبعض هذه المقاطع الطويلة ثابت الشكل في كلمات مستقلة جامدة غير قابلة للتصرف مثل: ما-لا.
- ✓ أكثر كلمات اللغة العربية يتكون مما فوق المقطع، ويشكل الأسماء والأفعال وبعض الأحرف، وربما كانت كلمة ثلاثية الأصل ثنائية النطق نحو: مال أصلها ميل.

يشير "تمام حسان" في هذا المقام : إلى أنَّ ((الكلمة المبدوءة بالسَّاكن إذا وقعت في بداية الكلام توصل المتكلم إلى السَّاكن الَّذي في أوَّلها بواسطة همزة الوصل، وفي هذه الحالة تتغير بنية المقطع القصير وهو الحرف الساكن الذي بدأت به الكلمة، وكان على صورة (ص)، وتصبح مقطعاً متوسطاً مقفلاً على صورة (ص ح ص)، فالصاد الأولى هي همزة الوصل والحاء حركتها، والصاد الثانية

[1]- ينظر: ديزيره سقال، الصرف وعلم الأصوات ، ص:28.

هي الساكن الَّذي توصلنا إلى النطق به، والَّذي كان بمفرده مقطعا مستقلا بحسب القاعدة الَّتي في اللّغة.»[1]

ومعنى هذا أنَّ "تمام حسان" يضيف مقطعاً من نوع (ح ص) غير أنَّ العرب لا تبدأ كلامها بساكن ولا تنهي كلامها بمتحرك، فأُضيفت همزة الوصل، ومع ذلك يصدق في اللهجات العربية هذا المقطع وهو ما أشار إليه "محمد جواد النوري" في قوله: « على الرغم من كون النبر في العربية مقيدا بقواعد خاصة ومحدَّدة إلاَّ أنَّ موقعه وقواعده أيضاً قد يصبحان خاصة لهجية تميز نطق جماعة من نطق جماعة أخرى في إطار اللّغة العربية الواحدة.»[2] وهو ما سنتطرق إليه لاحقاً.

نخلُص إلى أنَّ المقطع الصَّوتي يعتبر الرابط الأهم من بين الروابط اللفظية الَّتي تجعل العلاقة لصقيَّة بين الأصوات اللغوية ضمن الكلمة أو بين كلمتين متجاورتين[3]، والَّتي تنسجم وتنتظم فيما بينها لتخلق دلالة معينة، وهو ما وضحه "إبراهيم أنيس" في قوله: « اللغة العربية حين النطق بها تتميز فيها مجاميع من المقاطع، تتكون كل مجموعة من عدة مقاطع، ينضم بعضها إلى بعض، وينسجم بعضها مع بعض، فهي وثيقة الاتصال؛ وبذلك ينقسم الكلام العربي إلى تلك المجاميع من المقاطع وكلّ مجموعة اصطلح عادة على تسميتها بالكلمة، فالكلمة ليست في الحقيقة إلاَّ جزءا من الكلام تتكون عادة من مقطع واحد، أو عدَّة مقاطع وثيقة الاتصال بعضها ببعض، ولا تكاد تنفصم في أثناء النطق بل تظل مميزة واضحة في السَّمع، ويساعد بلا شك على تمييز تلك المجاميع معانيها المستقلة في كلِّ لغة».[4]

---

[1]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، (د ط)، (1994م)، ص:305.

[2]- محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، ص:271.

[3]- ينظر: سامي عوض: التشكيل المقطعي (مفهومه وعلاقته بالنبر اللغوي) (مقال)، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد31، ع.2، (2009م)، ص:69.

[4]- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص:89،90.

فقد استطاع الإنسان عن طريق تلك المقاطع الصَّوتية الَّتي نسميها كلاماً التواصل والتعبير عن احتياجاته، وتبادل الأفكار والمشاعر وما إلى ذلك، وبيان ذلك ما يحدثه وقع المقطع الصَّوتي، أو الصَّوت اللّغوي في أذهان السامعين فيحيلهم إلى المقصد والرسالة الَّتي يروم المرسل إيصالها للمتلقي أو المستمع، عن طريق ارتفاع وانخفاض نبرات الصّوت، وهو ما يعرف بالنبر والتنغيم في الدِّراسات الفونولوجية.

4-2- النبر(Stress) تعريفه:

يعرفه "كمال بشر" بقوله: ((النبر في اللّغة معناه البروز والظهور، ومنه (المنبر) في المساجد ونحوها، وهذا المعنى العام ملحوظ في دلالته الاصطلاحية؛ إذ هو في الدَّرس الصَّوتي يعني نطق مقطع من مقاطع الكلمة بصورة أوضح وأجْلى نسبيا من بقية المقاطع الَّتي تجاوره)).[1]

يحدث النبر نشاطاً في جميع أعضاء النطق في وقت واحد؛ فعند النطق بمقطع منبور تنشط جميع أعضاء النطق غاية النشاط، إذ تنشط عضلات الرئتين نشاطا كبيرا، كما تقوى حركات الوترين الصَّوتيين ويقترب أحدهما من الأخر ليسمح بتسرب أقل مقدار من الهواء، فتعظم لذلك سعة الذبذبات ويترتب عليه أن يصبح الصَّوت عاليا واضحاً في السَّمع[2]، مما يعني أنَّ النبر ينتج من زيادة اندفاع الهواء الخارج من الرئتين حين يشتدّ تقلص عضلات القفص الصدري، وللنبر أنواع: رئيس وثانوي وضعيف[3]؛ الثانوي والضعيف لا يظهران بوضوح للأسماع لأنَّهما يحتاجان لأجهزة صوتية خاصة، أمَّا الرئيس فيظهر جليّاً وله قواعد خاصة نوضحها فيما يأتي.

---

[1]- كمال بشر، علم الأصوات، ص:512.

[2]- ينظر: المرجع نفسه ، ص:97.

[3]- ينظر: خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، (د ط)، (1983م) ص:62.

4-2-1 قواعد النبر:

نوجز القواعد الَّتي توصل إليها الباحثون في الصَّوتيات الوظيفية فيما يلي:[1]

1. يقع النبر على المقطع الأخير في الكلمة أو الصيغة؛ إذا كان هذا المقطع طويلا؛ أي على صورة (ص ح ح ص)، نحو: استقالْ، فإذا كانت الكلمة ذات مقطع وحيد وقع عليه النبر أيا كانت كميته.
2. يقع النبر على المقطع الَّذي قبل الآخر في الحالات الآتية: إذا كان ما قبل الآخر متوسطاً والمقطع الأخير قصيراً نحو: أخرجت، أو إذا كان ما قبل الآخر قصيراً في إحدى الحالتين الآتيتين:

أ)- بدأت به الكلمة نحو: كتب.

ب)- سبقه المقطع الأقصر ذو الحرف الوحيد الساكن الَّذي يتوصل إلى النطق به بهمزة الوصل نحو: انحبس.

3. يقع النبر على المقطع الثالث من الآخر في الحالات التالية: إذا كان قصيراً متلواً بقصيرين نحو: علمك، أو قصيرا متلواً بقصير ومتوسط نحو: لم يتصل، أو متوسطا متلواً بقصيرين نحو: بيتك، أو متوسطا متلواً بقصير ومتوسط نحو: بيتكم.
4. يقع النبر على المقطع الرابع من الآخر إذا كان الأخير متوسطا والرابع من الآخر قصيراً وبينهما قصيران نحو: بقرة، ويغلب في المقطع الأخير في هذه الحالة أن يكون تنوينا أو إضماراً أو إشباعا.

في هذا المقام يقدم "أحمد مختار عمر" ملاحظة مهمَّة وهي: ((المعروف أنَّ اللّغة العربية لا تستخدم النبر (كفونيم)، بمعنى أنَّه لا يستخدم كملمح تمييزي في (ثنائي أصغر) يكون معنى الطرف المنبور فيه مخالفا لمعنى الطرف غير المنبور، ولكن هذا لا ينفي وجود النبر في اللّغة، فهو موجود فيها

[1]- ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص:172،173.

ولا تكاد تخلو منه أي لغة، وإنَّما الفرق بين اللّغات هو استعماله كملمح تمييزي أو ملمح غير تمييزي)).[1]

ويضيف أيضا: ((أمَّا بالنسبة للنطق العربي الحديث، فقد بذلت محاولات لتقعيد نبره، وإن كان يجب ألاَّ يغيب عن البال أنَّ مثل هذه القواعد تقريبية من ناحية، وجزئية من ناحية أخرى، فلا يُدَّعى لها شمول العالم العربي بأجمعه، كما أنَّها ليست مثل قواعد النحو أو أحكام الصرف يعدُّ الخروج عليها خطأ لغويا))،[2] ومع ذلك للنبر أهميَّة كبيرة في توضيح مقصدية المتكلم.

4-2-2 أهميّة النبر ووظائفه: نلخص أهمية النبر والجانب الوظيفي الَّذي يؤديه فيما يلي: [3]

- النبر ملمح صوتي مكمِّل للبناء اللّغوي، يمنح الكلمة أو الجملة نوعا من الأداء النطقي الَّذي يميزها من غيرها، ويساعد على تحديد هيئتها التركيبية، وهو في هذه الحال عنصر من عناصر (الجوقة) الموسيقية الَّتي تعمل على إبراز المنطوق في صورة موسيقية خاصة، أو لون من التفخيم خاص، ومن هنا كان من السَّهل التمييز بين التنويع الأدائي للكلام الحادث من الأفراد، أو البيئات المختلفة.
- للنبر قيم صوتية (نطقية) وأخرى فنولوجية (وظيفية) فهو من الناحية النطقية ذو أثر سمعي واضح، أمَّا من الناحية الوظيفية فإن النبر يقود إلى التعرف على التتابع المقطعي في الكلمات ذات الأصل الواحد: مثل: كتب-كاتب- مكتوب.
- يفيد النبر على مستوى الجملة عند تنوعه واختلاف درجاته التأكيد أو المفارقة حيث ينتقل النبر القوي من كلمة إلى أخرى قاصدا إلى تبيين هذا التأكيد أو الكشف عن هذه المفارقة.
- وللنبر على مستوى الكلام المتصل وظيفة مهمَّة؛ ترشد إلى التعرف على بدايات الكلمات ونهاياتها، فمن المعلوم أنَّ الكلمة في سلسلة الكلام المتصل قد تفقد شيئا من استقلالها، فقد

[1]- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص:357.

[2]- المرجع نفسه، ص:358.

[3]- ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص:514-525.

تتداخل مع غيرها، أو تفقد جزءا من مكوناتها، أو تدغم أطرافها في بدايات كلمة لاحقة وهنا يبرز النبر عاملا من عوامل تعرف الكلمة، وبخاصة في اللّغات ذات النبر الثابت.

- يوجد في العربية أساليب تقتضي مكوناتها نبرا أقوى وأشد تأكيدا لمدلولاتها ومقاصدها البيانية الخاصة؛ هذه الأساليب هي: التحذير، الإغراء والتعجب والاختصاص.

كلّ هذه الوظائف الَّتي يؤديها النبر لها دور تأثيري مهمّ بين المتخاطبين، وبالتالي يخدم الوظيفة الإبلاغية بشكل جلي وواضح؛ في استقطاب ولفت انتباه مستقبل الرسالة إضافة إلى التنغيم.

4-3 التَّنغيم (Intonation) تعريفه:

نقصد بالنغمة أو التنغيم جرس الصّوت المترنم به، وبما أنّ الألفاظ تنبني من أصوات، فهي إذن تملك جرسا وتتصف بصفة نغمية، وكلّ لفظة لها جرسها الخاص الّذي تحدّده صفات الأصوات المؤلفة منها[1]، وهو –التنغيم– « في الدِّراسات الصَّوتية تجميل الصَّوت أو تحسينه في القراءة والغناء على لحون مختلفة في رفع الصّوت وخفضه».[2]

يشرح "خليل إبراهيم عطية" التّنغيم بقوله: « تغيرات تنتاب صوت المتكلِّم من صعود إلى هبوط، ومن هبوط إلى صعود؛ لبيان مشاعر الفرح والغضب، والنفي والإثبات والتهكُّم والاستهزاء والاستغراب، وتسمى النغمة (الصاعدة) (Rising tone) إذا تمَّ صعودها من أسفل إلى أعلى على المقطع الَّذي وقع عليه النبر، والنغمة (الهابطة) (Falling tone) إذا تمَّ نزولها من أعلى إلى أسفل على آخر مقطع وقع عليه النبر.»[3]

---

[1]- ينظر: سناء حميد البياتي، التنغيم في القرآن الكريم دراسة صوتية، جامعة بغداد، مركز إحياء التراث العلمي العربي (2007م)، ص: 08.

[2]- رشيد عبد الرحمن العبيدي، معجم الصوتيات، ص:201.

[3]- خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، ص:63.

4-3-1 الوظائف الدّلالية للتنغيم:

تتنوع الوظائف الدّلالية للتنغيم؛ بمعنى أنَّ الجملة الواحدة يمكن أن توضع في مجال الإخبار تارة، والاستفهام تارة أخرى؛ بناءً على الفارق النغمي، حيث من الممكن أن أخبر عن نجاح محمد فأقول: محمد ناجح، كما يمكن أيضاً أن أستفهم من نجاحه فأقول غير مستخدم أداة الاستفهام بل الضَّغط على مقطع من مقاطع هذه الجملة وموحيا فيها بدلالة الاستفهام، وكيف يمكن التفريق بين كم الاستفهامية وكم الإخبارية إلاَّ من خلال التّنغيم.[1]

فالكلام عند إلقائه تكسوه ألوانٌ موسيقية لا تختلف عن الموسيقى، إلاَّ في درجة التواؤم والتوافق، يتحدَّد إطار التنغيم وتدرك أنماطه في نهايات الجمل بالفواصل الصَّوتية، ارتفاعا وانخفاضا إضافة إلى الوقفات والسَّكتات والاستراحات، فالتنغيم والفواصل متلازمان، وهما معا أمارات أساسية دالة على الأنماط التركيبية، بهما يمكن تصنيف الأجناس النحوية وتحليلها تحليلاً سليماً.[2]

وللتنغيم ((أثر عجيب في النَّفس البشرية، فقد كان العربي بطبيعته ميَّالا إلى النغم والإيقاع فيشغف بحسن التوزيع؛ توزيع الأصوات في الكلمات، وتوزيع الكلمات في الجمل، وتوزيع الجمل في سياق كلامه، ذلك التوزيع المتقن على فترات زمنية متساوية في أغلب الأحيان، مستجيبا بذلك لكلِّ ما يتحسَّسه في حياته من إيقاعات سببها الانتظام والتعاقب)).[3]

وخير ما نمثل له في هذا المقام أبيات "لعنترة بن شداد" حين ((خرج من الحجاز إلى الشام فطالت غيبته وغلبه الشوق وهزّه الحنين، فاستعطف ريح الحجاز أن تحمل طيب عبلة لتطفئ نار أشواقه بقوله)) [4] : رِيحُ الحِجَازِ بِحَقِّ مَنْ أَنْشَاكِ *** رُدِّي السَّلاَم وَحَيِّ مَنْ حَيَاكِ

---

[1]- ينظر: أحمد كشك، من وظائف الصوت اللغوي، ص:107.

[2]- ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص:532،533.

[3]- سناء حميد البياتي، التنغيم في القرآن الكريم دراسة صوتية، ص:02.

[4]- محمد ابراهيم شادي، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، الشركة الاسلامية للإنتاج والتوزيع والاعلان، الرسالة، الدقي، ط1 (1409هـ/1988م)، ص: 62.

هِيِي عَسَى وَجْدِي يَخفُّ وَتَنْطَفِى *** نِيْرَانُ أَشْوَاقِيْ بِبَرْدِ هَوَاكِ

يَا رِيْحُ لَولاَ أَنَّ فِيْكَ بَقِيَّةٌ *** مِنْ طِيْبِ عَبْلَة مُتُّ قَبْلَ لِقَاكِ

كَيْفَ السَّلْوُّ ومَا سَمِعْتُ حَمَائِماً *** يَنْدُبْنَ إِلَّا كُنْتُ أَوَّل بَاكٍ[1]

إنَّ التوزيع المتقن للأصوات المهموسة خاصة صوت (الحاء) وما يحمله من نبرة حنين وأشواق (ريح، الحجاز، حي، حياك، بحق، حمائما)، والتناوب والتناسب بين أصوات (الهاء، والتاء، والسين والكاف) كلها همس لريحٍ تحمل ريحَ (عطر) عبلة وتأب شهامته أن تجهر وتعلن ما بها من وجد.

((ثمَّ لننظر بعد ذلك لتحول الشاعر في هذه القصيدة؛ من روح الرقَّة الصّافية الَّتي استبقت قوة وصفاء الأسلوب إلى روح القوة والخشونة الَّتي استتبعت قوة وخشونة الألفاظ في قوله آخر القصيدة))[2]:

وَلَقَدْ حَمَلَتُ عَلَى الأَعَاجِمِ حَمْلَةَ *** ضَجَّتْ لَهَا الأَمْلاَكُ فِيْ الافْلاَكِ

فَنَثَرْتُهَمْ لَمَّا أَتَوْنِيْ فِيْ الفَلاَ *** بِسِنَانِ رُمْحِ للدّمَا سَفَّاكِ[3]

أليس مثيراً للانفعال والعاطفة! الانتقال من مشاعر الرقة والحنين إلى مشاعر الغلظة والشدَّة من خلال تخير فونيمات بعينها؛ فالجيم من الأصوات الانفجارية، وما يحمله من صفة الجهر والشدة يجعل السَّامع أو القارئ لقصيدته في زخم عاطفي، يُنبئ بصدق أحاسيسه وقوة بأسه؛ في تخيره لمورفيم (ضجّت) فالاستعلاء والقوة بضم الضاد للجيم يوحي بالمشهد الرهيب في ساحة الوغى، ناهيك عن لفظ (سفَّاك) و(دّما) بدل الدماء لَأَبْلَغُ تعبير عن كثرة القتل والسَّفك.

[1]-عنتر بن شداد العبسي، ديوان عنترة، مطبعة الآداب لصاحبها أمين الخوري، بيروت، ط4، (1893م)، ص:58.

[2]- محمد ابراهيم شادي، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، ص:63.

[3]- المرجع السابق، ص:58.

فالإيقاع من أسباب الانسجام في هذه القصيدة، فهو صفة صوتية تضفي على التركيب توازناً وانسجاماً، وعلى العبارات توازنا وتعادلا، ويمكن تنويعه بحسب الأسباب الباعثة له، بحيث يكون بطيئا أو سريعا بحسب التجربة والمغزى والجو النّفسي [1]، وهو تمام ما عبرت عليه أبيات "عنترة".

إنَّ طاقات اللّغة العربية غير محدودة لمن يستطيع تفجيرها، والقرآن الكريم خير نموذج وأسماه في بلاغته الصَّوتية وتفجير هذه الطاقات؛ حيث تنوع التّنغيم يؤدى وظيفته الإبلاغية على كلّ المستويات اللّغوية من ذلك قوله تعالى في سورة (طه):

﴿وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً﴾[طه:108] في هذه الآية الكريمة خشوع توحي به لنا لفظة (همسا)؛ (الهاء) و(السين) المهموستان و(الميم) تربط بينهما، والَّتي من صفاتها التوسط بين الجهر والهمس؛ ((أي: خفضت الأصوات من شدَّة الفزع وخفت ...لا تسمع إلَّا خفق الأقدام ونقلها إلى المحشر))[2]؛ تصور لفظة (همسا) المشهد الرهيب فيه من الحذر والهدوء، وخفض الصَّوت ما يناسب حال الخائف المرتاب حين يساق لربّ العالمين.

في هذا المقام يقول "عبد الحميد زاهيد": ((دلالة الجملة رهينة بطريقة تنغيمها، فبالتنغيم نميز بين الاستفهام والتقرير))[3]، وفي القرآن الكريم لكلّ آية أسلوب خاص، ((والتّنغيم في الأساليب قسمان الأوَّل ينتهي بنغمة هابطة ويكثر استعماله في التقرير لإفادة انتهاء الجملة وتمام المعنى، والثاني ينتهي بنغمة صاعدة وغالبا ما يكون في أسلوب الاستفهام))[4]، وهو كثير ومتنوع في آي القرآن الكريم كتكرار أسلوب الاستفهام في سورة النمل والواقعة.

---

[1]- ينظر: محمد ابراهيم شادي، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، ص: 55.

[2]- الزمخشري أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، (1430هـ/2009م)، ص:667.

[3]- عبد الحميد زاهيد، نبر الكلمة وقواعده في اللغة العربية –دراسة صوتية، دار وليلي للطباعة والنشر، الرباط، ط1 (1999م)، ص:11.

[4]- سناء حميد البناني، التنغيم في القرآن الكريم، ص: 16.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَّا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُوْنَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾[الواقعة: 58-59] أي ((أنتم تقرونه في الأرحام وتخلقونها فيها،أم الله خالق ذلك؟))[1] فنبرة الاستفهام التّعجبي من خلال صوت أداة الاستفهام (الهمزة) يضفي على نفس المتلقي هذا التّعجب الاستنكاري ليجعله يتفكر في خالقه وخلقه.

وقوله سبحانه: ﴿أَمَّنْ يُجِيْبُ المضْطَرَّ إِذَا دَعَاه وَيَكْشِفُ السُّوْءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللهِ قَلِيْلاً مَّا تَذَكَّرُوْنَ﴾[النمل:62] أي: ((هل يجيب المضطر الذي أقلقته الكروب، وتعسر عليه المطلوب، واضطر للخلاص مما هو فيه إلا الله وحده؟ ومن يجعلكم خلفاء الأرض يمكنكم منها ويمد لكم بالرزق))[2]، فللاستفهام نغمة خاصة تثير في المتلقي روح الفضول والتساؤل، فتنبؤه وتوجهه وترشده وتطرح في نفسه الانفعال تاركتا أثرها البيِّن بيان كلام الرحمن.

وفي تقدير الاستفهام دون ذكر لأداة الاستفهام الكثير من آي الذكر الحكيم الَّذي يشير إليه في قوله سبحانه: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّا أَنْ عَبَّدْتَّ بَنِي إِسْرَائِيْلَ﴾[الشعراء:22] أي (أتلك نعمة تمنها؟) ناب التنغيم عن الاستفهام وهو ما يعرف بنبر الجمل، وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَءَا كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي﴾[الأنعام:76] على تقدير الهمزة (أهذا ربي؟)، أو على سبيل التقرير وهو ما أشار إليه "سيِّد قطب" أنَّ ((إبراهيم تبدأ قصته فتى ينظر في السماء فيرى نجما فيظنه إلهه، فإذا أفل قال لا أحب الآفلين، ثم ينظر مرة أخرى فيرى القمر فيظنه ربه، ولكنه يأفل كذلك فيتركه ويمضي، ثم ينظر إلى الشمس فيعجبه كبرها ويظنها –ولا شك- إلها ولكنها تخلف ظنه هي الأخرى، فيفئ إلى ربه الذي لا يراه.))[3]

---

[1]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الغد الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، (1435هـ/2014م)، 269/4.

[2]- السَّعدي عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلاّ اللّويحق، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، (1437هـ/2016م)، ص: 621.

[3]- سيِّد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط17، (1425هـ/2004م)، ص: 164.

بينما "الزمخشري" فيرى أنَّ إبراهيم ((أراد أن ينبههم –قومه– على الخطأ في دينهم، وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال...أنَّ وراءها محدثا أحدثها، وصانعا صنعها، ومدبرا دبر طلوعها وأحوالها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها، هذا ربي قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه، لأنَّ ذلك أدعى إلى الحق وأنجى من الشغب...لا أحب عبادة الأرباب المتغيرين على حال إلى حال المنتقلين من مكان إلى مكان المحتجبين بستر.))[1]

من هنا تظهر الوظائف الَّتي يؤديها التنغيم، ودوره في تصنيف الجمل إلى أنماط، أو بالأحرى إلى أساليب مختلفة من تقريرية واستفهامية وتعجبية؛ فالجمل التقريرية لها نمط خاص من التنغيم في نهايتها يتمثل في النغمة الهابطة الّتي تدل على تمام المنطوق واكتماله كما سبق وأشرنا، في حين أنّ الجملة الاستفهامية وبخاصة تلك الّتي تستوجب الإجابة بلا أو نعم تنتهي بنغمة صاعدة كما هو الحال في الجمل الاستفهامية الّتي تستخدم فيها عادة أدوات الاستفهام العامة الهمزة وهل.

4-3-2 تكرار الصَّوت اللغوي ووظيفته الدّلالية:

التكرار تواتر للأصوات والألفاظ والتراكيب والبنى والأساليب داخل النَّص، وتكرار لفظ بعينه يمنح النَّص فائدتين: إحداهما معنوية ودلالية تعمق المعنى الّذي حمله اللّفظ المكرّر، ويظهر أثرها في السياق أو العكس حين يؤثر السياق فيها، والأخرى صوتية إذ يمنح التكرار بتردد أصوات معينة على خلق بنية قادرة على تصوير المعنى وتمثيله، وعليه يعدُّ التكرار منبها أسلوبيا يزيد المعنى قوة وتوكيدا وشدَّة، تتنوع صور التكرار في أسلوب النَّص القرآني فتارة يكون بالصَّوت أو المقطع وأخرى يكون بالكلمة وأحيانا يكون بالتركيب، ولهذا التِرداد نغمة وجرس خاص يضفيه على الخطاب.[2]

مثال ذلك تكرار لفظة (صرصرا) في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيْحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيْقَهُمْ عَذَابَ الخِزْيِّ فِيْ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[فصلت:16] أي: ((ريحاً باردةً شديدة الصّوت بلا مطر في

[1]- الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص:334.

[2]- ينظر: جنان محمد مهدي، الإيقاع الصوتي الإيحائي في سياق النص القرآني (مقال)، مجلة كلية التربية للبنات، المجلد21، ع4 (2016م)، ص:7.

أيام مشؤومات عليهم ليذيقهم الذلّ»[1] فصوت صفير الصّاد والراء المكررة في لفظ (صرصرا) جاءت موافقة لتصوير المشهد صوتا وصورة فحاك الصَّوت المعنى والمبنى.

وتكرار التركيب قد يكون له دلالة صوتية غاية في الأهميّة كما نلمس ذلك في سورة الرحمن (فبأي آلاء ربكما تكذبان) تكررت واحد وثلاثين مرة، يسودها تارة تهديد وتخويف كما في قوله (سنفرغ لكم أيها الثقلان) وتارة تسود النغمة نبرة التأمل والتبصُّر نحو: (كلّ من عليها فان).[2]

ينضاف إلى كلّ ما سبق أنَّ الكلمة الواحدة تدل على أكثر من معنى، دون تغيير يلحق بفونيماتها، ولكن بسبب الاختلاف يرجع للتنغيم، وقد يضاف إلى الاختلاف في التنغيم أحيانا الاختلاف في موضع الارتكاز، أو تغيير طول الأصوات الصائتة، أو هذان معا أو غير ذلك؛ من هذا كلمة (الله) في العامية المصرية مثلا؛ فهي تنطق بصور كثيرة لكلّ منها معناها، فعندما تستعمل مريدا بها إظهار الإعجاب ينطق بها بصورة تختلف عن نطقها عندما يراد بها التعبير عن المعبود الواحد.[3]

ولا يفوتنا الإشارة إلى جانب مهم فيما يخص المحسنات اللفظية ذلك أنَّ «المحسن اللفظي نوع أخاذ في فن البديع وثيق الصلة بموسيقى الألفاظ، فهو في الحقيقة ليس سوى تفننا في طرق ترديد الأصوات في الكلام، حتَّى يكون له نغم موسيقي خاص، وحتّى يسترعي الأذان بألفاظه كما يسترعي القلوب والعقول بمعانيه، فهو مهارة في نظم الكلام، وبراعة في ترتيبها وتنسيقها، ومهما اختلفت أصنافه وتعدّدت طرقه يجمعها أمر واحد هو العناية بحسن الجرس ووقع الألفاظ في الأسماع»[4] وهو ما ستكون لنا فيه وقفات لطيفة وملفتة في الفصل التطبيقي.

---

[1]- جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي، تفسير الجلالين، إشراف وتدقيق جميل الرحمن عبد السلام، (د ط)، (د ت) ص: 478.

[2]- ينظر: سناء حميد البياتي، التنغيم في القرآن الكريم دراسة صوتية، ص: 16.

[3]- ينظر: محمود السَّعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص:125.

[4]- محمد حسن شرشر، البناء الصوتي في البيان القرآني، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط1، (1408هـ/1988م)، ص: 10.

نُلخِّص الوظائف الدَّلالية للتنغيم في ثلاث نقاط رئيسة هي:[1]

أ. وظيفة إبلاغية (Communicative): وتظهر في كون الكلام قد اكتمل أوَّلا، وثانيا غاية الكلام هل نهي أم استفهام أم دعاء أم توجيه وغيرها.

ب. وظيفة انفعالية (Emotionnel):وهو الجانب الَّذي يعني أنَّ التنغيم يقوم بنقل شحنة محدَّدة تعكس ما لدى المتكلِّم من حالة شعورية انفعالية، أو نية على التأثير في المستمع.

ت. وظيفة تعبيرية (Expressive): تعطي إمكانية استيضاح شخصية المتكلِّم وانتمائه إلى هذه الفئة الاجتماعية أو تلك.

4-4 الوقف والابتداء:

يؤدي الوقف والابتداء وظيفة مهمَّة في تحديد دلالة الجملة، ((ففي قولنا (ما شاء الله) بدون وقفة معناها (الذي أراده الله) وتكون الجملة مثبتة، أمَّا نطقنا للجملة نفسها بوقفة (ما شاء الله) (ما + وقفة + شاء الله) فيكون معناها أن الله لم يرد وتكون منفية)).[2] فما المقصود بالوقف والابتداء في الدِّراسات الصوتية؟

الوقف ((قطع الصَّوت على آخر الكلمة زمنا يتنفس فيه القارئ بنية استئناف القراءة))،[3] يوضح "كمال بشر" أنَّ الوقفة ((لا تكون ولا تتحقق إلاَّ عند تمام الكلام في مبناه ومعناه؛ ونعني بذلك أن تكون بنية المنطوق مؤلفة وفقا لقواعد اللّغة، ومنسوقة وحداتها في نظم خاص يطابق المعنى المقصود، والغرض المطلوب بحسب الظروف والحال... والقاعدة أن تأتي الوقفة الكاملة مصاحبة بنغمة هابطة دليلا على تمام الكلام، ورمزها في الكتابة النقطة(.)، وهذه هي الحال في الجمل

[1]- ينظر: نادية رمضان النجار، علم اللغة والأصوات بين القدماء والمحدثين، دار أم القرى، الإسكندرية، (2008م)، 136/1.

[2]- عبد الحميد زاهيد، نبر الكلمة وقواعده في اللغة العربية، ص :11.

[3]- محمد أحمد معبد، الملخص المفيد في علم التجويد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، (د ط)، (1997م) ص:101.

والتراكيب التقريرية، وأحيانا تأتي الجمل الاستفهامية منتهية بوقفة أو ما يشبه ذلك، ولكنَّها وقفة من نوع خاص؛ إنَّها مجرد فاصلة صوتية نطقية.» [1]

جاء هذا لما كان القارئ لا يستطيع أن يقرأ السورة أو القصة في نَفَسٍ واحد، ولم يجز التنفس بين كلمتين حالة الوصل بل ذلك كالتنفس في أثناء الكلمة، وجب حينئذ اختيار وقف للتنفس والاستراحة، وتعيين ارتضاء ابتداء بعد التنفس والاستراحة، وتحتَّم أن لا يكون ذلك مما يخل بالمعنى ولا يخل بالفهم إذ بذلك يحصل القصد.[2]

«ومن ثمَّ حرص الأوَّلون على تعلمه والتثبّت منه ومن ذلك قوله عزَّ جلَّ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[الرحمن:26] فيذكر القُراء أنَّه لا يجوز الوقف عليه حتَّى يصل لقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ﴾[الرحمن:27]». [3]

4-4-1 أنواع الوقف:

يتوزع الوقف ويتنوع بين: السّكت، والقطع، والاستراحة، المفصل، وبيان كلّ واحد على حده فيما يلي:

❖ السّكت:

السَّكت « هو قطع الصّوت على آخر الكلمة من غير تنفس زمنا أقل من زمن الوقف، وهو ما يسمى (بالوقفة اللطيفة) بدون تنفس»[4]، يقدم "كمال بشر" قاعدة

---

[1]- كمال بشر، علم الأصوات، ص:554،555.

[2]- ينظر: ابن الجزري حافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، النشر في القراءات العشر، صححه وراجعه: علي محمد الضباع دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، 1/224،225.

[3]- نادية رمضان النجار، علم اللغة والأصوات بين القدماء والمحدثين، ص:99،100.

[4]- محمد أحمد معبد، الملخص المفيد في علم التجويد، ص:101.

لضبطه: ((والقاعدة أنَّها تكون مصحوبة بنغمة صاعدة دليلا على عدم تمام الكلام، وعلامتها في الكتابة الفاصلة(،))).[1]

❖ القطع:

هو قطع الكلام أو القراءة، فهو كالانتهاء، أشبه بالمعرض عن المواصلة والمتنقل منها إلى حالة أخرى، ومثاله من القرآن الكريم رؤوس الآي؛ لأنَّها أصلا مقاطع.[2]

❖ الاستراحة:

الاستراحة ((مجرد وسيلة صوتية لمنح الكلام خاصية الاستمرارية، إذ لا يكاد يلحظها السَّامع غير المجرب يسميها بعضهم (سرقة النّفس)، ولا ضوابط لها، ويتوقف تفعيلها على قدرة المتكلِّم، وعلى مدى فهمه واستيعابه لقواعد اللّغة، وهي في حاجة إلى خبرة ودربة حتَّى لا تمتدّ في فترتها الزمنية إلى ما يشبه الوقفة أو السّكتة فيفسد المعنى)).[3]

❖ المفصل:

يعدُّ المفصل ((سكتة حقيقية بين كلمات ومقاطع في حدث كلامي))،[4] وهو عبارة عن مصطلح فونولوجي يستعمل للدَّلالة على الملامح الصَّوتية، تتصف به حدود الوحدات القواعدية كالكلمة أو العبارة، فهو بهذا سكوت يغلب أن يكون خفيفا.[5]

أمَّا عن أنواع الوقف من حيث الدَّلالة فهناك أربعة أنواع هي: الاضطراري، الاختباري الانتظاري، والاختياري، نقدم توضيحاً موجزاً حول كلّ نوع فيما يأتي:[6]

---

[1]- كمال بشر، علم الأصوات، ص:557.

[2]- ينظر: نادية رمضان النجار، علم اللغة والأصوات بين القدماء والمحدثين، ص:104.

[3]- المرجع السابق ، ص:560.

[4]- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص:231.

[5]- ينظر: محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، ص:278.

[6]- ينظر: محمد أحمد معبد، الملخص المفيد في علم التجويد، ص: 102،101.

➢ **الوقف الاضطراري:**

يحصل عند حالة الاضطرار بسبب ضيق نفس أو عطاس أو نسيان أو نحو ذلك، وهذا الوقف جائز على أية كلمة، ولكن ينبغي للقارئ عندئذ وصلها بما بعدها؛ إذا لم يكن قد تمّ المعنى وإذا كان المعنى قد تمّ فيحسن له الابتداء بما بعده.

➢ **الوقف الاختباري:**

وهذا يحصل عند سؤال ممتحن، أو تعليم قارئ من شيخه.

➢ **الوقف الانتظاري:**

وهذا يحصل عند من أراد أن يجمع عدّة روايات من القراءات العشر المتواترة؛ حيث يقف عند كلمة ليعطف عليها غيرها بوجوه القراءات الموجودة فيها.

➢ **الوقف الاختياري:**

هو أن يقف القارئ بمحض اختياره ومن غير عوارض؛ أي من غير سبب خارج عن إرادته.

وللوقف الاختياري أربعة أقسام يشرحها "ابن الجزري" في قوله: ((الوقف الذي اصطلح عليه الأئمة (بالتام) لتمامه المطلق يوقف عليه ويبدأ بما بعده، وإن كان له تعلق فلا يخلو هذا التعلق إما أن يكون من جهة المعنى فقط وهو وقف أُصطلح عليه (بالكافي) لاكتفاء به عما بعده واستغناء ما بعده عنه، وهو كالتام في جواز الوقف عليه والابتداء بما بعده، وإن كان التعلق من جهة اللفظ فهو الوقف المصطلح عليه (بالحسن) لأنّه في نفسه حسن مفيد يجوز الوقف عليه دون الابتداء بما بعده لتعلق اللفظي إلاّ أن يكون رأس آية فإنّه يجوز، وإن لم يتم الكلام كان الوقف عليه اضطراريا وهو المصطلح (بالقبيح) لا يجوز تعمد الوقف عليه إلا لضرورة من انقطاع نفس ونحوه لعدم الفائدة أو لفساد المعنى.))[1]

[1]- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 226/1.

يفهم من قوله إنّ أنواع الوقف الاختياري أربعة هي: التَّام والكافي والحسن والقبيح، جرى تصنيفهم حسب ما تعلق باللاحق من الكلام لفظا ومعنى على اختلاف التعالق، والابتداء نوعان جائز وغير جائز؛ فالجائز هو الابتداء بجملة مستقلة تبيّن معنى تامّا، والقبيح أو غير الجائز هو أن تبدأ بكلمة تؤدي معنى غير تام، ولا يكون إلاّ اختياريّاً لأنّه ليس كالوقف تدعو إليه الضرورة أحيانا.[1]

4-4-2 أهمية الوقف:

لما كان القارئ أو المتحدث لا يستطيع أن يقرأ السورة على نَفَسٍ واحد، كان لا بدَّ له من الوقوف في بعض المواضع لأخذ النّفس أوَّلا ولتأكيد المعنى ثانيا، إضافة إلى أنَّه يؤدي إلى اختلاف الدَّلالة، ويفرق أيضا بين مستعمل الوقف لابن اللّغة القومية واستعمال الأجنبي، وذلك لعدم إدراكه الفروق الصَّوتية بين اللّغتين.[2]

وبالتالي يؤدي الوقف دوراً ذا قيمة بالغة الأهميَّة في عملية التواصل بين الأطراف المشاركة في الخطاب، ومدى استيعاب صاحب الخطاب لخطابه، وكيف عليه أن يؤديه أداء يبلغ من خلاله مراميه في استمالة وإقناع المتلقي.

4-4-3 الفواصل الصَّوتية (الفاصلة القرآنية):

من الجوانب الَّتي لا يجب أن نغفل عن أهميّتها فيما يخصّ الظواهر الصَّوتية نظرا للدَّور المهم الَّذي تلعبه في تحديد الدَّلالة (الفاصلة)؛ فقد ((حظيت الفاصلة القرآنية باهتمام القدماء والمحدثين ولكنَّه اهتمام يكاد يقتصر على ربط الفاصلة (الكلمة الأخيرة) بالسياق الدَّلالي للآية؛ ربطا معجميا دلاليا، وقد أفضى هذا الربط إلى مقولة التناسب بين الفاصلة والآية من حيث المعنى والمقام)).[3] لذلك توجب علينا في هذا المقام توضيح هذه النقطة بالذات.

---

[1]- ينظر: محمد أحمد معبد، المخلص المفيد في علم التجويد، ص: 104.

[2]- ينظر: نادية رمضان النجار، علم اللغة والأصوات بين القدماء والمحدثين ، ص:99،100.

[3]- عمر عبد الهادي عتيق، الأسلوبية الصوتية في الفواصل القرآنية (مقال)، مجلة المنارة، مجلد16، ع.3، جامعة آل البيت ص:3.

يشبه موقع الفاصلة القرآنية في الآيات موقع القافية في بيت الشعر، فالجمال الصّوتي والموسيقي للفاصلة ينشأ عن التناغم اللّفظي والتناسق بين الحروف والمقاطع للفاصلة الواحدة، حتّى نشعر كأنَّ هندسة بين أصوات الحروف وأجراسها، وبين المعاني والدّلالات الَّتي يوحيها النَّص القرآني ذلك أنَّ لهذه الفواصل قدرات فنية قادرة على بث نغمات نفسية ومعنوية، وإيقاعا يمنح الإنسان طمأنينة باعثة على شعور نفسي بالارتياح، [1] لذلك نجد ((القرآن ينتقي الأصوات اللغوية بحسب الدَّلالات، قصد تجسيد المعاني في أحسن صورة، وقد ارتبطت الفواصل القرآنية بمعاني التركيب والآيات، ولم يقتصر القرآن على رعاية حسن النّظم فحسب، وإنَّما كان الاهتمام مع ذلك قبله بالمعنى)).[2]

وثرية آي القرآن الكريم بالنماذج الَّتي تسمح للباحث بالصَّول والجَّول بين الفواصل والتراكيب وكلّ مستويات اللّغة لفظا ومعنى حسب مقام البحث وما يروم تحصيله من دراسته، وفي هذا المقام نجد أنَّ ((القرآن الكريم قد اعتمد (النون) فاصلة في عدّة سور منها سورة (يونس)؛ الّتي ورد فيها صوت النون مكررا في فواصل الآيات تسع وتسعين مرة، وذلك ليجذب الأسماع وقصد تدبر آي القرآن الّتي لا تخلو من الترغيب والترهيب، كما تكرر صوت (الهاء) في فواصل سورة (الشمس) خمس عشرة مرة، وهو عدد الآيات وإذا نظرنا إلى سياق الآيات نجد المعاني تعبر عن مكنون النفس البشرية بطريقة توحي بالتفجّع والتحسّر أو تومئ بالارتياح والطمأنينة)) [3]، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا(7) فَأَلْهَمَهَا فُجُوْرَهَا وَتَقْوَاهَا(8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا(9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا(10)﴾[الشمس:7-10]

---

[1]- ينظر: جنان محمد مهدي، الإيقاع الصّوتي الايحائي في سياق النّص القرآني (مقال)، مجلة كلية التربية للبنات، المجلد21، ع4 (2016م)، ص:06

[2]- دفة بلقاسم، نماذج من الإعجاز الصّوتي في القرآن الكريم- دراسة دلالية(مقال)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية (جوان 2009م)، جامعة بسكرة، ص: 01.

[3]- المرجع نفسه، ص:25

يفسر"ابن كثير"(ت.774هـ) هذه الآيات الكريمات فيما مفاده: أنَّ ((الحقَّ تعالى في ملكه خلق النَّفس سويّة مستقيمة على الفطرة القويمة، فأرشدها إلى فجورها وتقواها؛ أي بيّن لها الخير والشر وعليه قد فاز وأفلح من طهَّر نفسه من الأخلاق الدنيئة والرذائل بالطاعات، والتقرب للمولى عزّ وجلّ وقد خسر وخاب من ركب المعاصي وترك طاعة الله سبحانه وتعالى.)) [1]

فالملاحظ أنَّ النّغمة النهائية للمنطوق تصاحبها عادة فاصلة من الفواصل الصَّوتية الَّتي تناسبها، وفقا لطبيعة المنطوق ومقامه؛ فالوقفة تصاحب النّغمة الهابطة دلالة على نهاية الكلام وتمامه والسّكتة تصاحب النّغمة الصّاعدة دليلا على أنَّ الكلام لم يتم بعد؛ فتقوم السّكتة مقام الفاصلة (،) في الكتابة فكلّ منهما فاصل واصل، فاصل نطقا واصل تركيبا وبناء،[2] إذن تؤدي الفاصلة وظيفة بنائية فضلا عن وظيفتها الإيقاعية والدَّلالية، فهي تضبط الدّلالة وفق السياق، وتحسِّن المعنى وتثري النَّص بدلالات أخرى تنبعث من الفاصلة وإيحاءاتها.

4-5 الإدغام:

قد لا يغير الإدغام من دلالة الخطاب الإبلاغي لمن يحسن توظيفه من غير خلط أو غلط لكن إن كان المتحدث يدغم الأصوات اللغوية المتقاربة عن وعي أو عن غير وعي فإن ذلك سيغير في أحايين كثيرة دلالة الملفوظ من نحو: تحول الصفح إلى الصفع في (فاصفح عنّهم)، لذلك ارتأينا أن نتحدث عن الإدغام كظاهرة من الظواهر الصَّوتية.

ومعنى ((الإدغام إدخال شيء في شيء وتغييبه فيه، مأخوذ من قول العرب: أدغمت الفرس اللّجام إذا أدخلته في فيه، وقال بعض أهل اللّغة: الدَّغم التغطية، وقد دغمه إذ غطاه)).[3]

---

[1]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4/480،481.

[2]- ينظر: كمال بشر، علم الأصوات ، ص:22،23.

[3]- الداني، التحديد في الإتقان والتجويد، ص: 100.

والإدغام عند "ابن الجزري" (ت.833هـ): ((هو اللّفظ بحرفين حرفا كالثاني مشدّدا، وينقسم إلى كبير وصغير؛ فالكبير ما كان الأوّل من الحرفين متحركا سواء أكان مثلين أم جنسين أم متقاربين والصغير هو الّذي يكون الأوّل منهما ساكنا.)) [1]

ويقصد بالإدغام الصغير إدغام الصّوت الساكن في المتحرك سواء في كلمة أو كلمتين، ويقصد بالإدغام الكبير إدغام الصّوتين المتحركين من الكلمة أو كلمتين بأن يسكَّن المتحرك الأوّل فيدغم في الثاني، فعلى نحو ما يكره اجتماع المتماثلات لفظاً فإنَّه يكره اجتماعهما خطّاً، لذلك يكفي بالرَّسم الإملائي أن يرمز بالشدّة للدَّلالة على الصَّوتين المدغمين.[2]

4-5-1 أحكام الإدغام:

جاء في (كتاب الإدغام الكبير) أنّ للإدغام شرطاً وسبباً ومانعاً؛ فشرطه في المدغم أن يلتقي الحرفان خطا ولفظا، أو خطا لا لفظا، ليدخل نحو: (إنّه هو)، وسببه التماثل والتجانس والتقارب فالتماثل: أن يتفقا مخرجا وصفة كالفاء في الفاء مثل: ﴿فَلَا يُسْرِفْ فِي القَتْلِ﴾ [الإسراء:33] والتجانس أن يتفقا مخرجا ويختلفا صفة كالتاء في الدال مثل: ﴿قَدْ أُجِيْبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ [يونس:89] والتقارب أن يتفقا مخرجا أو صفة أو مخرجا وصفة معا مثل: النون مع اللام: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ﴾ [الفتح:13].[3]

أمّا عن حكمه فقد وضّحه "ابن الجزري"(ت.833هـ) بقوله: ((واعلم أنّه ما تكافأ في المنزلة من الحروف المتقاربة فإدغامه جائز، وما زاد صوته فإدغامه ممتنع للاختلال الّذي يلحقه، وإدغام الأنقص صوتا في الأزيد جائز مختار لخروجه من حال الضعف إلى حال القوة، فإن وجد الشرط والسبب وارتفع المانع جاز الإدغام، فإن كان مثلين أُسْكِنَ الأوّل وأُدْغِمَ، وإن كان غير مثلين قُلِبَ

---

[1]- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 274/1.

[2]- ينظر: أبو أوس إبراهيم الشمسان، الإدغام مفهومه وأنواعه وأحكامه (مقال)، مجلة جامعة الإمام، ع25، (محرم 1420هـ) ص:2-4.

[3]- ينظر: أبو عمرو زبّان بن العلاء بن عمّار البصري، كتاب الإدغام الكبير، تح: أنس بن محمد حسن مهره، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، ص: 10،11.

كالثاني وأُسْكِنَ ثمّ أُدْغِم، وارتفع اللّسان عنهما دفعة واحدة من غير وقف على الأوّل ولا فصل بحركة ولا روم.»[1]

ويذهب "الداني"(ت.444هـ) المذهب نفسه بقوله: « أمّا المدغم من الحروف فحقه إذا التقى بمثله أو مقاربه وهو ساكن أن يدخل فيهما إدخالا شديدا، فارتفع اللّسان بالحرفين اِرتفاعة واحدة لا فصل بينهما بوقف ولا بغيره، ويعتمد على الآخر اِعتمادة واحدة فيصيران بتداخلهما كحرف واحد...والحرفان المتقاربان إذا أُدغم أحدهما في الآخر قُلب الأوّل منهما إلى لفظ الثاني قلبا صحيحا وأدغم فيه إدغاما تاما، هذا ما لم يكن الأوّل صوت يبقى نحو صوت النون والتنوين.»[2] هذا فيما يخص حكم الإدغام وكيف يتحقق سواء كان الحرفين متماثلين أو متجانسين أو متقاربين، « أمَّا موانع الإدغام المتفق عليها فهي ثلاثة هي: كون الأوّل تاء ضمير أو مشددا، أو منونا، مثل: (أفأنت تسمع)، (خلقت طينا)، (جئت شيئا إمرا)، أمّا مشدد نحو: (مسّ سقر)، (ربّ بما).» [3]

خلاصة القول أنَّ الإدغام ظاهرة صوتية تهدف إلى تجنب ما يحدثه تجاور صوتين متماثلين من عبء عند إخراجهما، والسَّعي إلى مزيد من التَّخفيف من أعباء النّطق؛ بالتخلّص من المقاطع الصَّوتية المتماثلة، أمَّا الأصوات المتقاربة في مخارجها أو صفاتها فإنَّها لا تدغم حتَّى تتماثل.[4]

4-6 التباين:

هو عكس الإدغام؛ أي نزع صوتين متماثلين أو متقاربين إلى التباعد والتباين حتّى يخف نطقهما، ويكثر ذلك خاصة في معالجة الكلمات الدّخيلة، وفي نطق العامة للكلمات العربية الأصل نحو: فنجان تنطق فنجال بالعامية، وغنم تنطق غلم .[5]

---

[1]- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 279/1.

[2]- الداني، التحديد في الإتقان والتجويد، ص: 99.

[3]- المصدر السابق، 279/1.

[4]- ينظر: أبو أوس إبراهيم الشمسان، الإدغام مفهومه وأنواعه وأحكامه، ص: 48.

[5]- ينظر: الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص: 72.

5- الفونولوجيا ومستويات اللّغة:

تعتبر الفونولوجيا حلقة وصل بين مادة النّطق وبين جميع مستويات اللغة كالتحليل النَّحوي مثلا؛ ذلك أنَّ كثيرا من الموضوعات الَّتي تدرسها الفونولوجيا- علم وظائف الأصوات- كالنظام المقطعي للّغة كانت جزءاً من مفهوم النَّحو التقليدي، ولم يكن ثمَّة فاصل في مناهج الدِّراسة اللّغوية وأقسامها بين الفونولوجيا والنَّحو، على اعتبار أنَّ (الفونيم) و(المقطع) هما العنصران الأساسيان في التحليل الفونولوجي، وفي المقابل (المورفيم) و(التركيب) هما العنصران الأساسيان اللّذان يدرسهما النَّحو، فالمورفيم نموذج يتردد في السلسلة الكلامية من طبيعة منفصلة عن طبيعة النماذج المترددة في الكلام، والَّتي تفسر على أساس فونولوجي وذلك كنماذج البنية المقطعية والتركيب المقطعي. [1]

فقد ((توصَّل اللّغويون العرب إلى إيجاد نظرية صرفية لا تخلو من الإحكام، فسروا بها أهمّ التغيرات الصَّوتية الطارئة على الصيغ، وهذه النظرية تعتمد مبادئ أهمّها: الإعلال والإدغام وامتناع التقاء الساكنين)) [2]، لا يسع المقام التفصيل في أبوابها، يمكن أن نشير فقط إلى أنَّهم أرجعوا هذه الروابط الموجودة بين أصوات الكلمة تماما كروابط أفراد الأسرة، أو المجتمع تتَّسم بالتَّجاذب، أو التنافر وما ينجر عن ذلك التفاعل من تأثير وتأثر، يخضع لخصائص هذه الأصوات؛ مثلما تخضع صلات البشر لطباعهم وخصائصهم النّفسية، فأصوات البشر تتميز إذا بخصائص متعددة تكوّن منها أسراً ومجموعات تتقارب وتتباعد طبقا لنوع هذه الخصائص،[3] وهو تمام ما ذهب إليه "دي سوسير"(1857-1913م) كون اللّغة نظام اجتماعي.

و((يتضح موقف علماء العرب القدامى من دور النبر في تحديد الدلالة في دراستهم البلاغية على الخصوص، وتوزيعهم الطلب إلى دلالات كثيرة، وتقسيمهم كل دلالة إلى معان

---

[1]- ينظر: محمود السَّعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص:209،210.

[2]- المرجع السابق، ص:20.

[3]- ينظر: الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص:36.

إضافية...فعندهم أن الاستفهام يخرج إلى دلالات كثيرة منها: الإنكار، والتفجيع، والتوجع والاستغراب، والدهشة والدعاء، وغير ذلك ممَّا خاضوا فيها تنظيرا وتطبيقا.»[1]

فعلى مستوى المعاني « يفرق عادة بين الجمل الإنشائية والجمل الاستفهامية؛ باحتواء الثانية على أداة استفهام، أو تغيير طفيف في نظمها، في حين أنَّ أهمَّ أساس للتفريق هو التنغيم أو التلوين الموسيقي الَّذي يعدّ جزءاً لا يتجزأ من النّطق نفسه» [2]، فتغيُّر النغمات الصَّوتية مبني على اختصاص كلّ موقف بميزات معينة، يوافق بالضرورة الأسلوب المناسب للخطاب نفيا أو إثباتا أو تعجبا أو استفهاما كما سبق وأشرنا.

كما « أنَّ كثيرا من موضوعات البديع تتشكل أبعادها وفقا لقوانين علم الأصوات»[3] كالجناس والسّجع والطباق وما يتركه-البديع- من نغمة موسيقية تطرب لها الأذن تارة، وتلفي تأكيدا وبيانا وتوضيحا تارة أخرى، وفي مجال الدَّلالة الأكيد أنَّ المعنى هو الحصيلة النهائية للمنطوق بهيئته البنائية المعينة وانتظام عناصره المنسقة وفقا لقواعد نظم الكلام في اللّغة، ولا شك أنَّ كلّ منطوق له لون من الأداء الكلامي المميز؛ يتواشج فيه الدَّال بمدلوله لتحصيل الدَّلالة الَّتي يروم المتكلِّم إيصالها للمتلقي.

والمسلَّم به لدى "أحمد مختار عمر" أنَّ النشاط الكلامي ذا الدَّلالة الكاملة لا يتكون من مفردات فحسب؛ وإنّما من أحداث كلامية، أو امتدادات نطقية تكوّن جملا تتحدّد معالمها بالسّكتات أو الوقفات أو نحو ذلك، ممّا يعني أنَّ الجانب الصّوتي يؤثر في المعنى؛ مثل وضع صوت مكان آخر، ومثل التنغيم والنبر، من ذلك قول الحق جلاّ في علاه: ﴿قَالُوْا فَمَا جَزَاؤه إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِيْنْ

---

[1]- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، (1427هـ،2007م) ص:74.

[2]- منى السر إسماعيل الباقر، أثر التغيرات الصوتية في تحولات الصيغ الصرفية –دراسة وصفية تحليلية في ضوء علم اللغة الحديث من خلال الربع الأخير من القرآن، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، (1433هـ/2012م)، ص:34.

[3]- المرجع نفسه، ص:37.

قَالُواَ جَزَاؤه مَنْ وُجِدَ فِيْ رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤه﴾[يوسف:74-75] فلا شكّ أنّ تنغيم جملة (قَالُواَ جَزَاؤه) بنغمة الاستفهام، وجملة (وُجِدَ فِيْ رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤه) بنغمة التقرير سيقرب معنى الآيات إلى الأذهان ويكشف عن مدلولها.[1]

فقد صنّف علماء الدّلالة المعنى إلى خمس أنواع نجملها فيما يلي: [2]

أوّلا: المعنى التصوري أو المفهومي أو الإدراكي؛ يعتبر عاملاً رئيسياً للاتصال اللّغوي والتّفاهم ونقل الأفكار.

ثانياً: المعنى الإضافي أو العرضي أو الثانوي أو التضميني؛ أي المعنى الّذي يمليه اللّفظ عن طريق ما يشير إليه إلى جانب معناه التّصوري الخالص.

ثالثاً: المعنى الأسلوبي: يخص ما تحمله قطعة من اللّغة بالنسبة للظروف الاجتماعية لمستعمليها والمنطقة الجغرافية الّتي ينتمي إليها، كما يكشف مستويات أخرى كالتّخصص ودرجة العلاقة بين المتكلِّم والسَّامع ونوع اللّغة ورتبتها.

رابعاً: المعنى النّفسي ما يشير إليه اللّفظ من دلالة لدى الفرد ذاته لا يتميز بالعمومية.

خامساً: المعنى الإيحائي؛ يتعلق بالكلمات ذات المقدرة على الإيحاء نظرا لشفافيتها.

كلّ هذا وذاك للإشارة لمدى التواشج والتّعالق الحاصل بين الصّوت اللّغوي في جانبه الوظيفي أو علم وظائف الأصوات ومستويات اللّغة، ومدى تداخل عناصر أخرى نفسية ومقامية في توجيه الدّلالة وحسن سير الوظيفة الإبلاغية من عدمه.

[1]- ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مطبعة عالم الكتب، القاهرة، ط5، (1998م)، ص: 12،13.
[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 36-39.

6- اختلاف اللّهجات العربية والنظام الصَّوتي:

تختلف اللهجات العربية عن بعضها البعض في نظامها الصَّوتي والصَّرفي والنَّحوي والدَّلالي سنولي اهتماما بالمستوى الصَّوتي لما له علاقة بموضوعنا، ومعلوم أنَّ اللّهجة طريقة معينة في الاستعمال اللّغوي والصَّوتي، توجد في بيئة خاصة من بيئات اللغة الواحدة، وهي العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من النَّاس تتكلَّم لغة واحدة، وهذه العادة الكلامية تكون صوتية في غالب الأحيان[1]، من ذلك في لهجات العرب القديمة الكشكشة والعنعنة سنأتي لبيانها لاحقا.

والعلاقة بين اللهجة واللغة هي علاقة ((ما بين الخاص والعام، أو ما بين الفرع والأصل، لكن العرب القدماء حين كانوا يشيرون إلى تلك الفروق بين لهجات القبائل لم يستعملوا مصطلح (اللهجة) على النّحو الّذي نعرفه في الدَّرس الحديث؛ بل إنَّهم لم يستعملوه قط في كتبهم))[2]، وأبلغ ما توصل إليه "الراجحي" : ((ما تردده معاجمهم من أن (اللهجة) هي اللسان، أو طرفه، أو جرس الكلام ولهجة فلان لغته الَّتي جُبل عليها فاعتادها ونشأ عليها.)) [3]

وتوصل "الجاحظ" (ت.255هـ) قبله إلى حقيقة صوتية مفادها؛ أنَّ العادات النطقية إذا تمكنت من اللّسان يصعب التخلص منها يقول: ((السَّندي إذا جلب كبيرا فإنَّه لا يستطيع إلاَّ أن يجعل الجيم زايا ولو أقام في عليا تميم أو في سفلى قيس أو بين عجز هوزان خمسين عاما.))[4] بمعنى الطبع يغلب التطبع، فمن اعتاد على لهج أصوات العربية حسب ما تعود عليه في عرفه وبيئته تكون قد رسخت معه يصعب عليه أن يعدل لغيرها.

و"لابن جني" (ت.393هـ) رأي آخر يقول: ((واعلم أنَّ العرب تختلف أحوالها في تلقي الواحد منها لغة غيره، فمنهم من يخف ويسرع قبول ما يسمعه، ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته

---

[1]- ينظر: عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشاة وتطورا، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، (1414هـ/1993م)، ص:33.

[2]- عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، إسكندرية، (د ط) (1996م)، ص:50.

[3]- المرجع نفسه، ص ن.

[4]- الجاحظ، البيان والتبيين، 70/1.

البتَّة، ومنهم من إذا طال تكرر لغة غيره عليه لصقت به.»[1] وفي هذا جانب كبير من الصواب، لأنَّه عدَّد طبائع الناس في التأثير والتأثر بالغير فرأيه هذا أشمل وأكمل.

يميل الإنسان في طبيعته النطقية إلى تلمُّس الأصوات السَّهلة الَّتي لا تحتاج إلى جهد عضلي فيبدل الأصوات الصَّعبة في لغته نظائرها السَّهلة، من ذلك « قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قيل يا نبئ الله، فقال: لست نبئ الله ولكني نبيّ الله، وذلك أنّه عليه الصلاة والسلام أنكر الهمز في اسمه فردَّه على قائله.»[2]

ومن الملاحظ « أنَّ تشابهاً في الكلمات قد يظل قائما؛ يلاحظ لأوَّل وهلة بين اللهجة واللغة الَّتي انبثقت منها، وتماثلا في كثير من التراكيب اللّغوية، ولكن الاختلاف في نطق كثير من الكلمات والجمل، وطرق التعبير عامة بينهما يكون كفيلا بإعطاء تلك اللّهجة شخصية اعتبارية كلغة مستقلة»،[3] ذلك « أنَّ المستوى الدّلالي والصّوتي لكثير من المفردات، والألفاظ الممتدّة على المساحة المحدثة يعكس جانبا من صورة اللهجات العربية التي كانت سائدة في الجزيرة العربية.»[4]

ومثال ذلك في لهجة الإقليم الشمالي للجزيرة العربية يميلون للتسهيل، ولا ينطقون الهمز إلاَّ قليلا؛ ففي قولهم: بطيت، وتوضيت، وطفيت، وهديت، ومليت، وخذيت، والَّتي تقابل: أبطأت وتوضأت، وأطفأت، وهدأت، وملأت، واتخذت، ونظائرها في محاولة من المتكلم التّخلص من الهمزة في مثل: راي= رأي، راس=رأس، ذيب=ذئب، فاس=فأس، جاي=جاء، خضر=أخضر.[5]

---

[1]- ابن جني، الخصائص، 383/1.

[2]- المصدر نفسه، ص ن.

[3]- عبد الرحمن أحمد البويربني، اللغة العربية أصل اللغات، ص:67.

[4]- عبد القادر عبد الجليل، الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي، دار صفاء للنشر والتوزيع، سلسلة الدراسات اللغوية، عمان، الأردن، ط1، (1417هـ/1997م)، ص:07.

[5]- ينظر: عبد القادر عبد الجليل، الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي،، ص:24.

وقد أرجع العلماء انشطار اللّغات إلى لهجات لعدَّة عوامل نلخصها فيما يلي: [1]

- ✓ اختلاف البيئات الجغرافية: الأرض الَّتي يعيش عليها البشر مختلفة؛ ففيها الجبال والسهول والوديان، وفيها الأراضي الزراعية والأراضي القاحلة، ومتى اختلفت البيئة الجغرافية فإنَّ ذلك يؤدي إلى اختلاف اللغة.
- ✓ الظروف الاجتماعية: لا ريب أنَّ كلّ قوم لهم قوانينهم، وطرقهم الخاصة في معيشتهم وتفكيرهم وطبقات الشعب الواحد، فكلّ شعب له ملامح ثقافية وعادات وتقاليد خاصة تختلف عن الآخرين.
- ✓ الاتصال البشري وآثاره: يتصل بنو البشر لتبادل المنافع، كما أنَّ الإنسان يحتاج إلى الهجرة من وطنه الأصلي إلى مكان آخر، وبديهي أنَّ تلك الاتصالات وبفعل الاحتكاك يحدث التأثير والتأثر.
- ✓ في حالة الحروب نجد لغات المغزوين تتلاشى أمام لغة الغزاة، وتنزوي في ضعف وتتقهقر وذلك واضح في تغلُّب العربية على لغات البلاد المفتوحة.

ومن الصّور الَّتي يظهر فيها بوضوح سمعي التنوع اللهجي؛ ما رصده لنا أهل البحث في التغيرات الصَّوتية واللّهجية للّغة العربية، نذكر منها باختصار ما يلي:

الإمالة:

الإمالة من العادات النطقية لدى بعض قبائل العرب، فالفتح لغة الحجازيين، والإمالة لغة عامة أهل نجد وتميم وأسد وقيس؛ ويقصد بها الميل بالنطق بالفتح نحو الكسر وبالألف نحو الياء وتسمى الكسر والبطح والإضجاع، والغرض من الإمالة عند العرب هو التقريب والتناسب والمشاكلة

[1]- ينظر: عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا، ص:42-45.

بين الأصوات طلبا للخفة، وهو منهج صوتي في كلامهم، وهي نوعان: إمالة حرف إلى حرف أي الألف نحو الياء، وإمالة حركة الفتحة نحو الكسرة إذا لم يكن بعدها ألف.[1]

وهي قسمان: ((إمالة شديدة وإمالة متوسطة وكلاهما جائز في القراءات جار في لغة العرب)).[2] وهذه العادة النطقية مازلت جارية على ألسن الكثير من المناطق العربية إلى يومنا، يتعرف كلّ مستمع من خلالها على البيئة الجغرافيا الَّتي ينتمي إليها المتحدث.

الكشكشة والكسكسة:

وهي في ربيعة ومضر يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شينا فيقولون: رأيتكش، وبكش وعليكش، يقصدون: رأيتك، وبك، وعليك، فمنهم من يثبتها حالة الوقف فقط، وهو الأشهر ومنهم يثبتها في الوصل، ومنهم من يجعلها مكان الكاف ويكسرها في الوصل ويسكنها في الوقف والكسكسة كالكشكشة يجعلون بعد الكاف أو مكانها في خطاب المؤنث سينا، فيقولون: أعطيتكس وأكرمتكس يقصدون أعطيتك وأكرمتك.[3] يشير "عبد الغفار حامد هلال" أنَّ ((بعضهم ادعى أنَّ قلب الكاف سينا أوشينا أو صوتا مركبا (تس-تش) يتمشى مع قانون الأصوات الحنكية الذي يقرر أنَّ الأصوات تنتقل من أقصى الحنك (الطبق) إلى الشفتين.)) [4]

العنعنة:

ظاهرة صوتية لها وجود في تراثنا العربي، نسبت إلى قبائل تميم وقيس وأسد، ولتوضيحها نقدم الأمثلة التالية: يقول بعض أهل الإقليم في مثال: قرآن، قراءة، مسألة، سؤال، فجأة، على التوالي: قرعان، مسعلة، سعال، سعل، فجعة، مما يعني أنَّهم يعدلون عن نطق بالهمزة إلى العين.[5]

---

[1]- ينظر: عمر علي محمد الدليمي وظافر عكيدي فتحي العاني، موانع الإمالة (مقال)، مجلة الأستاذ،ع.203 (1433هـ/2012م) ص:59.

[2]- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 2/ 30.

[3]- ينظر: عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا، ص:162-164.

[4]- المرجع نفسه، ص: 165.

[5]- ينظر: عبد القادر عبد الجليل، الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي، ص:27.

العجعجة والفحفحة:

العجعجة في لغة قضاعة يجعلون الياء المشددة جيما يقولون في تميمي تميمج، والفحفحة هي قلب الحاء عينا مطلقا سواء كانت حاء حتَّى أو غيرها في لغة هذيل يقولون في مثل: حلت الحياة لكلّ حي = علت العياة لكلّ عي. [1]

يذكر أيضاً هنا "عبد الغفار حامد هلال" أنَّ: ((بين الياء والجيم علاقة صوتية؛ لأنّهما من مخرج واحد وهو وسط اللّسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، أو أنَّهما قريبا المخرج ويشتركان في بعض الصفات كالجهر والإستفالة والإنفتاح والاصمات، لذلك كان الانتقال من الياء للجيم سائغا)).[2] والملاحظة نفسها تجري على إبدال الهمزة والحاء عينا في العنعنة والفحفحة.

ممَّا سبق يمكننا القول أنَّ اللّهجة اتجاه منحرف داخل اللّغة، وكلّ من اللّغة واللّهجة يتصلان بالصَّوت، فاللّغة ترتبط به من حيث إفادة المعنى، واللّهجة من حيث صورة النطق وهيئته، والاختلاف الصَّوتي يرجع إلى اختلاف في مخرج بعض الأصوات اللّغوية أو إبدال الأصوات المتقاربة بعضها ببعض؛ إذا أي انحراف يصيب تلك الحروف عند الأقدمين يؤدي إلى اختلاف في نطقها وتنوع اللهجات، وتباين في النغمة الموسيقية للكلام، واختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض، لهذه الأسباب وغيرها تنوعت لهجات القبائل وما زال أثرها على ألسن المتحدثين إلى اليوم.

7- عيوب النطق والتغيرات الفونيمية:

تصيب الإنسان في طفولته ومراحل سنه الأخرى عيوب نطقية تعيق استخدام الكلام بالشكل السَّليم، أو تمنعه عن النطق جزئيا أو كليا، وقد اهتمَّ الدَّرس اللّغوي الحديث بالعيوب الحاصلة؛ من

[1]- ينظر: عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا ، ص:171-176.

[2]- المرجع نفسه، ص:170.

زلات اللّسان في حالة الأصحاء، والاضطرابات الكلامية عند المصابين بالحبسة، ولعلم النّفس اهتمامات واضحة بدراسة الكثير من حالات عسر الكلام، وعيوب النطق.[1]

وقد سبق العرب غيرهم من الشعوب في ملاحظة بعض العيوب النطقية، الَّتي من شأنها أن تخرج الكلام عن سمت البيان والفصاحة، فالجاحظ على سبيل المثال تناول هذا الموضوع في كتابه المشهور (البيان والتبيين) على وجه التحديد في جزئه الأوَّل من هذا الكتاب، وقد صنف هذا العالم الأديب عيوب النطق إلى أنواع أهمّها:

1. عيوب فسيولوجية: كاللجلجة والتمتمة، واللثغة، والفأفأة، والحبسة، والحكلة، والرَّنة واللَّفف، والعجلة.
2. عيوب فردية: تتمثل في التشدق والتقعير والتقعيب.
3. عيوب أعجمية: كاللكنة، واللحن.[2]

في عجالة نعرض لبعض العيوب الَّتي تطرق إليها الجاحظ (ت.255هـ) فيما يلي:[3]

اللثغة:

ممَّا جاء به "الجاحظ" في هذا الباب أنَّ: الحروف الَّتي تدخلها اللثغة أربعة حروف هي: القاف، والسين، واللام، والراء؛ فاللثغة الَّتي تعرض للسين تكون ثاء كقولهم: لأبي يكثوم = أبي يكسوم، وبثرة، وبثم الله، إذا أرادوا بسرة وبسم الله، والثانية اللثغة الَّتي تعرض للقاف؛ فإنَّ صاحبها يجعل القاف طاء، فإذا أراد أن يقول: قلت له، قال: طلت له، وإذا أراد أن يقول: قال لي، قال طال لي.

وأمَّا اللثغة الَّتي تقع في اللام فإنَّ من أهلها من يجعل اللام ياء فيقول: بدل قول: اعتللت اعتييت، وبدل جمل جمي، أمَّا اللثغة الَّتي تقع في الراء فإنَّ عددها يضعف على عدد لثغة اللام لأنَّ

[1]- ينظر: خليل ابراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، ص:92.

[2]- ينظر: محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، ص:22.

[3]- ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، 1/34-40.

الَّذي يعرض لها أربعة أحرف؛ فمنهم من إذا أراد أن يقول عمرو قال: عمي فيجعل الراء ياء، ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو قال: عمذ فيجعل الراء ذالا.

وربما اجتمعت في الواحد لثغتان في حرفين كنحو لثغة شَوشَى صاحب عبد الله ابن خالد الأموي فإنَّه كان يجعل اللام ياء والراء ياء قال مرة: مورياي وبِّيُ اليّ يريد مولاي وليّ الرّئي، واللّثغة الَّتي في الراء إذا كانت بالياء فهي أحقرهن، وأوضعهن لذي المروءة، ثمَّ الّتي على الظاء، ثمَّ الَّتي على الذال فأمَّا الَّتي على الغين فهي أيسرهن، أمَّا اللّثغة في الراء فتكون بالياء والظاء والذال والغين، وهي أقلها قبحا أوجدها –الجاحظ– في ذوي الشرف وكبار النَّاس وبلغائهم وعلمائهم.

التمتمة والفأفأة:

يكتفي "الجاحظ" في تطرقه للتمتمة بقول "الأصمعي" الَّذي جاء فيه: إذا تتعتع اللّسان في التاء فهو تمتام، وإذا تتعتع في الفاء فهو فأفاء.

الحبسة:

يقال في لسانه حبسة إذا كان الكلام يثقل عليه، ولم يبلغ حدّ الفأفأ والتمتام، ويقال في لسانه عقلة؛ إذا تعقّل عليه الكلام.

اللكنة:

إذا دخل بعض حروف العجم في حروف العرب وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأوّل.

الحُكْلَة:

نقصان آلة المنطق وعجز أداة اللّفظ حتَّى لا تعرف معانيه إلاَّ بالاستبدال.[1]

[1]– ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين ، 1/37-40.

خلاصة الفصل:

تنتظم اللّغة المنطوقة في سلسلة متتابعة من المقاطع الصَّوتية، هي بالضرورة أساليب لغوية تحمل قيماً تعبيرية، والَّتي تكُون الكلمة المفردة أساسها البنائي، لتنتهي تلك السلسة في أبسط صورها بالصَّوت اللّغوي؛ فوظيفة الصَّوت اللّغوي توليد المعاني عبر تسلسل صوتي خاضع لقواعد معينة في التجاور والارتباط والموقع الَّذي يؤدّي فيه النّبر والتّنغيم دوراً مهماً، فتأتي تلك الوظيفة من مجموع تشكيل الأصوات داخل بنية لفظية ما تنسجم مع غيرها لتؤدي وظيفتها الدَّلالية، والَّتي تولِّد تآلف الأصوات فيما بينها، وهذا يعني أنَّ ثمَّة وشاجة قوية بين الأصوات والمدلولات، فكلّ صوت يومئ ويشير إلى دلالة معينة بمعنى آخر يجسِّد شكل المعنى.

وفيما يخص تطرقنا للّهجات العربية ولعيوب النطق؛ نظراً لما لهما من أثر سلبي على الأداء الصحيح والجيِّد للّغة بالأخص في المنابر الَّتي يعتليها الخطباء، وقد يحصل أن يعاني أحدهم من عيب من العيوب الَّتي سبق ذكرها، أو أن يغلب على لسانه اللهجة العامية فتفسد عليه الإلقاء الجيِّد لخطبته.

فقد تعدَّدت واختلفت اللهجات من منطقة عربية لأخرى رغم أنَّ المورد واحد، وبات بمجرد سماع لهجة الناطق تحدَّد بلده وبيئته بل وحتَّى عاداته وتقاليده، وأصبح في أحايين كثيرة يصعب فهم بعض المفردات بين أبناء اللَّغة الواحدة، خصوصاً إذا كان الناطق قد اعتاد استبدال القاف بالغين كمثال، فلا يفهم المتلقي إن كان يريد من قوله: أنا قريب يقصد القرب أم يقصد أنّه غريب؟

ومع الأسف انتشر التواصل في منابر الخطباء باللهجة العامية، أو كما تعرف بالدارجة وحجتهم في ذلك (خاطبوا النَّاس بما يفهمون) ناسين أو متناسين أنَّ بين الحاضرين مثقفين كما يحضر أيضا الأميّين، مع العلم أنَّ هذا الأميّ لا يجد إشكالا في فهم الخطيب إن كانت لغته فصيحة، وفي المقابل قد ينفر المتعلّم والمثقف من الخطيب الَّذي لا يتحرج ولا يجتهد في أن يتوسط ويعتدل ويتخير ما يناسب بين الفصحى والعامية بِلا إفراط ولا تفريط، ليكون هدفه استمالة الحضور على اختلاف أعمارهم ومستوياتهم.

وفيما يخص عيوب النطق نستبعد أن نجد خطيبا يعاني من عيب من العيوب السالفة الذكر ثمَّ يمكن للخطيب أن يخفي عيبه باستبدال المفردة بما يرادفها حتَّى لا يقع في الحرج، ومع ذلك إن وجد خطيب يعاني من عيوب النطق فقليل، لعلَّ من هذه القلَّة من يظهر في لغته عدم وضوح الكلمات الَّتي فيها حرف (الراء) أي (اللثغة) فيلحظ المتلقي وكأنَّ لسانه يلتوي ولا يحقق نطق (الراء) فبدل من نطق (الصراط) يقول (الصياط) فيختل المعنى ويفسد المدلول، لهذا السبب تطرقنا لعيوب النطق.

أمَّا العناصر الأساسية في الوظيفة الإبلاغية أو في العملية التواصلية هم على التوالي: المرسل والرسالة والمتلقي؛ أي الخطيب، والخطاب والمخطوبين؛ على اعتبار أنَّ كلّ ما سبق التطرق إليه فيما يخص الصَّوت اللّغوي والوظيفة الإبلاغية يهمُّنا أن نوضحه في الخطابات المسجدية، فحري بنا إذن أن نتوجه مباشرة لسبر أغوار ما جادت به أقلام علمائنا فيما يخص فن الخطاب والخطابة بشكل خاص في فصلنا الموالي.

الفصل الثاني: الخطاب والخطابة

- مفهوم الخطاب وأنماطه
- ماهية الخطابة وتاريخها
- تصنيف الخطابة
- علم الخطابة
- فوائد الخطابة ومراميها

توطئة:

أظْهر وأوضح مجال تواصلي للوظيفة الإبلاغية يكون في الخطابة بصفة عامة، وفي الخطاب المسجدي بصفة خاصة، نظرا لحضور كلّ عناصر العملية التواصلية من: الخطيب والمخاطَب والخطاب، وإن كان نجاح هذه الوظيفة يعتمد بشكل أساسي على الخطيب، إضافة إلى أنَّها تقوم على خاصيتي الإقناع والتأثير، والَّتي يتبيَّن نجاحها من خلال تغيير سلوك الأفراد وتفكيرهم ومعتقداتهم حسب ما يقتضيه المقال والمقام، من هنا حقَّ لنا في هذا الفصل أن نلمَّ بالخطابة من جميع الجوانب.

معلوم أنَّ الكلام نوعان: نثر وشعر؛ النثر هو الكلام الَّذي يجري على السليقة من غير التزام وزنٍ، وقد يدخل السَّجع والموازنة في تكلُّف الكلام، ويبقى نثرا إذا بقي مجردا من الوزن، والكلام المنثور هو الكلام المألوف في الحياة اليومية، وعلى ذلك كان الكلام المنثور أسبق في التعبير عن مقاصد الإنسان وعن أفكاره،[1] وحاجاته التواصلية من الكلام الموزون، وفي هذا يقول "قدامة بن جعفر" (ت.337هـ): ((واعلم أنَّ سائر العبارة في كلام العرب إمَّا أن يكون منظوما، وإمَّا أن يكون منثورا، والمنظوم هو الشعر والمنثور هو الكلام.))[2] يأخذنا الفضول هنا لنتساءل: أليس الشعر أيضا كلاما؟ غير أنَّه موزون بينما الثاني مسترسل أو غير منظوم، ومع ذلك فالقصد جليّ وواضح، وفي ذات المقام يضيف: و((النثر مطلق غير محصور، فهو يتسع لقائله.))[3]

ومثال ذلك في مجال الدَّراسات الأدبية والإبداعية نجد له–النثر– عدَّة أجناس فنية منها: القصة والرواية، والمقامة، والنادرة، والحكم والأمثال، والخطابة، هذه الأخيرة هي الإطار المثالي الَّذي تتجلَّى فيه البلاغة النثرية في الأداء اللّغوي، وتتمظهر فيه الوظيفة الإبلاغية بكلِّ أبعادها ومراميها.

---

[1]– ينظر: محمد عزام، المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، دار الشروق العربي، حلب، سورية، (د ط)، (د ت) ص:368.

[2]– قدامة بن جعفر، نقد النثر، حققه وعلق على حواشيه: طه حسين بك، وعبد الحميد العبادي، مطبعة الأمير مولاق، القاهرة (د ط)،(1941م)، ص:82.

[3]– المصدر نفسه، ص:83.

وقبل التفصيل والولوج إلى فن الخطابة، حريٌّ بنا أن نقدم توضيحا وتنويها حول الخطاب على اعتبار أنَّ موضوع بحثنا حول الخطاب المسجدي، ممَّا يتوجب علينا أن لا نغفل الحديث عن الخطاب بصفة عامة قبل الذهاب إلى الخطابة بصفة خاصة، ذلك أنَّ الخطاب يتنوع بين الكتابي والشفاهي ناهيك عن خصوصيات كلّ واحد منهما، وإن كنا فتحنا المجال بربط الوظيفة الإبلاغية بالخطاب المسجدي بدل الخُطب المسجدية، ليتسع المجال أمامنا للخطب المنبرية بنوعيها الكتابي؛ من مدونات أئمة المساجد وأعلامها، وخطب مسجلة وأخرى من روابط إلكترونية لنتمكن من استظهار أهميَّة الأداء الصَّوتي ودوره في أداء الأمانة وتبليغ الرسالة، من هنا سنتدرج خطوة خطوة من الخطاب إلى فن الخطابة.

1- مفهوم الخطاب:

لغةً: جاء في (لسان العرب): الخَطْبُ: الشأن أو الأمر صغُر أو عظُم، وقيل هو سبب الأمر يقال: ما خَطْبُكَ؟ أي ما أمرك؟ وتقول هذا خَطِبٌ جليل، وخَطْبٌ يسير، والخَطْبُ الأمر الَّذي تقع فيه المخاطبة، والشأن والحال، ومنه قولهم: جلَّ الخَطْبُ؛ أي عظم الأمر والشأن، وفي حديث عمر: وقد أفطروا يوم غيمٍ من رمضان، فقال الخَطْبُ يسيرٌ، وجمعه خُطُوب، والخِطْب: الّذي يخطب المرأة وهي خِطْبُه، واخْتَطَبَ القوم فلاناً إذا دعوه إلى تزويج صاحبتهم، والخِطَابُ والمخَاطَبَةُ: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبةً وخطاباً، وهما يتخاطبان والخُطْبَةُ مصدر الخَطِيْبُ، وخَطَبَ الخَاطِبُ على المنبر، واختطب خطابة، واسم الكلام الخُطبة، ورجل خطيب حسن الخُطبة، وجمع الخطيب خُطباء، وخُطْبَ بالضّم، خَطابة بالفتح صار خطيباً. [1]

اصطلاحاً: يوحي مصطلح (الخطاب) بأنَّ ((المقصود ليس مجرد سلسلة لفظية؛ (عبارة أو مجموعة من العبارات) تحكمها قوانين الاتساق الداخلي (الصَّوتية والتركيبية والدَّلالية والصّرف)، بل

[1]- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، باب الخاء، 1/1194،1195.

كلّ إنتاج لغوي يربط فيه ربط تبعية بين بنيته الداخلية وظروفه المقامية (بالمعنى الواسع)) [1] هو بالضرورة خطاب، لقد أصبح الخطاب شاملاً للجملة، مع اعتماد التواصلية معيارا للخطابية، كما لم يعد معيار الحجم من محددات الخطاب، سواء كان الخطاب نصًّا كاملا أو جملة.[2]

وبالتالي يعدُّ كلّ إنتاجٍ لعبارات لغوية خطابا؛ يكوِّن في مجموعه وحدة تواصلية؛ ونقصد بالوحدة التواصلية أن يكون للعبارات اللّغوية المنتجة في مقام معيّن وموضوع معيّن، وغرض تواصلي معين غاية ومقصد، وعليه ما يؤسس للخطاب ليس نوع العبارات اللّغوية ولا حجمها، ولا عددها وإنَّما هو وحدة التواصل الَّتي تكْمن في وحدة المقام، والموضوع والعرض، وبهذا المعنى يمكن أن نقول إنَّ الرواية خطاب، والمقال خطاب، والمحاضرة خطاب، والنقاش حول موضوع ما خطاب وغير ذلك.[3]

مع العلم أنَّ المقام هو: ((مجموعة العناصر الَّتي تتوافر في موقف تخاطبي معين، وأهمَّها زمان التخاطب ومكانه وعلاقة المتكلِّم بالمخاطب، وخاصية الوضع التخاطبي القائم بينهما، أي مجموعة المعارف الَّتي تشكِّل مخزون كلّ منهما أثناء عملية التخاطب)).[4] وللخطاب أنماط فيما يلي بيانها.

1-1 أنماط الخطاب:

يصنف "المتوكل" أنماط الخطاب حسب معايير متوارثة إمَّا من حيث الموضوع، أو الآلية، أو البنية، وتفصيلها فيما يلي:[5]

- تصنف الخطابات من حيث موضوعاتها إلى خطاب ديني، وخطاب علمي، وخطاب أيديولوجي، وخطاب سياسي.

---

[1]- أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص:16.

[2]- ينظر: أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الرباط، ط1، (2010م)، ص:24.

[3]- ينظر: المرجع السابق ، ص:79.

[4]- أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، ص:172.

[5]- أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، ص:25.

- وتصنف الخطابات من حيث بنيتها داخل ما يسمى الخطاب الفني إلى قصة ورواية وقصيدة شعر وغيرها.
- أمَّا من حيث الآلية المشغلة فيميز بين الخطاب السردي، والخطاب الوصفي ، والخطاب الحجاجي.

يلخص"المتوكل" أنماط الخطاب ويقدمها بشكل مصنف ودقيق في مختلف المجالات والتخصصات وفق أسس مدروسة؛ من حيث موضوع الخطاب، ومن حيث البناء الفني ومن حيث الآليات المطبقة في تحليل هذه الخطابات.

كما يمكن حصر جملة من المميزات والخصائص الَّتي تطبع الخطاب المرسل والموجه إلى جهاز الاستقبال، ويكون هذا الأخير هو المقصود بقيمتها الإبلاغية، وتتمثل هذه المميزات في: التأثير الإقناع، الإمتاع، الإثارة؛ حيث يقوم **التأثير** على استمالة متلقي الخطاب، ويرتكز **الإقناع** على توظيف الحجج المنطقية، أمَّا **الإمتاع** فيختلف جذريّاً عن الإقناع؛ باعتبار أنَّ هدف الأوَّل يرمي إلى جرِّ المتلقي نحو مقاصد المنتج للنَّص الخطابي، بينما تهدف الرسالة الإمتاعية إلى إدخال النشوة في نفس المستقبل للخطاب، و**الإثارة** هي تحريك نوازع وردود فعل في المتلقي،[1] وهو ما يجرنا جرًّا إلى الولوج إلى الخطابة؛ كون المرتكزات الَّتي تقوم عليها الخطابة هي نفس ما سبق التطرق إليه حول الخطاب بأشكاله وأنواعه.

2- الخطابة التعريف والماهية:

ممَّا جاء في (فن الإلقاء الرائع) أنَّ ((الخطابة في اللّغة هي الكلام المنثور، يخاطب به متكلمٌ فصيحٌ جمعا من النَّاس لإقناعهم)) [2]، وهي ((مصدر خطب يخطب أي صار خطيبا، وهي على هذا

[1]- ينظر: الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية –مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، الدار العربية للعلوم، منشورات الإختلاف، ط1، الجزائر، (1428هـ/2007م)، ص:39-41.

[2]- طارق محمد السويدان، فن الإلقاء الرائع، شركة الإبداع الفكري، الكويت، ط3، (ديسمبر 2004م/ 1425هـ)، ص:18.

صفة راسخة في نفس المتكلِّم يقتدر بها على التصرف في فنون القول، لمحاولة التأثير في نفوس السَّامعين، وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم، وإقناعهم، فالخطابة مرماها التأثير في نفس السَّامع ووجدانه، وإثارة إحساسه للأمر الذي يراد منه ليذعن للحكم إذعانا ويسلم به تسليما» [1] ممَّا يعني أنَّها فن مشافهة تتعامل مع العقل لإقناعه ومع العاطفة للتأثير فيها لهدف وغرض معين.

عُرفت الخطابة بتعريفات كثيرة لا يتباعد بعضها عن بعض كثيرا، ولكن منها ما ليس جامعاً لكلِّ أنواع الخطابة وجزئياتها، ومنها ما ليس مانعا من دخول أنواع أخرى معها مثل: الوصايا والدُّروس والإعلانات وهكذا، وأوضح وأدق ما عرفت به الخطابة أنَّها فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة.[2] وهذا لا يمنع من تقديم تعريفات أخرى:

من بينها تعريف " أرسطو" الَّذي يقول فيه: «ريطورية قوة تتكلف الإقناع الممكن في كلِّ واحد من الأمور المفردة.»[3] ويقصد هنا (بريطورية) فن التخاطب مع النَّاس في موضوع أو أمر بعينه فهي بهذا فن من فنون الكلام غايته إقناع السَّامعين واستمالتهم والتأثير فيهم، بصواب قضية أو بخطأ أخرى وبلوغ موضع الاهتمام من عقولهم موضع التأثير في وجدانهم.

والخطابة في «اصطلاح الحكماء مجموعة قوانين يقتدر بها على الإقناع الممكن في أيِّ موضوع يراد؛ و**الإقناع** حمل السَّامع على التسليم بصحة المقول، وصواب الفعل أو الترك، وهو نوعان برهاني وخطابي؛ وغاية **الأوَّل** إذعان العقل لنتيجة مبنية على مقدمات ثبتت له صحتها كقولنا: الأربعة زوجٌ لأنَّه منقسم بمتساويين، وقولنا: العالم حادث لأنَّه متغير؛ وغاية **الثاني** إذعان العقل بصحة المقول وصواب الفعل أو الترك بأقيسة مؤلفة من أقوال مظنونة أخذ فيها بالمحتمل الراجح، أو مقبولة صدرت

---

[1]- الإمام محمد أبو زهرة، الخطابة-أصولها- تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، دار الفكر العربين القاهرة، (د ط) (1934م)، ص:15.

[2]- ينظر: عبد الجليل عبده شبلي، الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، ط1، (1401هـ/1981م)، ص:13.

[3]- أرسطو طاليس، الخطابة، تح: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان، (د ط)، (1979م)، ص:09.

ممن يعتقد صدقه وسداد رأيه»[1]، لذلك ينبغي للخطيب أن يكون مطلعا على مختلف العلوم والفنون ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

والخطابة شأنها في ذلك شأن أغلب فنون القول؛ ملكة فطرية تُنَمَّى بالتحصيل وتتطور بالتجربة والخبرة، وتتبلور بالمعاودة والدربة والفهم، وقد ينضج الخطيب على نحو مفاجئ تصنعه الأحداث وتبرزه الحاجة، ويصهر الموقف دون طول إعداد.[2] كخطبة طارق بن زيادة الشهيرة وتفصيلها فيما يلي:

«أرسل القائد "موسى بن النصير" مولاه "طارق بن زياد على رأس جيش من البربر لفتح الأندلس سنة 92ه فعبر بهم البحر، وأقبل ملك القوط في جيش عظيم لدفع غارة هؤلاء الفاتحين فخاف "طارق" أن تُرهب كثرة هذا الجيش جنده القليلين، فأحرق السُّفن الَّتي أقلَّتهم حتَّى لا يدع لهم أملا في العودة، وقام فيهم خطيبا: فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثمَّ حثَّهم على الجهاد، ورغبهم في الشَّهادة.»[3]

وفَّر "طارق بن زياد" حججاً وبراهيناً منطقيةً وقطعيةً ما لا مجال للعقل في التشكيك في صوابها ورجحان البديهة فيها؛ ابتداءً بحرق السفن ووضع الجيش أمام الأمر الواقع، بل وعدم ترك مجال لاختيار ثالث، وسط هذا الضغط النفسي، والرهبة الممزوجة بالخوف من عُدَّة وعتاد العدو يسترسل قائدهم خطيبا محنكا بلسان البطل المِقدام واضعا النقاط على الحروف:

« أين المفرُّ؟ البحر من ورائكم، والعدوُّ أمامكم، وليس لكم والله إلاَّ الصِّدق والصَّبر واعلموا أنَّكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مآدب اللِّئام، وقد استقبلكم عدُّوكم بجيشه وأسلحته

[1]- علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار النصر للطباعة الإسلامية، مصر، (د ط)، (1984م)، ص:13.

[2]- ينظر: محمد صالح الشنطي، من التحرير العربي ضوابطه وأنماطه، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، المملكة العربية السعودية، ط7، (1427ه/2002م)، ص:225.

[3]- حسن محمد الرفاعي، ديوان خلاصة الأدب في كفاية الخطباء من الخطب، دار الكتب المصرية، المطبعة الرحمانية، بالخرنفش مصر، (د ط)، (1354ه/1935م)، ص:98.

وأقواتُه موفورة، وأنتم لا وزر لكم إلاَّ سيوفكم، ولا أقوات إلاَّ ما تستخلصونه من أيدي عدوِّكم، وإن امتدَّت بكم الأيام على افتقاركم، ولم تنجزوا لكم أمرا ذهبت ريحكم، وتعوَّضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم، فارفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم، بمناجزة هذا الطاغية، فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة، وإنَّ انتهاز الفرصة فيه لممكن؛ إن سمحتم لأنفسكم بالموت، وإنِّي لم أحذِّركم أمرا أنا عنه بنجوةٍ، ولا حملتكم على خلة أرخص متاع فيها النفوس، أَرْبَأُ فيها بنفسي واعلموا أنَّكم إن صبرتم على الأشقِّ قليلا استمتعتم بالأرْفَه الألذِّ طويلا، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فيما حظكم فيه أوفر من حظي، وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان، من بنات اليونان الرّافلات في الدُّرِّ والمرجان، والحلل المنسوجة بالعقبان المقصورات في قصور الملوك ذوي التيِّجان.»[1]

ليس هناك أبلغ من هذه الخطبة؛ إبداعاً وتأثيراً وإقناعاً واستمالةً؛ حيث بدأ " طارق " خطبته بسؤال جوهري (أين المفر؟) نبرة المستفهم بنغمة صاعدة الَّتي تترك الحيرة والتساؤل في الوقت نفسه وقد أحاطت بهم المهالك من كلِّ جانب، فمن بلاغة "طارق" وحنكته: حرك مشاعرهم أنَّى شاء من الترهيب إلى الترغيب، ثمَّ التحفيز ودفعهم إلى المواجهة بكلِّ ما أوتوا من قوَّة ورباطة جأش، وذلك بتوظيف التشبيه في قوله (أضيع من الأيتام على مآدب اللئام) وقبله وضعهم أمام الأمر الواقع (البحر من **ورائِكم** والعدوُّ **أمامكم**)؛ فأدى الطباق دوره في تأكيد الموقف الَّذي هم فيه، هذا إضافة إلى أدوات التوكيد الَّتي ترددت بكثرة في (أنَّ، إنَّكم، أنَّكم، إنَّ، أنِّي، إنِّي).

هذا ولم تخلو خطبته من إيقاع متناغم في توظيف السجع (الحور الحسان، من بنات اليونان الرّافلات في الدُّرِّ والمرجان، والحلل المنسوجة بالعقبان، المقصورات في قصور الملوك ذوي التيِّجان) وتناغم الفاصلة المنتقاة وما تحمله من صفة الغنة (حسان، اليونان، المرجان، بالعقبان، التيجان) فالنون نغمة موسيقية تطرب لسماعها القلوب كيف لا وليس أرغب وأقرب لقلوب الرجال من الحور

[1]- حسن محمد الرفاعي، ديوان خلاصة الأدب في كفاية الخطباء من الخطب، ص: 98-100.

الحسان، وما ينتظرهم إن انتصروا من إمارة وملك وسيادة في هذه الجزيرة، وهو بالضبط ما أتقن الخطيب توظيفه في خطبته لاستمالتهم، كما يغلب على هذه الخطبة تِرداد فونيم (الراء) ثلاثون مرة الَّذي تلازمه صفة الانحراف وهو من حروف الذلاقة مخرجه من طرف اللسان، فجاء موافقا لسياق الموقف؛ فقد انحرف وتغير حالهم من إمكانية التراجع إلى التيقن من أنَّه لا مجال لاختيار ثان سوى مجاهدة النَّفس بالصَّبر والصِّدق، وخوض هذه المعركة الفيصلية.

يليه تكرار فونيم (الكاف) خمس وعشرون مرة، وفونيم (القاف) سبعة عشرة مرة، ومخرجهما من أقصى اللسان تسميان لهويتان، وبرغم من اشتراكهما في المخرج غير أن (الكاف) رخوة مهموسة و(القاف) مجهورة شديدة، وكأننا (بطارق بن زياد) يستنهض الهمم من الرهبة والخوف إلى القوة والتمكين، ثمَّ يذكِّرهم ويطرح فيهم الثقة بمدح خصالهم البطولية وثقة أمير المؤمنين فيهم بقوله:

((وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عزبانا ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراً، أو أختاناً ثقة منه بارتياحكم للطِّعان، وإسماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان، ليكون حظُّه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته، وإظهار دينه بهذه الجزيرة، وليكون مغنمها خالصا لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم، والله تعالى وليِّ إنجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدَّارين، واعلموا أنِّي أوَّل مجيب إلى ما دعوتكم إليه، وأنيِّ عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم "لذريق" فقاتله إن شاء الله، فاحملوا معي، فإن هلكت بعده فقد كفيتكم أمره، ولن يَعُوْزَكُمْ بطل عاقل تسندون أموركم إليه، وإن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا المهمَّ من فتح هذه الجزيرة بقتله، فإنهم بعدُ يُخْذَلُوْنَ.))[1]

بعدما بَثَّهُ فيهم من ثقة وتذكيرهم بشرف اختيارهم من دون غيرهم، ينتقل إلى ما يجب أن يكون في ساحة المعركة؛ فيضع في حسبان جيشه كلّ الاحتمالات الواردة الَّتي قد تكون، عازما على

[1]- حسن محمد الرفاعي، ديوان خلاصة الأدب في كفاية الخطباء من الخطب، ص:100،101.

قتل قائد هذا الجيش الجرار (لذريق)، مع احتمال أن يهلك بعده أو يهلك قبل أن ينال مراده، وفي كلِّ حالة أمر جيشه بما يجب أن يكون بعده.

فكُتب لطارق وجيشه النَّصر، وخُلِّد ذكره وذكر معركته، وخُلِّدت معهما خطبته هذه الَّتي لا يمكن أن نجد أنسب منها فيما أدَّته من وظيفة إبلاغية بكلِّ ما تحمله الكلمة من معنى؛ ذلك أنّها حملت أهمَّ خصائص الإبلاغية الَّتي سبق أن تطرقنا لها. هذا ولا يفوتنا أن نرجع للوراء ونتدرج مرحليا لهذا الفن القولي من الناحية التاريخية:

2-1 تاريخ الخطابة:

لم يخل سجل أمَّة من الخطابة؛ فقد حفظها خط أشور المسماري، وقيدها خط الفراعنة الهيروغلوفي، ورواها تاريخ اليونان الأدبي والسياسي، منذ القرن السابع قبل الميلاد، وبها أخضع "بودا" الجموع الهندية لتعاليمه، وبها أذيعت الأديان، حيث كانت الخطابة عُدَّة الرسل في كلِّ موقف مشهود، فهي نصيرة الدَّعوة، فمن يوم أن أرسل الله "نوحا" نبيا، وقام في قومه خطيبا: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوْا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُه إِنِّيْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيْمٍ﴾[الأعراف: 59].

وجاء من بعده "هود" داعيا بدعوة التوحيد فقال: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُ اللهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُه أَفَلاَ تَتَقُوْنَ﴾[الأعراف:65]، منذ ذلك الحين تتابع الرسل والأنبياء في استعمال هذا الجنس من القول لتبليغ دعواتهم، باعتبارها وسيلة ترفع الحقَّ وتضع الباطل، وتقيم العدل وتبلغ المقصود وكان لها مكانها العظيم في مجامع العرب قبل الإسلام وبعده؛ في أسواقهم الأدبية ومساجلاتهم وحروبهم وغزواتهم[1] وتفصيل تاريخ الخطابة من العصر الجاهلي إلى اليوم فيما يلي:

[1]- ينظر: عبد الجليل الشعراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، علم الكتب الحديث، إربد للنشر والتوزيع، الأردن، ط1 (2012م)، ص:81.

2-1-1 الخطابة في العصر الجاهلي:

((إنَّ المستقرئ لتاريخ الخطابة عند العرب – أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان- يجد أنَّها تمثل قمَّةً من قمم الإبداع، وذروة الإفهام والإقناع، ولسان الصَّدِّ والدِّفاع، بها ينافحون ويفاخرون، وبها يقارعون ويضارعون، ويستقبلون بها الوفود، ويبرمون من خلالها العقود، ويمضون المواثيق والعهود، بها تهانيهم وتعازيهم، إبَّان النَّوائب والملمَّات يقف الخطيب حاضًّا على التَّجلد والثَّبات)) [1] وبيان حالهم وأحوالهم فيما يلي:

كانت معيشة العرب في شبه الجزيرة العربية في شكل قبائل متفرقة، لكلِّ قبيلة رئيس وسيِّد خاص بها، فلم يكن يجمعهم حكم واحد أو سلطة واحدة، وكانوا يعيشون في صحراء قاحلة، وبيداء واسعة، وبيئة صعبة قاسية، وكثيرا ما كانت تنشب بينهم الحروب والغارات، وتحدث العداوات والمنازعات، وكان يعقبها صلح ووئام، كما كانوا يتفاخرون بالأحساب والأنساب والمآثر، وتحاول كلّ قبيلة أن ترفع من ذكرها بين القبائل، وتعلي من قدر نفسها أمام غيرها.

هكذا كان حال العرب وطبيعة بيئتهم ومعيشتهم، بالإضافة إلى ما كانوا يتمتعون به إلى حدٍّ بعيد من حرية التعبير عن آرائهم، ومن بلاغة وفصاحة والتمكُّين من ناصية اللّغة، حيث كانت اللّغة طيعة لهم مثرية لكلامهم ومزينة لأدبهم، وما كان ينسب لهم من خصال الشجاعة والإقدام. [2]

كلّ هذا ونحوه ((أسهم في انتعاش الخطابة عند العرب في الجاهلية، وجعل لها مكانا في حياتهم ودعت إليها الحاجة وتعدَّدت أغراضها، وكثرت مناسباتها وتباروا فيها، وتفننوا في إلقائها، وتسابقوا في تحسينها وتجويدها، واشتهر منهم خطباء كُثر، وأشهر خطبائهم في هذا العصر: قُسُّ بن ساعدة

---

[1]- عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، السفر الأول، مكتبة إمام الدعوة العلمية، مكة المكرمة، ط1، (1423هـ/2002م)، ص:9.

[2]- ينظر: إسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارة الخطيب بحوث في إعداد الخطيب الداعية، دار الكلمة للنشر والتوزيع القاهرة، ط5، (1437هـ/2016م)، ص:45،46.

الإيادي، وعمرو بن كلثوم التغلبي، وأكثم بن صيفي التميمي، والحارث بن عباد البكري، وقيس ابن زهير العبسي، وعمر بن معد يكرب الزبيدي.»[1]

ومن أقدم الخطباء المشهورين «"كعب بن لؤي" الجد السابع لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وقد كان يخطب العرب في الشؤون المختلفة، ويحثُّ كنانة على البرِّ وأعمال الخير، وكان مهيبا مسموع الكلمة »[2]، ومما توارثته المرويَّات من خطبه: خطبة يدعو فيها للخصال الطيبة، ويبشر فيها بخطبٍ عظيم جاء فيها:

« اسمعوا وعوا، وتعلَّموا تعْلموا، وتفهَّموا تفهموا، ليلٌ سَاج، ونهار ضَاحٍ، والأرض مهاد والجبال أوتاد، والأولون كالآخرين، كلُّ ذلك إلى بلاء فصلوا أرحامكم، وأصلحوا أحوالكم فهل رأيتم من هلك رجع، أو ميِّتا نُشر، الدَّار أمامكم، والظَّن خلاف ما تقولون، زيِّنوا حرمكم، وعظِّموه وتمسَّكوا به، ولا تفارقوه، فسيأتي نبأ عظيم، وسيخرج منه نبي كريم.

نَهَارٌ وَلَيْلٌ واخْتِلاَفُ حَوَادِثٍ *** سَوَاءٌ عَلَيْنَا حُلْوُهَا وَمَرِيْرُهَا

يَئُوبَانِ بِالأَحْدَاثِ حَتَّى تَأَوَّبَا *** وَبِالنَّعِيمِ الصَّافِي عَلَيْنَا سُتُورُهَا

صُرُوْفٌ وَأَنْبَاءٌ تَقَلَّبَ أَهْلُهَا *** لَهَا عَقْدٌ مَا يَسْتَحِيْلُ مَرِيْرُهَا

عَلَى غَفْلَةٍ يَأْتِي النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ *** فَيُخْبِرُ أَخْبَاراً صَدُوْقاً خَبِيرُهَا

ثمَّ قال: يا ليتني شاهد فحواء دعواته حين العشيرة تبغي الحقَّ خِذْلاَنَا.»[3]

[1]- إسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارة الخطيب بحوث في إعداد الخطيب الداعية ، ص:46،47.

[2]- عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص:166.

[3]- حسن محمد الرفاعي، ديوان خلاصة الأدب في كفاية الخطباء من الخطب، ص:49،50.

بدأ الخطيب كلامه بأسلوب الأمر الغرض منه التوجيه والإرشاد، والَّذي يظهر في الصائت الطويل (ص ح ح) أو في (الواو) الساكنة المرفوع ما قبلها في (اسمعوا وعوا، وتعلَّموا تعْلموا، وتفهَّموا تفهموا)، ومع المكانة الَّتي يتميز بها بين قومه ينتبه لا شك إليه الجميع وإلى ما يريده منهم.

ينتقل بعدها ليدعوهم للتّفكر في اختلاف الليل والنهار، وإلى بديع خلق الرحمن، وكأنَّنا به يقتبس من القرآن ليدعم كلامه، غير أنَّ الوحي حينها لم ينزل بعد على خاتم الأنبياء والمرسلين، فمن العجيب في كلامه وفي ذلك العصر الَّذي كان يغرق في ظلمات عبادة الأوثان أن نجد في هذه الخطبة تناص مع قوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ الْأَرْضَ مِهَادًا() وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً ﴾[النبأ:06-07]

ونجد فيها زهداً وعلماً بفناء هذه الدنيا وكلّ ما فيها؛ (هل رأيتم من هلك رجع)؟ ويغتنمها فرصة بعد أن بيَّن وقدَّم الحجج ليدعوهم إلى صلة الأرحام وإصلاح أحوالهم، غير أنَّه أغرب ما جاء في هذه الخطبة! ينبئوهم ويبشرهم بقرب خروج آخر الأنبياء والمرسلين من هذا البيت المقدس، ليصرح بأنَّه لو شهد خروجه لآمن به، كيف لا وهو يؤكد على أنَّه منزل بالحق يوم يخذله عشيرته، وهو تمام ما حدث بعده.

والملاحظ أنَّ خطب الجاهلية لا تخلو من أبيات شعرية، ذلك أنَّ الشعر في زمانهم يمثل قمة الإبداع وذروته، قبل أن ينزل القرآن الكريم ويشغلهم سحره وبيانه عنه، ((ومن مشهوريهم بعده قيس بن خارجة بن سنان خطيب داحس والغبراء، وفي هذه الموقعة اشتهر خويلد بن عمرو الغطفاني في حرب الفجار(*)، وقسّ بن ساعدة الإيادي خطيب عكاظ، وأكثم بن صفي، والحارث بن عباد وقيس بن مسعود)).[1]

*)- **حرب الفِجَار**:(43 ق هـ580 م/ 33 – ق هـ590 م) هي إحدى حروب العرب في الجاهلية، حصلت بين قبيلة كنانة وبين قبائل قيس عيلان ، ومنهم هوازن وغطفان وسليم وثقيف، سميت بالفجار لما استحل فيها من المحارم بينهم في الأشهر الحرم ولما قطعوا فيه من الصلات والأرحام بينهم.

[1])- عبد الجليل عبده شبلي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص:166،167.

وقد قيل إنَّ أوَّل من خطب على العصا والراحلة قُسُّ بن ساعدة الإيادي، وأنَّه أوَّل من أظهر التوحيد بمكَّة وما حولها، وأوَّل من قال: أمَّا بعد، أمَّا العرب فقد كانت تحبُّ من الخطيب أن يكون حسن الشارة جهير الصَّوت، سليم المنطق ثبت الجنان، فكانت خطب التحريض والإثارة على القتال، وخطب الصلح، وفض المنازعات وخطب الزواج وخطب التهنئة، والرثاء وخطب المنافرات والمفاخرات، وخطب المشورة والإصلاح وغير ذلك.[1]

ولقُسُّ بن ساعدة خطبة مشهورة، وهي أيضا من الخطب المبشرة بظهور دين جديد وتفصيلها: ((أيّها النَّاس: اسمعوا وعوا، من عاش مات ومن مات فات، وكلّ ما هو آت آت، ليل داج ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر، وبحار تزخر، وجبال مرساة، وأرض مدحاة، وأنهار مجراة إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون، أرضوا فأقاموا أم تُركوا فناموا، يقسم قس بالله قسما لا إثم فيه إن لله دينا هو أرضى لكم، وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه، إنكم لتأتون من الأمر منكرا، ثمَّ أنشأ يقول:

في الذَاهبينَ الأولِيـ نَ منَ القُرونِ لنَا بَصَائِرُ
لمّا رأيتُ مَوارِدًا للمَوتِ ليسَ لهَا مَصَادِرُ
ورأيتُ قَومِي نَحوهَا تَمضِي الأكَابِرُ والأصَاغِرُ
لاَ يرَجعُ الماضِي إلىّ ولاَ مِـنَ البَاقِيـنَ غَابِـرُ
أيقَنتُ أنِّي لاَ محَا لَه حيثُ صَارَ القَومُ صَائِرُ))[2]

نلحظ شبهاً كبيراً بين خطبته وخطبة "كعب بن لؤي" من الناحية اللغوية، ومن ناحية الغاية من خطابه؛ والَّتي تتمثل في الوعظ والتنبؤ بدين جديد، هو خير وأفضل ممَّا هم عليه – قريش– من

[1]– ينظر: إسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارة الخطيب، ص:48.

[2]– أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 (1404هـ/1983م)، 145/4.

تعظيمهم للأوثان وعبادتها، هذا ويوظف "قسّ" نبرة الجمل بشكل ملفت في قوله (ما بال النَّاس يذهبون ولا يرجعون) فحذفت أداة الاستفهام (لماذا) وناب عنها التنغيم، ففي نغمة الاستفهام حجة وشاهد للتأثير فيهم وإقناعهم، ثمَّ يضيف (أَرَضُوا فأقاموا أم تُرِكُوا فناموا)، فحذفت (هل) وناب عنها نبرة الاستفهام والَّتي تظهر في الهمزة، هذا ويوشح خطباء العصر الجاهلي خطبهم بأشعارٍ توافق مراد ومغزى ما يودون إيصاله للحضور لعلمهم أنَّ ما تؤديه خطب طوال يختصره في أبيات شعرية قصار.

يرى "عبد الجليل عبده شبلي" فيما يخص اتفاق خطبة "قسّ بن ساعدة" مع "خطبة " كعب بن لؤي" في الوعظ وإعادة النظر فيما هم عليه – قريش- من ظلال أنَّه ((في أواخر العصر الجاهلي كان النَّاس قد سئموا عبادة الأوثان، وكرهوا الاحتفاء بها، وقد اجتمعت مرة تحتفي بالآلهة العزى بنخلة فانحاز منهم زيد بن عمرو، وعثمان بن الحويرث، وعبيد الله بن جحش، وورقة بن نوفل فقالوا: تعلمون –والله- ما قومكم على شيء وإنَّهم لفي ضلال، فما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع...التمسوا لكم دينا غير هذا الدين الذي أنتم عليه.))[1]

2-1-2 الخطابة في صدر الإسلامي:

في هذه الحقبة بالذات ((أهلَّ على الخطابة زمان جديد، كان إيذانا بارتقائها وعلوِّ شأنها فقد اعتمدت الدَّعوة الجديدة على الخطابة في نشرها، والدِّفاع عن مبادئها ضدَّ خصومها، وكذلك صنع المناوئون لها، ثمَّ إنَّ الإسلام بالإضافة إلى اعتماده على الخطابة في نشر الدَّعوة، قد جعلها ضمن الشعائر التعبدية ففرض خطبة كلّ يوم جمعة لا تصلح الصلاة بدونها، كما أنَّ هناك الخطب المشروعة في الحج، وفي الاستسقاء والخسوف والكسوف، وفي الزواج والجهاد وغيرها، كما أنَّ الشريعة الإسلامية تحث دائما على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإسداء النصح للآخرين.))[2]

[1]- عبد الجليل عبده شبلي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص: 170.

[2]- إسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارة الخطيب، ص:52.

فمن ((أوائل أنواع الخطابة في الإسلام ما صدع به المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم بين ظهراني قريش، بعدما أنزل الله تعالى قوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيْرَتَكَ الأَقْرَبِيْنَ﴾[الشعراء:214] فصعد عليه الصَّلاة والسَّلام الصَّفا، ثمَّ نادى (يا صباحاه) فاجتمع النَّاس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله فقال: يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني لؤي، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟ قالوا: نعم قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا، فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾[المسد:1-2]، فخطابة النبي صلَّى الله عليه وسلَّم في هذا الموضع لم يعهد لها من قبل مثيل بهذه الكيفية، وهذا التوقيت، وهذه الجرأة.))[1]

كيف لا وبينما هم في غمرتهم ساهون، يصيح بهم خطيب، ليجعلهم في حيرة، من أمرهم ما الخطب! لينذرهم بنبأ عظيم ينتظرهم؛ فيحذرهم من العذاب الشديد، ويعلن أمام الجمع أنَّه الرَّسول الأمين.

وفي خطبة له أخرى بعد ما أمره الله تعالى بالجهر بالرسالة جاء فيها: بعدما حمد الله وأثنى عليه ((إنَّ الرَّائد لا يكذب أهله والله لو كذبت النَّاس جميعا ما كذبتكم، ولو غررت النَّاس جميعا ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة، وإلى النَّاس كافة، والله لتموتنَّ كما تنامون، ولتبعثنَّ كما تستيقظون، ولتحاسبنَّ بما تعملون، ولتجزونَّ بالإحسان إحساناً، والسُّوء سوءاً وإنّها لجنَّة أبدا أو لنارٌ أبدا.))[2]

[1]- سعود بن ابراهيم بن محمد الشريم، الشامل من فقه الخطيب والخطبة، دار الوطن للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية ط1، (1423هـ/2003م)، ص:11،12.

[2]- حسن محمد الرفاعي، ديوان خلاصة الأدب في كفاية الخطباء من الخطب، ص:54،55.

يجهر مرة أخرى عليه الصلاة والسلام كما أُمر، ويؤكد لهم للمرة الثانية على أنّه رسول الله إليهم خاصة ولنَّاس كافة، وينذرهم ويبشرهم في الآن ذاته بأنَّ الجزاء سيكون من جنس العمل، وفيما يخص فرض خطبة كلّ يوم جمعة جاء صراحة في خطبة للرَّسول صلَّى الله عليه وسلم قوله:

((ألا أيُّها النَّاس توبوا إلى ربّكم قبل أن تموتوا، وبادروا الأعمال الصَّالحة قبل أن تُشغلوا وصلوا الَّذي بينكم وبين ربّكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة في السّر والعلانية، ترزقون وتؤجرون وتنصرون، واعلموا أنَّ الله –عزَّ وجلَّ– قد افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا، في عامي هذا، في شهري هذا إلى يوم القيامة، حياتي وبعد موتي، فمن تركها وله إمام، فلا جمع الله له شمله، ولا بارك له، ألا ولا صوم له، ألا ولا صدقة له، ألا ولا برَّ له، ألا ولا يؤمُّ أعربي مهاجرا، ألا ولا يؤمُّ فاجر مؤمنا، إلاَّ أن يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه.))[1]

بعد هذه الخطبة تصبح صلاة الجمعة وخطبتها فرض على كلِّ مسلم إلى يوم القيامة، وهو ((ما أضفى على الخطبة شيئا من الأهمية والمكانة، لأنَّها منبر التوجيه والإرشاد فضلا عن الأعياد والمناسبات.))[2]

هذا وإنَّ ((الخطابة في الإسلام اكتسبت مزايا طيبة لم تكن فيها من قبل؛ حيث صارت تفتتح بحمد الله والصَّلاة والسَّلام على الرَّسول، والتشهد بالشهادتين، والاستشهاد بآي القرآن الكريم وكلام النبي عليه الصَّلاة والسَّلام، والالتزام في مضمونها بآدب الإسلام وشريعته، ممَّا يعني إهمال بعض الأغراض الَّتي كانت موجودة من قبل، والترفع بالخطابة عنها، مثل التنافر والتفاخر بالأحساب والأنساب الجاهلية، ونحو ذلك ممَّا كان سائدا قبل الإسلام.))[3]

---

[1]– حسن محمد الرفاعي، ديوان خلاصة الأدب في كفاية الخطباء من الخطب ، ص:63،64.

2)– سعود بن ابراهيم بن محمد الشريم، الشامل في فقه الخطيب والخطبة، ص: 12.

[3]– إسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارة الخطيب، ص:53.

فقد تميزت الخطابة في صدر الإسلام بخصائص وميزات خاصة، كابتدائها بالافتتاحية المتفق عليها في كلِّ المنابر، والَّتي لم تكن موجودة من قبل في العصر الجاهلي، هذا ناهيك عن الرسالة الَّتي تلقى في كلِّ جمعة والَّتي تحمل وعظا وإرشادا وتوجيها، وفي المقابل اندثرت وانقرضت الكثير من الأغراض الَّتي تدعو للمشاحنة والمباغضة والتفاخر وما إلى ذلك.

((فسطعت شمس الإسلام، وتلألأت أنواره وعلا شأن الخطابة، وأضحى أمرها في قوة وإحكام كيف لا وقد أوتي المصطفى عليه الصلاة والسلام جوامع الكلم، وتحدَّى ببلاغة القرآن العرب والعجم فهو أفصح من نطق بالضَّاد، ومن ملأت خطبه ببراعتها السُّهول والوهاد ؛ حين يقف الخطيب مذكِّرا ومحذرا، مبشِّرا ومنذرا، مرغِّبا ومرهِّبا، يحضُّ على الجهاد والنِّزال ومباشرة السِّهام والحمام؛ فأسفرت شمس الإسلام عن خطباء مُفلَّقين، كبَّلوا الأسماع، وذاع صيتهم في أقصى الأصقاع، نشروا السِّحر الحلال؛ فصار كالعذب الزُّلال.)) [1]

وكملاحظة عامة الخطابة في الجاهلية ودولة الخلفاء الراشدين والأمويين والمائة الأولى من عهد بني العبَّاس كانت مصونة في بيوت الرّياسة والزّعامة والخلافة والإمارة والقيادة والقضاء، من خاصة العرب وأشرافها من أصحاب الشأن والسيادة، أولئك الَّذين تلقوا الفصاحة من منابتها الأولى ومغارسها الطيبة في الحجاز، ونجد والعراق، وأخذوها ميراثا كريما من آباء وأمهات كانت العربية في طبائعهم وفطرهم، وسجاياهم الخالصة، حينها كانت العربية في أزهى عصورها بيانا وبلاغة.[2]

مع الإشارة إلى أنّه ((في العصرين الأمويِّ والعبَّاسيِّ، كان لزاما أن ترتقي الخطابة رقيًّا جليًّا وتستحكم أصولها؛ حيث ظهرت الفرق والأهواء، وذرَّ قرن الفتن، وأثير النَّقيع فانبرى كلٌّ في الحِجاج – بل واللَّجاج– لإثبات دعواه، والمنافحة عن رأيه وهواه، وهكذا مضت الخطابة في عصر السَّلف

[1]– عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، ص:10.

[2]– ينظر: حسن محمد الرفاعي، ديوان خلاصة الأدب في كفاية الخطباء من الخطب، ص:26.

تشقُ طريقها في سلاسل ذهبيّة؛ حيث حفظت لها دواوينها وافراً من الخطب البليغة، سطَّرت مجداً زاهياً، وشرفاً أثيلاً.»[1]

بعد هذه المكانة الراقية والعصور الزاهية ضعفت الخطابة وتقهقرت بعد المائة الأولى من الحكم العباسي، وذلك لقلة الدواعي والحاجة إليها، بعد أن استحكم الأمر والحكم لبني العباس، فلم تبق الحاجة إليها إلاَّ في الجُمع أو العيدين، في ظل العيّ الَّذي أصاب ألسن الوعاظ، فما عادوا قادرين على إنشاء خطب في مختلف المواضيع، والتفتوا إلى استظهار خطب أسلافهم، وأخذوا يرددونها فوق المنابر من غير فهم لمعانيها، وبقوا على هذه الحالة من الضعف القرون الطِوال، حتَّى أدركتها عوامل النهضة المصرية الحديثة.[2]

وهي محطات من التاريخ الإسلامي لا مجال للخوض فيها، ذلك أنَّه ما يعنينا هنا الخطابة وشأنها مع لفت الانتباه إلى أنَّها تتغذى وترتقي ويعلو شأنها حسب ما تقتضيه الحاجة إليها، فإن احتيج إليها في الفترة الجاهلية لضرورة الحمية والدَّعوة للقتال والذود والتفاخر، علا شأنها وارتفع وأخذت لها مكاناً بل ومقراً ومستقراً بعد أن أصبحت فرضا على المسلمين كلّ جمعة، وذلك لضرورة تبيين مقاصد الدين الجديد وشرائعه ناهيك عن التوجيه والإرشاد والنصح، هذا في بداية الدَّعوة الإسلامية والخلافة الراشدة، وتميزت وارتقى شأنها أكثر مع الفترتين الأموية والعباسية وذلك لدواعٍ سياسية أكثر من أي شيء آخر حين أصبح لكلِّ فرقة مناصرين ومعادين لا يسع المقام التفصيل في هاتين المرحلتين، ثمَّ حلَّ بها ما حلَّ كما سبق وأشرنَا.

2-1-3 عادات العرب في الخطابة:

للعرب في الأداء الخطابي عادات خاصة حيث « كان من عادات العرب في الخطابة أن يقف الخطيب على مرتفع من الأرض، وأن يكون على زيٍّ خاص في العمامة والملبس، وأن يكون بيده

[1]- عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة ، ص:12،13.

[2] ينظر: اسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارة الخطيب، ص:70.

مِخْصرة أو قوس، ومنهم من يتخذ المخصرة وقت السلم، والقوس وقت الحرب، في هذا قال "عبد الملك بن مروان": لو ألقيت الخيزرانة من يدي لذهب شطر كلامي، وكان من عاداتهم رفع أيديهم ووضعها، وقد انتقلت عادات كثيرة من عادات العصر الجاهلي إلى ما تلاه من عصور.»[1]

وخير قدوة خاتم الأنبياء والمرسلين « فقد كان صلَّى الله عليه وسلَّم يخطب قائما، وإذا خطب احمرّت عيناه وعلا صوتُه، واشتدَّ غضبُه، كأنَّه منذر جيش، يقول: بُعثت والسَّاعة كهاتين مشيراً بسبّابته ووسطاه، وكان يأخذ بالعصا فيتوكأ عليها، أو يتوكأ أحيانا على قوس، وكان له ثوبان يلبسهما يوم الجمعة، فإذا انصرف منها طواه ورفعه.»[2]

أمَّا من ناحية الأسلوب فمنذ عهد الرسول صلَّى الله عليه وسلم أصبح للخطب بداية خاصة؛ هي «حمد الله والثناء عليه وذكر الشهادتين، فالخطبة الَّتي لا يبدأها الخطيب بالحمد سُميت البتراء، وسموا الخطبة الَّتي لا تذكر فيها الشهادتان جذماء، والَّتي لا تزين بالصَّلاة على النَّبي شوهاء ويظهر أنَّ هذه التسميات لم تكن شائعة، ولا قاعدة عامة لها، وإنَّما وصفت بها بعض الخطب.»[3]

وفي المقابل اتخذت الخطبة ختاما إسلاميا يعرف به أنَّها قد انتهت، وهو ذكر عبارات مما جاء به الدين؛ كأن يقول الخطيب أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم، أو قوموا إلى الصلاة يرحمكم الله أو يذكر أدعية من أدعية رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم المأثورة، أو يذكر آية قرآنية، أمَّا الختام الَّذي كان معروفاً عند خطباء الجاهلية هو تكرار الجملة الأخيرة، أو جملة معينة خاصة به، فيعرف السَّامعون أنَّ الخطبة قد انتهت.

ويبقى القاسم المشترك بين اختتام الخطبة في الجاهلية وفي الإسلام هو النبر المعتمد والَّذي يظهر من خلال النغمة الهابطة أنَّ الخطبة أنهيت، مثال عن هذا اختتام خطبة الجمعة "لأبي بكر"

[1]- حسن محمد الرفاعي، ديوان خلاصة الأدب في كفاية الخطباء من الخطب، ص:30،31.

[2]- المرجع نفسه، ص:33.

[3]- عبد الجليل عبده شبلي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص:177.

رضي الله عنه قوله: اللهم اجعل خير زماني آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم لقائك وكان عمر يكثر أن يقول في ختام خطبته: اللَّهم لا تدعني في غمرة، ولا تأخذني على غرة، ولا تجعلني من الغافلين. [1] مما يعني أنَّهم يحبذون إنهاء خطبهم بالدعاء.

2-1-4 الخطابة في العصر الحديث:

ظلت الخطابة على نفس الحالة من الركود إلى غاية القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن التاسع عشر الميلادي لا تتعدى الجوامع والبيع، ثمَّ لم تلبث كثيرا حتَّى قامت الأسباب وثارت الدواعي لتحريكها من ركودها الَّذي شهدته في أواخر العصر العباسي وما تلاه من قرون، وبعثت الحياة في كيانها، وأخذت تدخل في حقبة جديدة من الانتعاش، وطور من الحياة أكثر نشاطا.[2]

حين استفاق الشرق من سباته؛ بعد الحملات الاستعمارية الَّتي اجتاحت الدول شرقا وغربا شمالا وجنوبا، فهبت أغلب الشعوب تطالب بحريتها المسلوبة، وحقوقها المغتصبة وتعدَّدت الأحزاب وجاء الزمان بزعماء خطباء كثر، فكانت الخطابة وقوداً وناراً ونور الثورات، وقد نبغ في فرنسا (ميرابو) و(روبسبير)،كما ظهر في إنجلترا (وليم بت) بعد أن هبَّ الانجليز متبعين الإصلاح السياسي.[3]

ويمكن أن نرصد في ضوء الاستقراء والاستنتاج أبرز هذه الدَّواعي الَّتي نشطت الخطابة في هذا العصر على النَّحو التالي: في هذا العصر ابتليت كثير من البلدان الإسلامية باجتياح أوربي لها، وتسلط أجنبي عليها، فيما عرف بالاستعمار أو الإستدمار بمعنى أصح، وقد هبَّت تلك البلدان لمقاومة المستدمر الأجنبي بكلِّ ما تستطيع.

ولا شكَّ أنَّ مثل هذا الجوّ قد أتاح للخطابة أن تزدهر وتنشط، وللخطباء أن يبرزوا ثمَّ إنَّه قامت في هذا العصر دعوات إصلاحية، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتحارب البدع والمادية

[1]- ينظر: عبد الجليل عبده شبلي، الخطابة وإعداد الخطيب ، ص:177،178.

[2]- ينظر: إسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارة الخطيب، ص:76.

[3]- ينظر: ديل كارينجي، فن الخطابة فن اكتساب الثقة، الوسام للخدمات المطبعية، عمان، ط1، (2001م)، ص:8،9.

الجارفة، وتعمل لتَّمكين لدين الله في الأرض، وتطبيق شرعه في كافة المجالات كما أمر الله تعالى: مثل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية، ودعوة الشيخ حسن البنا في مصر، وجمعية العلماء المسلمين بالجزائر وغيرها من الدعوات والجمعيات، وبطبيعة الحال استعان أصحاب تلك الدعوات بالخطابة، وعوَّلوا عليها في نشر مبادئهم وترويج أفكارهم، فكان لها خطباء يجوبون الأقطار ويخطبون في الجماهير لإقناعهم واستمالتهم إلى صفوفهم. [1]

بالإضافة إلى هذا فهناك المؤسسات والجامعات الدينية الَّتي تأخذ على عاتقها نشر الإسلام والدَّعوة إلى تعاليمه، وإعداد الدعاة الَّذين يقومون بواجب الدَّعوة والوعظ، والإرشاد، والتعليم الديني فكان لهذه المؤسسات كالأزهر الشريف في مصر، والزيتونة في تونس وغيرهما في بلدان أخرى دور في إمداد الخطابة برجالها، وخطبائها من العلماء والدعاة إلى الله.

وقد ظهرت في بعض البلدان الَّتي سرت فيها روح الاستقلال، ونعمت بالحرية السياسية وتنعمت بنسماتها، أحزاب سياسية تتنافس فيما بينها على ملازمة الحكم في بلادها، وكان لكلِّ حزب خطباؤه ودعاته الَّذين ينسبون الدَّعوة إلى أفكارهم ومبادئهم ويحاولون التأثير في الجماهير واستمالتهم نحوهم، وإقناعهم بمبادئهم.[2]

ومع حلول العصر الحاضر ((وانتشار العلوم والمعارف في البوادي والحواضر: أصبحنا نعيش نهضة معرفية مذهلة، وثورة معلوماتية مدهشة؛ ممَّا أفرز فيوضا من الأفكار والقرائح ، وسيولا من العلوم والمعارف، حتَّى انبجست أنواع شتّى من الخطب، وتعدَّدت إلى اجتماعية، وعلمية، وسياسية وأدبية، وقضائية، وثقافية...إلخ غير أنَّ للخطبة الشَّرعية قيمتها السَّامقة، ومكانتها اللاَّئقة؛ فلم تقف

[1]- ينظر:إسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارة الخطيب، ص:76،77.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص:77،78.

هذه الأنواع أمامها عائقة.»[1] وقد لخص "علي محفوظ" المراحل الَّتي مرت بها الخطابة لأطوار ثلاث هي:[2]

- ✓ **المرحلة الأولى**: من دواعي رقيها حياة الأمة في بيئة حرة مستقلة وشعورها بأنَّها ذات سؤدد وفخار كثيرة، وخوضها غمار الحروب للذود عن حياتها والدِّفاع عن كرامتها.
- ✓ **المرحة الثانية**: اعتناق الأمة ديناً جديداً حملها على الغيرة والجهاد في سبيله ونشر تعاليمه وبث نصائحه.
- ✓ **المرحلة الثالثة**: شعور الأمة بالحاجة إلى أن تحيا حياة شريفة، وأن تسلك الحالة الاجتماعية والسياسية سبيلا أهدى من سبيلها وطريقا أقوم من طريقها.

3- تصنيف الخطابة:

معلوم أنَّ عناصر الخطابة ثلاث: الخطيب، وموضوع الخطبة، والأشخاص الذين توجه إليهم الخطبة، والعنصر الأخير هو المعني بالغاية والهدف من هذه الخطبة، من هنا صنف الدَّارسون العرب الخطابة حسب موضوعاتها إلى سياسية ودينية واجتماعية، وبيان كلّ صنف على حدا فيما يلي:

3-1 الخطابة السياسية:

هي الخطب الَّتي تُعنى بأمور السلطة والحكم؛ تتمحور حول تأييد فرقة دون أخرى، أو تقرير أوامر أو فرض تعليمات، بمعنى يندرج ضمنها جميع موضوعات الخطبة المتعلقة بالعمل في سبيل بناء الدولة، أو بسط نفوذها، أو الصراع حول الخلافة والحكم، فالخطب المرتبطة ببناء الدولة كانت أوَّل أمرها أميل إلى الخطابة الدينية؛ لطبيعة الدعوة الإسلامية، وهي تعليمية وتحميسية موجهة إلى الجنود والفاتحين كخطبة "طارق بن زياد".

[1]- عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، ص:13.

[2]- ينظر: علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، ص:32.

أمَّا عن معالم الخطابة السياسية فقد برزت مع الصراع حول الحكم، وظهرت بذورها الأولى بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام يوم السقيفة، وما تلاه من خلاف واختلاف حول الخلافة بعد مقتل عمر وعثمان، ثمَّ تكوُّن الأحزاب السياسية حينها أصبحت معالم هذا النوع من الخطابة واضح.[1]

3-2 الخطابة الدينية:

طرقت الخطابة الدينية جلَّ الموضوعات الَّتي تتأسس عليها حياة الإنسان في ظلّ الدين الإسلامي؛ فخاطبت العقل بمنطق سليم، وآنست النفس بحسّ عامر بكلّ معاني الإنسانية، وأبانت بشكل واضح عن تشبع هذه الخطب بتعاليم الرسالة المحمدية السَّمحة، وسيرها على النهج الديني لبناء مجتمع تسود فيه قيم العدل، والحق والصلاح.[2]

ونظرا لأهمّية هذه الخُطب في التَّعريف بالدَّعوة والحثّ على التمسّك بها قُرنت بالشعائر الدينية، واتخذت لها منابر في المساجد إلى جانب المحاريب منذ العهد الأوَّل، وعليه يمكن تقسيم الخطابة الدينية إلى ثلاثة أصناف، وذلك حسب المتلقي وحسب الرسالة الموجهة إليه.

فهو –المتلقي للخطبة– إمَّا أن يكون خالي الذهن يتقبل المعرفة الملقاة إليه، وهذه الحالة اقتضت **خطب تعليمية**، وإمَّا أن يكون متناسياً لما تعلَّم غافلا عمَّا ينتظره، فيتطلب حاله الحثَّ على العمل، والتخويف والعقاب، وتلك هي **الخطابة الوعظية**، وإمَّا أن يكون عالماً مخالفاً وجاحداً لوجهة نظر الخطيب، وفي هذه الحالة لا بدَّ من المحاجة والبرهنة، وتلك الخطابة **الحجاجية**.[3]

---

[1]- ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، منتديات الأزبكية، بيروت لبنان، ط2، (2002م)، ص:50.

[2]- ينظر: عبد الجليل الشعرواي، الحجاج في الخطابة النبوية، عالم الكتب الحديث، إربد للنشر والتوزيع، الأردن، ط1 (2012م)، ص:93.

[3]- ينظر: المرجع السابق، ص:41-43.

3-3 الخطابة الاجتماعية:

يُدرج الدَّارسون جميع الخطب الَّتي لا يستوعبها الخطاب الديني أو السياسي تحت عنوان فضفاض هو الخطابة الاجتماعية -حسب رأي "العمري"- خاصة خطب الأملاك وإصلاح ذات البين والمخاصمات القضائية، والمشاركة في المسرات، والأحزان، ويصنفها إلى صنفين: خطب تتناول العلاقة بين النَّاس كالمخاصمات والصلح وتنظيم المجتمع وغيرها وهي ذات طبيعة موضوعية، وخطب ذات طبيعة وجدانية هدفها المشاركة والإشراك في المسرات والأحزان كالتعزية والتهنئة. [1]

4- علم الخطابة:

يرى " الإمام أبو زهرة" أنَّ الأقدمين اعتقدوا ((أنَّ الخطابة علم له أصول وقوانين؛ من أخذ بها أو بعبارة أدق من استطاع الأخذ بها والسَّير في طريقها عُدَّ خطيبا، وعرَّفوا هذا العلم بأنَّه مجموع قوانين تُعرِّف الدَّارس طرق التأثير بالكلام، وحسن الإقناع بالخطاب، فهو يُعنى بدراسة طرق التأثير ووسائل الإقناع، وما يجب أن يكون عليه الخطيب من صفات، وما ينبغي أن يتجه إليه من المعاني في الموضوعات المختلفة، وما يجب أن تكون عليه ألفاظ الخطبة وأساليبها وترتيبها، وهو بهذا ينير الطريق أمام من عنده استعداد للخطابة، ليربي ملكاته وينمي استعداداته، ويطب لما عنده من عيوب ويرشده إلى طريق إصلاح نفسه ليسير في الدَّرب ويسلك السبيل.))[2]

ويؤكد الباحثون أنَّ أوَّل من كتب في الخطابة وعدَّها علماً قائماً بذاته هم اليونان؛ فهم مستنبطو قواعده ومشيدو أركانه، ومقيمو بنيانه؛ وذلك لأنَّ أهل أثينا في عصر (بيركليس) قويت فيهم رغبة القول؛ إذ صار يأسرهم القول البليغ دون سواه، فامتازت أثينا ببلاغة خطبائها؛ فالخطيب في مجلس الأمة يقرر شهر الحروب، وعقد السلم ووضع القطائع والضرائب، وكلّ الشؤون العظيمة فالخطابة السلطة على الأمَّة أن تعمل بنصائح ومواعظ الخطيب.

---

[1]- ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي ، ص: 62.

[2]- الإمام محمد أبو زهرة، الخطابة-أصولها- تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، ص:07.

ويظهر أنَّ أوَّل من اتجه إلى استنباط قواعد للخطابة كعلم قائم بذاتهم: السوفسطائيون؛ فقد كانوا يعلِّمون الشبان في أثينا طرق التغلب على خصومهم في ميدان السبق الكلامي وكيف يغالطونهم؟ وكيف يلبسون عليهم الحقائق؟ ويمرنونهم على القول المبين، والإلقاء المحكم، وطبيعي أن يتجه من نصبوا أنفسهم لذلك إلى استنباط قواعد الخطابة من هؤلاء السوفسطائيين ثلاثة: بروبكوس القوس المتوفى سنة (430 ق م)، وبروتاغوراس (475-411 ق م)، وجورجرياس (485-380 ق م) وجاء بعد هؤلاء (أرسطو) فجمع قواعده، وضم شوارده في كتاب أسماه (الخطابة)، كان مرجعا للخطباء والمؤلفين للنظر فيه والأخذ منه. [1]

هذا إضافة إلى اعتبار الخطابة فناً من فنون القول، فهي تتواشج مع عدَّة علوم وذلك لبناء جسر يمكِّن الخطيب من الصَّول والجَّول في فن الكلام الإقناعي مهما تغير موضوع الخطبة أو حال المخطوبين وطبقاتهم، والمنطق ألزم العلوم للخطابة، وبينهما من وشائج القرابة وتداخل المسائل وتقارب المناهج وتداني المآخذ ما سهَّل على الأقدمين عدَّهما علما واحدا، إضافة إلى أنَّ الخطيب لا يصل إلى غايته وهي إقناع السامعين وجعلهم على المراد منهم إلاَّ إذا استطاع أن يثير عاطفتهم ويخاطب إحساسهم ويتصل كلامه بشغاف قلوبهم، ولا يكون ذلك إلاَّ إذا كان عليما بما يثير شوقهم ويسترعي انتباههم، وكان عليما بطبائع النفوس وأحوالها وغرائزها وسجاياها، ولا يكون ذلك إلاَّ إذا كان على إطلاع ودراية بعلم النفس، كما يجب على الخطيب أن يكون ملما بسياسة النَّاس، وما يجب لكلِّ طبقة من المعاملة، وما يلزم لكلِّ صنف من النَّاس من خطاب، دارساً لأخلاقها فاهماً ما يسيطر عليها، فمن الواجب إذن أن تكون قوانين الخطابة متَّصلة بقوانين الجماعات ونواميسها مستمدَّة منها قوتها، وعليه للخطابة صلة قوية بالمنطق وعلم النفس وعلم الاجتماع.[2]

[1]- ينظر: الإمام محمد أبو زهرة، الخطابة-أصولها- تاريخها في أزهى عصورها عند العرب ، ص:09،10.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص:08،09.

4-1 مقومات علم الخطابة: عدَّد "الشنطي" للخطابة ثلاث مقومات نجملها فيما يلي: [1]

أ. **اللّغة والأسلوب**: امتلاك الأسلوب وإتقان اللّغة، والقدرة على التصرف في أوجه القول كلّ ذلك يعتبر الركيزة الأولى في علم الخطابة، فلا يمكن أن يكون الخطيب خطيبا إلاَّ إذا سيطر على زمام القول، وأحسن توجيهه وفقا للموقف.

ب. **التسلسل والتنظيم وحسن المعالجة للأفكار**: لا بدَّ أن تكون الأفكار منظمة في ذهن الخطيب واضحة يسلم بعضها لبعض.

ت. **اختيار الأدِّلة**: على الخطيب أن يختار الأدلة العقلية والنقلية المناسبة للأفكار دون غلو في التأويل والتخريج والتطويع، فالأساس في الأدِّلة أن تكون ظاهرة الدَّلالة على الفكرة دون اجتراء على الحقيقة أو انحراف بها، وأن تكون أقرب إلى أذهان السَّامعين وأفهامهم وأن تبدو تلقائية غير متكلفة، وأن تقدم في إطار مشوق محبَّب.

4-1-1 مكونات الخطبة وأسلوبها:

حُدِّدت مكوناتها الأساس ((منذ زمن "أرسطو" قسمت الخطبة إلى ثلاثة أقسام: المقدمة الجسم، والخاتمة، وبعده أصبحت المقدمة متمهلة كالعربة الَّتي يجرها حصان واحد))[2]، ومع ذلك ((لا يختلف بناء الخطبة كثيراً عن بناء المحاضرة والمقالة وما إلى ذلك من فنون التعبير؛ فالمقدمة والعرض والخاتمة هي المكونات الرئيسية للخطبة، ولكن هذه المكونات تحتاج إلى شيء من الدُّربة ومعرفة الهدف منها، وكيفية الانتقال من جزء إلى آخر))[3]، وبيان ذلك فيما يلي:

أوَّلاً: المقدمة

لا بدَّ للخطيب من شدِّ انتباه السَّامعين لما يقول من أفكار، وإثارة أشواقهم لها لذلك كانت المقدمة أمراً ضرورياً؛ لأنَّها تضطلع بهذا العبء، وعليه وظيفة المقدمة هي: تهيئة أذهان الحضور وإيقاظ

[1]- ينظر: محمد صالح الشنطي، من التحرير العربي ضوابطه وأنماطه، ص:227.

[2]- ديل كارينجي، فن الخطابة فن اكتساب الثقة، ص:110.

[3]- المرجع السابق، ص:228.

قواهم الإدراكية لاستيعاب الأفكار والعاني،[1] لذلك تعدّ ((بداية الخطابة محطة خطيرة وحساسة ولهذا يحتل تدبير الابتداء مكانة مهمّة لأنَّ السؤال الذي يشغل بال المتكلم البليغ هو كيف يبدأ المتكلم خطابه؟))[2]

ثانياً: العرض

يتناول صلب الخطبة فيعالج موضوعها، ويشترط أن يكون العرض حيا بعيدا عن الجمود مثيرا للدَّهشة والإعجاب، وقادرا على استقطاب أذهان السَّامعين، وينبغي أن يتوسَّل الخطيب بما يتناسب مع الموقف؛ من صور وأخيلة وأسلوب فصيح لا يصعب فهمه، ولا يكون ركيكا مبتذلا مع الحرص على التلوين والتنويع في الأداء، فكلما كانت الأفكار مترابطة، ومتسلسلة كلما كان ذلك أدعى إلى النجاح في عرض الموضوع عرضا متكاملا، ولا بأس من الاتكاء على أسلوب القصة أو التمثيل، ولا بأس من الإتيان بالآراء المضادة وتفنيدها، ولا بدَّ أن يتدرج الخطيب في العرض من الأهمِّ فالمهمّ ومن العام إلى الخاص،[3] وبهذا يصبح ((متن الخطاب محطة ثانية لا تخلو من المخاطر، لهذا يحتل الإيجاز مكانة مركزية والسؤال الذي يطرحه المتكلم هو: كيف يقول الخطاب ما قلَّ ودلَّ؟))[4]

ثالثاً: الخاتمة

تشكل الخاتمة خلاصة الخطبة فهي الَّتي تستقر في أذهان السَّامعين بعد انتهاء الخطبة لذا وجب أن تتضمن الأفكار الرئيسية موجزة مركَّزة في فكرة شاملة كافية، من هنا كان من الضروري أن تكون عباراتها قوية مثيرة للعاطفة مؤثرة في الوجدان.[5]

---

[1]- ينظر: محمد صالح الشنطي، من التحرير العربي ضوابطه وأنماطه ، ص:228،229.

[2]- حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، ص: 78.

[3]- ينظر: المرجع السابق، ص:229..

[4]- حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، ص: 78.

[5]- ينظر: المرجع السابق، ص ن.

ومعلوم أنَّ أسلوب الخطبة وتعبيرها يختلف عن أسلوب الشعر وطريقته، ويختلف أيضا عن أسلوب الكتابة الإبداعية، وكتابة المقالات؛ فالكتابة الإبداعية تجنح إلى جمال العبارات وتزيين التعبير ببعض المحسنات البديعية، ويدخلها أيضا شيء من خيال الشعر.

وكتابة المقالات تعتمد على توضيح المعنى، ولكنها غالبا تميل إلى الإيجاز، ولا يجمل بالكتابة أن يكثر من تكرار العبارات والمترادفات، وفي وسع القارئ أن يقرأ الجملة مرتين، أو أكثر حتَّى يتعمق في المعنى الَّذي يراد منها، وهذه فرصة لا تتاح لسامع الخطبة، لهذا تعتمد الخطبة على التوضيح والإبانة، وقد يكرر الخطيب بعض الجمل، أو يعبر عن المعنى الواحد بعدَّة عبارات، أو يذكر في الجملة الواحدة كلمتين مترادفتين.

كما على الخطيب أن يلزم وضوح العبارات، وظهور معانيها بحيث يكون الغرض الَّذي يهدف إليه مفهوما للسَّامعين، ولهذا لا يستعمل الخطيب عبارات غامضة، ولا تعبيرات مجازية بعيدة المعنى، ويختلف موقف الخطيب باختلاف سامعيه؛ فهو حين يخطب في طلبة الجامعة أو أوساط مثقفة يستطيع أن يستعمل العبارات البليغة والمجازات البلاغية، وليس الأمر كذلك حين يقف بين مجموعة من عامة النَّاس، فخطيب المسجد يستمع إليه أخلاط من النَّاس منهم المثقف العميق، ومنهم الساذج قليل الثقافة أو عديمها، ومنهم من هو بين البين، وهؤلاء تختلف درجاتهم العقلية والثقافية، وهذا في الواقع يلقي على خطيب المسجد مشقة كبيرة.[1]

من هنا كان التكرار والإلحاح على المعنى الواحد بعبارات مختلفة له أهميَّة، فمن خفيت عليه جملة بينها بأخرى، ويرى "عبده شلبي" لا بأس من أن يستعمل الخطيب بعض الجمل العامية لتوضيح غرضه على ألاَّ يكثر من إيرادها، وبعض الخطباء يجعل خطبته كلَّها باللغة العامية، وهذا خطأ كبير

[1]- ينظر: عبد الجليل عبده شبلي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص:23.

حسب رأيه؛ فاللغة الفصحى لها جمالها، وتأثيرها حتَّى على العامة، واستعمال العامية الخاصة، أو الإكثار منها يفقد الخطبة هذا التأثير ثمَّ إنَّ بين المستمعين مثقفين، لا يسترحون لهذا الأسلوب.[1]

وتختلف ألفاظ الخطبة وعباراتها بحسب المقام الَّذي تقال فيه، فخطب التهديد والوعيد وخطب الحرب وإخضاع المتمردين تمتاز بقوة العبارة، وفخامة التعبير واستعمال الكلمات الشديدة الغليظة كما نجد ذلك في معظم خطب "الحجاج" بين أهل العراق، من ذلك خطبته حين ولي العراق:

((حدَّث "عبد الملك بن عمير الليثي" قال: بينما نحن في المسجد الجامع بالكوفة وأهل الكوفة يومئذ ذو حال حسنة، يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه إذ أتى آت فقال هذا "الحجاج" قد قدم أميرا على العراق، فإذا به قد دخل المسجد معتما بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه متقلدا سيفا متنكبا قوسا يؤم المنبر، فقام النَّاس نحوه حتَّى صعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم فقال النَّاس بعضهم لبعض قبح الله بني أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق، حتَّى قال "عمير بن ضابئ البرجمي" ألا أحصبه لكم فقالوا أمهل حتَّى ننظر فلما رأى عيون النَّاس إليه حسر اللثام عن فيه ونهض فقال [2]:

أنَا ابنُ جَلاَ وطلَّاعٌ الثَّنايَا مَتَى أضِعُ العِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

صَلِيبُ العُودِ مِنْ سَلَفِي رِيَاح كَنَصْلِ السَّيْفِ وضَّاحِ الجَبِينِ

ومَاذَا يَبْتَغِي الشُعَرَاءُ مِنِي وَقَدْ جَاوَزْتُ حَدَّ الأرْبَعِينِ

أخُو خَمْسِينَ مُجْتَمِعٌ أشُدِّي وَنجَّذِنِي مُدَاوَرَةُ الشُّئُونِ

وإنِّي لاَ يَعُودُ إليَّ قِرْنِي غَدَاةَ العِبْءِ إلاَّ فِي قَرِيْنِ

[1]- ينظر: عبد الجليل عبده شبلي، الخطابة وإعداد الخطيب ، ص ن.

[2]- أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي، العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 (1404هـ/1983م)، 4/208،209.

ثمَّ قال يا أهل الكوفة أما والله إنيّ لأحمل الشَّر بحمله وأحذوه بنعله، وأجزيه بمثله وإنيّ لأرى أبصارا طامحة وأعناقا متطاولة ورؤوسا قد أينعت وحان قطافها وإنيّ لصاحبها، وكأنيّ أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى تترقرق قد شمَّرت عن ساقها فشمِّر، ثم قال:

هَذَا أوَانُ الشَدِّ فَاشْتَدِّي زِيمْ قَدْ لفَّهَا الليلُ بِسُوَّاقِ حُطَمْ

ليسَ براعِي إبلٍ ولاَ غنمْ ولاَ بجزارٍ على ظهرِ وَضَمْ

قد لفْهَا الليلُ بعَصْلبيٍّ أروعَ خرَّاجٍ من الدويِّ

مهاجرٍ ليسَ بأعرابيٍّ

ثمَّ قال:

قَدْ شَمَّرَت عَنْ سَاقِهَا فَشدُّوا ماَ عِلَّتِي وأنَا شَيخٌ إد

وَالقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌ عُــرُدُّ مثل ذراعِ البِكر أو أشدُّ

إني والله يأهل العراق ومعدن الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق ما يقعقع لي بالشنان ولا يغمز جانبي كتغماز التين، ولقد فررت عن ذكاء، وفتِّشت عن تجربة وجربت إلى الغاية القصوى، وإنَّ أمير المؤمنين أطال الله بقاءه نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدني أمرَّها عودا وأشدَّها مكسرا فوجهني إليكم، ورماكم بي، فأنَّكم طالما أوضعتم في الفتن واضطجعتم في مراقد الضلال، وسننتم سنن الغي أما والله لألحونَّكم لحْوَ العصا ولأقرعنكم قرع المروءة، ولأعصبنكم عصب السَّلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل، فإنَّكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، وإني والله لا أعد إلاَّ وفيت ولا أهمّ إلاَّ أمضيت ..

أما والله لتستقيمنَّ على طريق الحق، أو لأدعنَّ لكلّ رجل منكم شغلا في جسده وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم، وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة وإنيّ أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلاَّ سفكت دمه وأنهبت ماله وهدمت منزله.))

تحمل خطبة "الحجاج" هذه التخويف والترهيب؛ من أوَّل صعوده المنبر وصمته لمدَّة ليست بالقليلة وهو ملثم لا يكاد يظهر من وجهه إلاَّ قليل، ثمَّ نزعه اللثام ومباشرة الكلام بأبيات شعرية كلّها تفاخر بجبروته وقبضته الحديدية، هذا كما تنبأ افتتاحيته هذه عن بلاغة "الحجاج" وتمكُّنه من ناصية اللغة، ويأتي بعد أبياته الشعرية الَّتي بدأ بها خطبته الهجاء والتخويف والوعيد، فلا تكاد تخلو جملة واحدة من التهديد، هذا ناهيك عن تخيره لألفاظ قوية تحمل الرَّدع والزَّجر لكلّ من تسول له نفسه عصيان الأوامر، وما زاد من بلاغة الترهيب في خطبته ترداد الأصوات الانفجارية أكثر من غيرها نحو: (القاف) و(الجيم) و(الهمزة) و(الشين) كلّها تنبأ بتفشي القهر والقتل، وهذا كلُّه ليخضع أهل العراق لسلطانه، مستعينا بسلاح السيف واللسان.

يواصل "عبده شلبي" موضحا الأسلوب الَّذي ينبغي أن تنبني الخطبة عليه: أمَّا في حال السلم والهدوء الَّتي لا تعدو الخطبة فيها أن تكون نصيحة فلا داعي لهذه الشدَّة، ويكفي استعمال الألفاظ المألوفة والرقيقة، ونجد هذا في أسلوب القرآن حيث كانت السورة الَّتي نزلت بمكة تخاطب قوما معادين أشدَّاء، وكانت الَّتي نزلت بالمدينة تخاطب قوما طائعين مستعدين لتنفيذ ما يلقى عليهم، فاختلف أسلوب كلّ منهما بحسب مقاماته.

كما تعتمد الخطبة على الجمل القصيرة، وعدم الفصل البعيد بين أجزائها في مقامات التهويل والإثارة بحسن استعمال صيغ الاستفهام، وصيغ التعجب؛ لأنَّها تؤدي في هذه المقامات ما لا تؤديه الجمل الخبرية، والاستفهام الإنكاري يكاد يكون حجة مسلَّماً بها، فضلا عما فيه من جَبْهٍ وإثارة وقد يستعين الخطيب بعرض قصة أو حدث تاريخي للاستشهاد به على ما يقول، وهذا مفيد وناجح في أكثر أحيانه، ولكن يفسد طول القصة أو الإكثار من ذكرها، فهذا يجعل الخطبة درسا والدَّرس عادة للتفهيم ليس للاستمالة، والقصة الَّتي تورد في الخطبة يراد منها الاستمالة، ويكفي فيها قص حدث أو واقعة تأييدا لما جاء في الخطبة. [1]

[1]- ينظر: عبد الجليل عبده شبلي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص:24،25.

في هذا المقام قدم لنا خطيب خطباء الحرم الشريف المرتكزات الأساسية للخطابة وهي: ((أنَّ جوهر الخطبة وقيمتها ينبثق من مكانة الكلمة في هذا الدّين، وعِظم منزلتها وبعد مغزاها، وعَظيم مرماها فالكلام البديع والأسلوب الرَّفيع، واللَّفظ العاطر، والمعنى الآسر، والتَّركيب الجذَّاب، والقول المناسب يأخذ بالألباب ويؤدي الأثر العجاب؛ حيث يهزُّ القلوب هزاً، ويأسر الضمائر أسراً؛ لروعة مورده وصفاء مصدره.))[1]

يضيف موضحا ((وهنا يأتي دور الخطيب وواجبه؛ في حسن الإعداد، وروعة الإجادة، وعمق الإمداد، متوِّجاً ذلك بحسن النِّيَّة، وسلامة الطَّويَّة؛ والنية أساس الصَّلاح، وعنوان الفلاح، وضمانة النجاح، بعيدا عن لوْثات الرِّياء والسُّمعة، وحبِّ الظُّهُور والجري وراء الشُّهْرة، والسعي وراء التفاف الجماهير، فإذا بنى الخطيب عمله على صرح الإخلاص، وفّق –بإذن الله– وكتب له القبول والتأثير.))[2]

مع العلم ((أنَّ جميع الخطب على ضربين منها الطوال ومنها القصار، ولكل ذلك موضع يليق به ومكان يحسن فيه))[3]، وعلى هذا يجب أن لا يفوت الخطيب إن رأى من القوم إقبالا عليه وإنصاتا لقوله فأحبوا أن يزيدهم زادهم على مقدار احتمالهم ونشاطهم، وإذا تبين منهم إعراضا عنه وتثاقلا عن الاستماع خفف عنهم، وأن يكون على الإيجاز إذا شرع فيه قادراً، وبالإطالة إذا احتاج إليها ماهرا. [4]

ناهيك أن ينزع كلّ خطيب إلى دعم أقواله باعتماد أدلة منطقية، وأقوال من محفوظاته أو حكم وأمثال تجري مجرى المتعارف عليه، وذلك كلّه بغية تثبيت المعنى في عقول السَّامعين وقلوبهم

[1]– عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، ص:15.

[2]– المرجع نفسه، ص:15،16.

[3]– الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 145/4.

[4]– ينظر: قدامة بن جعفر، نقد النثر، ص:108،109.

ومن ناحية أخرى للاستشهاد قيمة نفسية تجعل الخطيب مطمئنّاً لما يقول؛ لأنَّه يستشعر دعم أصحاب الأقوال المستشهد بها لما يصدر عنه.[1]

4-1-2 شروط الخطابة: يجمل " عبده شلبي" شروط الخطابة في:[2]

- أن يكون الحديث مخاطبة لجمهور من النَّاس، فإذا كان الشخص يتحدث إلى فرد أو اثنين فإنَّه عادة لا يحتاج إلى لهجة خطابية، ويكفيه أن يشرح المعنى أو الفكرة الَّتي يريدها في صوت هادئ وطريقة مألوفة في كلِّ الأحاديث.
- أن يكون بطريقة إلقائية؛ وهذا يعني جهارة الصَّوت وتكييفه باختلاف نبراته، وتجسيد المعاني الَّتي تتضمنها الخطبة، وإبداء التأثير بها، ومن مكملات هذه الطريقة أن تصاحبها إشارات باليد، أو بغير اليد، كما يبدي الخطيب انفعالاته بما يقول.
- أن يكون الحديث مقنعا بحيث يشتمل على أدلة وبراهين تثبت صحَّة الفكرة الَّتي يدعو إليها الحديث، فإذا خلت الخطبة من هذه الأدلة فإنَّها لا تزيد على أن تكون إبداء رأي، وتكون فاشلة لأنَّها لا تؤدي إلى الغرض الَّذي قيلت من أجله، والخطيب الناجح يشرح الأدلة الَّتي يسوقها شرحا وافيا يكثر فيه المترادفات، ويعيد بعض الجمل ويلح على تركيز معان خاصة.
- أن يتوفر في الخطبة عنصر الاستمالة، وهذا يعني توجيه عواطف السَّامعين واستجابتهم للرأي الَّذي تدعو إليه الخطبة؛ لأنَّ السَّامع قد يقتنع بفكرة ما ولكن لا يعنيه أن ينفذها، أو أن تتحقق من غيره فلا يسعى لتحقيقها، وهذا العنصر من أهمِّ عناصر الخطبة؛ لأنَّه هو الَّذي يحقق الغرض المطلوب منها، فاللصوص والرشاة والنمامون وفاقد الأمانة في أعمالهم وغيرهم من منحرفي السلوك، يدركون فساد أعمالهم وسوءها

[1]- ينظر: عبد الجليل الشعرواي، الحجاج في الخطابة النبوية، ص:107.

[2]- ينظر: عبد الجليل عبده شبلي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص13،14.

ولكنَّهم مع ذلك يمارسونها، بل أكثر من ذلك وهذا يرجع لأسباب نفسية؛ أنَّ الشخص الكذاب قد يشرح أضرار الكذب، وسوء نتيجته بأكثر مما يتحدث الواعظ والمربي، وكذلك يتحدث اللصوص عن السرقات والمهملون عن أضرار الإهمال وهكذا.[1] لذلك على الخطيب أن يكون لبيبا في استمالة الحضور.

4-1-3 موضوع الخطابة:

ليس للخطابة موضوع خاص تبحث عنه بمعزل عن غيره، ولا شيء حقيراً كان أو جليلاً معقولاً أو محسوساً إلاَّ عنت به، فإنَّ كلّ مسألة عامة أو لها صلة بشأن عام يصح أن تكون موضوع الخطابة، كحب الوطن، وإقامة العدالة والنظام وتسكين الفتن، والتمسك بالفضيلة وغير ذلك، بل من المسائل الخاصة ما هو موضوع الخطابة كالخصومات، فإنَّ المحاكم ميدان الخطابة والقول البليغ وكثير من القضايا ليست إلاَّ مسائل خاصة كالعقود ونحو ذلك.[2]

و((لا ريب أنَّ الموضوعات تتزاحم والقضايا تنهمر، وربَّما حصل للخطيب الاحتيار في كيفية الاختيار، غير أنَّ الموضوعات لها أولويات، والخطيب الموفَّق من يراعي الأهميِّات فالمهمَّات، مركِّزاً على التَّأصيل العقديِّ، والزَّاد الإيماني، بما يصل العباد بخالقهم في أمور عقيدتهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم وأخلاقهم، وسلوكهم، غير منبتٍّ عن قضايا الأمَّة الكبرى، مذكِّراً بأحوال إخوانه في العقيدة، عامدا إلى الانحرافات المتفشِّية في المجتمع؛ ليتناولها بمِبْضَعِ الإصلاح.))[3]

فمن ((المتقرَّر أنَّ الخطيب كالطبيب؛ يشخِّص أدواء المجتمع وعلله، ويصف الدَّواء النَّاجع لها بحكمة واقتدار؛ وما ذاك إلاَّ لأنَّه يتحلَّى بقلب نابض، وضمير حيٍّ، وفكر نيِّر، وإحساس مرهف ولا غرو أن تكون خطبته حينذاك حديث الأسبوع كلِّه، ونبض المجتمع بكافَّة فئاته، والخطيب الحاذق

[1]- ينظر: عبد الجليل عبده شبلي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص:14.

[2]- ينظر: الإمام محمد أبو زهرة، الخطابة-أصولها- تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، ص:16.

[3]- عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، ص:16،17.

المتألّق هو ذلك الرَّجل الَّذي يعرف قدره ومكانته، ويقدِّر مسئوليَّته وأمانته، يعيش أحوال النَّاس ويشعر شعورهم، فيشاطرهم آمالهم وآلامهم، فلا يعيش في واد والمجتمع في واد آخر، بل يعرض للقضايا الحيَّة، والموضوعات المهمَّة، يتحرَّى حسن اختيار الموضوعات، وينوّع في طرحها، ويبتكر في عرضها؛ بعيدا عن الرُّتوب والتكرار ما أمكن.»[1]

هذا شأن الخطابة من حيث موضوعاتها، إضافة إلى أنَّ آفاقها رحبة لا يتأبى عليها مجال، ولا تمتنع من دخول ميدان، أو تناول أي موضوع، غير أنَّه يجب عليها في الإسلام أن لا يخرج مضمونها عن حدود الشرع، ولا تتعارض موضوعاتها مع مبادئه، وما يدعو إليه، وهكذا ينبغي أن يكون هناك التزام من جانب الخطيب باختيار الموضوعات الجائزة شرعا، وليس له الحرية في أن يختار موضوعا تتعارض مع القرآن أو السنة المطهرة، وليس معنى التزام الخطبة بالإسلام أنَّها تقتصر على الجوانب التعبدية، والمسائل الروحية دونما عدّها بل إنَّ موضوع الخطبة الإسلامية هو الحياة الأولى والآخر، لأنَّ ذلك هو المجال الَّذي يعمل فيه الإسلام، وتتطرق إليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.[2]

4-1-4 شروط الخطيب:

يجب أن يتحلَّى الخطيب بالآداب الخطابية عند إلقاء الخطبة؛ ومنها ملاحظة أحوال السامعين وهي بذلك قسمان: قسم يتعلق بحاله هو عند الخطبة، وقسم يتعلق بالسَّامعين؛ فيجب أن يظهر في الخطيب ثلاثة مظاهر: سداد الرأي، وصدق اللّهجة، والتودد للسَّامعين.[3] في هذا تحضرنا خطبة "خالد بن الوليد" في وقعة اليرموك؛ حين « اجتمعت جيوش المسلمين باليرموك لمحاربة الرّوم، وقد أرادا الْقُوَّادُ أن تتعدَّد الألوية، وتتكاثر الإمرة على الجيش فخطب خالد رضي الله عنه ينصحهم بتوحيد الرَّاية، قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

[1]- عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة ، ص:16،17.

[2]- ينظر: إسماعيل عي محمد، فن الخطابة ومهارة الخطيب، ص:18،19.

[3]- ينظر: الإمام محمد أبو زهرة، الخطابة-أصولها- تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، ص:39.

«إنَّ هذا يوما من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر، ولا البغي، أخلصوا جهادكم، وأريدوا الله بعملكم، فإن هذا يوم له ما بعده، ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبئة على تساند، وانتشار، فإنَّ ذلك لا يحلُّ ولا ينبغي، وإنَّ مِن ورائكم مَن لو يعلم علمكم، حال بينكم وبين هذا، فاعملوا فيما لم تؤمروا به، بالَّذي ترون أنَّه الرَّأي من وليكم ومحبّته قالوا: فهات فما الرأي، قال: إنَّ أبا بكر لم يبعثنا إلاَّ وهو يرى أنَّنا سنتياسر، ولو علم بالَّذي كان ويكون لما جمعكم، إنَّ الَّذي أنتم فيه أشدّ على المسلمين ممَّا قد غشيهم، وأنفع للمشركين من أمدادهم، وقد علمتم أنَّ الدنيا فرقت بينكم، فالله الله...هذا يوم له ما بعده، إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردُّهم، وإن هزمونا لم نفلح بعدها فهلمّوا نتعاور الإمارة، فليكن عليها بعضنا اليوم، والآخر غدا، والآخر بعد غدٍ، حتَّى يتأمَّر كلكم ودعوني أتأمَّر اليوم.» فأمَّروه فكان النصر للمسلمين.»[1]

فمقاصد الخطيب استمالة النفوس إلى ما يراد منها بإثارة عواطفها، ويكون ذلك بمعرفة الأهواء وطرق تهييجها أو تسكينها، ولما كان الإنسان مركّباً من روح وجسم لم يَكُفِ الخطيب أن يوجه كلامه إلى القوى العقلية فقط، بل عليه أيضا أن يثير من السَّامع عواطفه وميوله الَّتي تدفع الإنسان إلى طلب ما يرغبه، أو النفور والإعراض عما يرهبه، والميول الغريزية هي المسماة الأهواء وأهواء النَّفس الشهوانية هي: المحبة، والبغض، والرغبة والنفور والفرح والحزن، وأهواء النفس الغضبة هي الرجاء والقنوط والشجاعة والخوف والحلم والغضب، فالمحبة حركة في النفس تميل إلى الشيء بمقدار شعورها بما فيه من خير ولذة وضدها البغض.[2]

والرَّغبة حركة في النَّفس تحملها على إرادة لذة مأمولة حسية كلذات الحواس، وعقلية كلذة العلم والفضيلة، ويتوسل الخطيب إلى إثارة الرغبة في النفوس بتعظيم المرغب فيه وتزيينه في عيون السَّامعين، ببيان الفوائد الَّتي تترب عليه، وحاجة النَّاس إليه، وذكر قرب مناله وسهولة إدراكه

[1]- حسن محمد الرفاعي، ديوان خلاصة الأدب في كفاية الخطباء من الخطب، ص:69-71.

[2]- ينظر: علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، ص:45.

وللخطيب في مقام الترغيب أن يسلك طريقة المقابلة بين المنافع المترتبة على عمل الأمر المرغب فيه والمضار الناتجة عن إهماله، كما فعل "خالد بن الوليد" في خطبته، أو تفضيل بعض الأمور المرغوب فيها على غيرها كالأمور العقلية على الحسية من الكمالات النفسية والبدنية مثلا، والنفور حركة في النَّفس تحمل الإنسان على العدول عن شر يضره، والسَّعي إلى الفرار منه والإعراض عنه، وما يثير النفور ضدَّ ما يثير الرَّغبة؛ بأن يقبح للنفوس ما يراد التنفير منه بذكر المضار الَّتي تنجم عنه مع الاستغناء عنه وعدم الحاجة إليه. [1]

و((لنا في رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم خير قدوة في الخطابة، وأصدق مثال للخطيب الكامل، الَّذي لم يفته من خصائص الخطابة وواجباتها وآدابها ومحاسنها قليلاً ولا كثيراً، فقد كان صلَّى الله عليه وسلَّم جهير الصَّوت، واضح المخارج، حلوُّ النبرات، لطيف الإشارات، جميل السَّمت مهاب الطلعة، محبوبا، لسناً فصيحا، بيِّن الحجة، شديد الإيمان واليقين، عالما بمن يخطبهم، خبيرا بمن يحدثهم، واضعا كلّ قول في موضعه الَّذي يستدعيه، موجزا حين يكون الخير في الإيجاز، مطيلا حين يكون النَّفع في الإطالة صلى الله عليه وسلم.))[2]

مما يعني أنَّه على الخطيب أن يتسم بالصَّلاح ليكون خير قدوة، وأحسن أسوة؛ وعليه الحذر ممن عني بقول "ابن رجب":

وَغَيْرُ تَقِيٍّ يَأْمُرُ النَّاسَ بالتُّقَى *** طَبِيبٌ يُدَاوِي النَّاسَ وَهُوَ سَقِيمُ[3]

وأبلغ من ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿أَتَأْمُرُوْنَ النَّاسَ بِالْبِرِ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُوْنَ﴾[البقرة:44] .

---

[1]- ينظر: علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب،، ص:45،46.

[2]- حسن محمد الرفاعي، ديوان خلاصة الأدب في كفاية الخطباء من الخطب، ص:31،32.

[3]- الإمام الحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي الدمشقي، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، تح: ياسين محمد السواس، دار بن كثير، دمشق، بيروت، ط5، (1420هـ/1999م)، ص:53.

كما ينبغي للخطيب ((أنْ يراعي أحكام الخطبة الفقهية، ويحذر من الشذوذ في المسائل العلمية محدِّثا النَّاس بما يعرفون حتَّى لا يُكَذَّبَ الله ورسوله؛ وفي الأثر عن ابن مسعود –رضي الله عنه– قول لرسول الله عليه الصلاة والسلام: ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم، إلاَّ كان لبعضهم فتنة، فعلى الخطيب أن يحرص على تأليف القلوب، وجمع الكلمة، ووحدة الصَّف؛ حتَّى لا يكون سببا في خرق النَّسيج الوحدويِّ المتميز للمجتمع الإسلامي، وممَّا لا ريب فيه أنَّ الفهوم تختلف والعقول تتباين، والقرائح تتجارى، والأفكار تتبارى.)) [1]

5- آداب الخطيب مع السَّامعين:

يجب أن يركز الخطيب على أمرين:[2] أن يتناول في حديثه سلوك الأفراد، وما يجب أن يتخلق به كلّ شخص في عمله الخاص، وعلاقاته بالنَّاس طبقا لقواعد الشريعة الإسلامية فهو مرشد ومعلِّم بالإضافة إلى مهمَّة بث الحماس في نفوس مستمعيه، وأن يجعل كلّ واحد منهم أداة فعالة تعمل على تحقيق المبدأ الَّذي دعا إليه وإشاعته بين النَّاس.

والنَّاس مختلفو المآرب والعادات، أخلاقا وسنا ومهنة ومرتبة، ولكلّ طائفة من النَّاس أحوال تقتضي نوعا من الخطابة لا تقتضيه أحوال الجماعة الأخرى، وعلى الخطيب أن يلبس لكلِّ حال لباسها، ويعالج كلّ طائفة بأنجع دواء لها، ليستقيم له الطريق ويصل إلى غرضه، فالشباب يثير حماسهم ويوقظ قلوبهم، ويدفع إلى إقناعهم كلام لا يثير عاطفة الشيوخ؛ لأنَّ المناسب لهؤلاء نوع غيره، فعلى الخطيب أن يقصد إلى النوع الَّذي يوافق جماعته شيوخا أو شبابا.

فالأغنياء يُرضى كبرياءهم نوع من الكلام لا يقتضيه مقام الخطبة لمن ليسوا كذلك، والعلماء يجتذبهم الثناء الحسن وطيب الأحدوثة والتوقير والتعظيم، وأن يكون الكلام الَّذي يلقى عليهم أقرب إلى العمق والدَّقة ليلفت انتباههم، فعلى الخطيب أن يعرف ذلك، ليصل إلى موضع التأثير في قلوبهم

[1]- عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، ص:22،23.

[2]- ينظر: عبد الجليل عبده شبلي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص.29.

والشخص الشديد التدين يرضيه السَّمت والوقار من الخطيب، فعلى هذا ألاَّ يظهر بين يديه إلاَّ وقورا ظاهر التمسك بالدين لكي ينال تقديره، ومخاطبة الرؤساء تقتضي تحملا بالحياء ورزانةً وهدوءاً وابتعاداً عن مظاهر التملق المرن، لكيلا يبتذل كما تقتضي ابتعادا عن أي مظهر من مظاهر التعالي وأخذا بالتلطف وحسن المدخل، وألاَّ يعترض صراحة بل تلميحا، إن كان ما يقتضي الاعتراض كما لا يصح له أن يقر على قبيح، بل ينبه في رفق وحذر، وهكذا لكلِّ جماعة نوع من الخطابة على الخطيب أن يجيء إليها. [1]

يذهب "أرسطو" لتصنيف هيئة المخطوبين أنَّهم مختلفون فمنهم؛ ((الصالحون وهم المصدقون سريعا بالأكثر في جميع الأمور الظاهرة فأمَّا الَّتي ليس فيها أمر قاطع ولكن وقوف بين ظنين فإنَّ هذا النَّحو أيضا مما ينبغي أن يكون تثبيته بالكلام لا بما ذكرنا آنفا من كيفية المتكلم وسمته، وإمَّا بهيئة السَّامع؛ فحين يستميله الكلام إلى شيء من الآلام المعترية، وإمَّا ما يكون من التصديق من قبل الكلام نفسه.))[2] ويدخل هذا التصنيف أيضا في حسبان الخطيب واختلاف طريقة تلقي الخطبة لديهم.

6- قواعد الإلقاء الجيِّد: يقتضي الإلقاء الجيِّد التحلي بالصفات التالية:

- **جهارة الصَّوت وقوته:** كان العرب يفضلون الرجل أن يكون واسع الشدقين، ويصفون الخطيب الجيد بأنَّه أشدق، وكلّ متفوه ذو بيان فهو أشدق أي حسن مخارج الحروف.
- **تلوين الصَّوت وتكييفه:** فيجهر الخطيب مرة ويعلو صوته، ويلين أخرى حتَّى يكون كلامه همسا، كما يسرع في جملة ويمد صوته في أخرى، ولا بدَّ أن يميز لهجة الاستفهام من لهجة الخبر. [3]

[1]- ينظر: الإمام محمد أبو زهرة، الخطابة-أصولها- تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، ص:43.

[2]- أرسطو طاليس، الخطابة، ص:10.

[3]- ينظر: عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص:32.

كما ينبغي أن يكون صوت الخطيب واضحا، ومسموعا بدرجة كافية، وذلك لكي يحدث كلامه تأثيرا بالغا في نفوس المستمعين، وينبغي ألاَّ يكون صوت الخطيب عنيفاً وصاخباً، حتَّى لا يبعث مشاعر الغضب والضيق في نفوسهم، وألاَّ يكون ضعيفا لدرجة تجعلهم عاجزين عن متابعة الإنصات.[1]

❖ **الإشارة:** ((وللإشارة دور لا يستهان به في الإبانة عن المقصود، وتبليغ المراد، وقد يسكت المرء أحياناً، وتعدّ إشارته عمَّا يقصد أبلغ تعبير وتوصل رسالته خير توصيل، فكيف إذا اشتركت مع اللفظ والصَّوت في أداء متناسق متناغم، يقوم به خطيب حاذق ماهر.)) [2]

وهو تمام ما أشار إليه "الجاحظ" (ت.255هـ) بقوله: ((الإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، ما تغني عن الخط، وبعدُ فهل تعدو الإشارة أن تكون ذات صورة معروفة، وحلية موصوفة على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها.))[3]

يعتمد الخطباء البارعون في فن إقناع الآخرين إلى الوقفات القصيرة؛ لجذب انتباه المستمعين إلى النقاط المهمَّة، وكأنَّنا بالخطيب يريد من الحاضرين الاستماع لما بعد الوقفة جيدا.[4] يلخص لنا "محمد الصغير بناني" شروط الخطيب في النقاط التالية:[5]

❖ الاعتماد على الإلقاء الفوري؛ وهذا لا يسمح للخطيب بأن يتوقف ليراجع كلامه، أو يصححه أو ينقحه، في الوقت الَّذي يجب أن يكون لفظه متخيرا وتراكيبه سليمة.

---

[1]- ينظر: هاري ميلز، سيكولوجيا جديدة للتأثير في الإقناع –كيف تسترعي انتباه الآخرين وتغير آراءهم وتؤثر عليهم، مكتبة جرير، الرياض، ط1، (2001م)، ص:95.

[2]- إسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارات الخطيب ، ص:122،123.

[3]- الجاحظ، البيان والتبيين، 78/1.

[4]- ينظر: هاري ميلز، سيكولوجيا جديدة للتأثير في الإقناع، ص:96.

[5]- محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ص:228.

- ❖ إنَّ عدم تمكن الخطيب المترجل من الاعتماد على المصادر المكتوبة يقتضي منه الاضطلاع بذاكرة قوية تكون مرجعه الوحيد عند الإلقاء.
- ❖ إنَّ الخطيب مضطر أكثر من غيره إلى مراعاة حال مستمعي، وظروفهم الراهنة مما يفرض عليه إخضاع كلامه إخضاعا آنيا لهذه الظروف الَّتي قد تتغير من لحظة إلى أخرى، بخلاف الكاتب مثلا الَّذي يتمتع بحدود زمانية ومكانية تمكنه من التصرف في كلامه.

أمَّا "الشنطي" فقد حدَّد الشروط الَّتي ينبغي أن تتوفر في الخطيب بأربع هي:[1]

1. **شروط خَلْقية:** كبراءة اللّسان من العيوب، وقد تناول الجاحظ في كتابه البيان والتبيين هذه العيوب، سبق التطرق إليها في فصلنا السابق.
2. **شروط ذهنية:** كسداد الرأي وصحة القول وحضور البديهة وشدَّة الملاحظة، ومراعاة أحوال السَّامعين وغزارة الفكر.
3. **شروط خُلقية:** منها حسن السيرة حتَّى يثق النَّاس به فيستمعون إليه، وخلوص النية لأنَّ خلوص النية تظهر آثاره في الوجه، وفي نبرات القول يصاحبه عن التكلف والتردد إلى النَّاس والتحلي بالوقار وعزة النفس وحب الخير ورباطة الجأش، وقوة الشخصية لأنَّ الخطيب إذا افتقد الجرأة ووهنت عزيمته لا يقوى على الوقوف أمام جمهوره.

7- أهداف الخطابة ومراميها:

للخطابة غاية شريفة في مجال الدَّعوة الإسلامية ، وأهداف سامية؛ ((فالغاية منها إحقاق الحق وإبطال الباطل، وإرشاد الخلق إلى طريق الخالق سبحانه وتعالى، وذلك بدعوة النَّاس إلى الإسلام اعتقادا ومنهجا وتحذيرهم مما سواه، فالخطيب المسلم الدَّاعية يبغي من وراء التأثير في المخاطبين

[1]- ينظر: محمد صالح الشنطي، من التحرير العربي ضوابطه وأنماطه، ص:228.

توجيههم نحو الخير، ولا يرمي إلى إقناعهم بغير الحق، ولا يحرص على استمالتهم إلاَّ إلى ما فيه نفعهم وسعادتهم في المعاش والمعاد.»[1]

فقد «استخدمها الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم، منذ أمره الله عز وجل بأن يصدع بما أوحاه إليه ربه ويجهر بالتبليغ، كما أنَّ الإسلام فرض في كلِّ أسبوع خطبة لا تنعقد صلاة الجمعة بدونها هذا سوى ما شرعه من الخطب الأخرى، كخطب العيدين والاستسقاء والخسوف، والكسوف والزواج والصلاح وغيرها.»[2] كما سبق وذكرنا.

ينضاف إلى ذلك أنَّ للخطابة غاية ذات شأن خطير؛ فهي ترشد النَّاس إلى الحقائق وتحملهم على ما ينفعهم في العاجل والآجل، والخطابة معدودة من وسائل السيادة والزعامة؛ كانوا يعدونها شرطا للإمارة «وحسبها شرفاً أنَّها وظيفة قادة الأمم من الأنبياء والمرسلين صلى الله عليهم وسلام.»[3]

ومن حسنات الخطابة فضُّ المشاكل وقطع الخصومات، وهي الَّتي تهدئ النفوس الثائرة، وهي الَّتي تثير حماسة ذوي النفوس الفاترة، وهي الَّتي ترفع الحقَّ وتضع الباطل، وتقيم العدل وترد المظالم وهي لسان الهداية، والخطابة هي الدَّعامة الَّتي قامت عليها الانقلابات العظيمة، والثورات الكبيرة الَّتي نقضت بنيان الظلم، وهي الَّتي كانت تؤجج نيرانها، والخطابة قوة تثير حمية الجيوش، وتدفعهم إلى لقاء الموت وتزيد من قوتهم المعنوية، ولذلك كان قادات الجيوش المظفرون في القديم وفي العصور الحديثة خطباء: فبركلس ويوليوس قيصر، ونابليون، وعلي بن أبي طالب، وخالد بن الوليد، وطارق بن زياد خطباء مصاقع حملوا معهم سلاحا معنويا بجوار السلاح الحديدي، والخطباء هم المسيطرون على الجماعات وهم الذين يقيمونها، ويعقدونها.[4]

---

[1]- إسماعيل عي محمد، فن الخطابة ومهارة الخطيب، ص:19،20.

[2]- المرجع نفسه، ص:08.

[3]- علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، ص:15.

[4]- ينظر:الإمام محمد أبو زهرة، الخطابة-أصولها- تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، ص:17.

تقف الخطابة بين ((ذوي المنازع المختلفة والآراء المتضاربة، فلا يزال الخطيب البارع يبين لهم النافع من الضار والصواب من الخطأ، حتَّى يجعل الجميع في قبضة يده، والخطيب البارع يقوم بين طائفتين استعرت بينهما نار العداوة والبغضاء فيُذكِّرُهم بعواقب التقاطع، ويحذرهم من نتائجه السيئة فإذا القلوب مؤتلفة والنفوس متآخية.))[1] يلخص (طارق محمد السويدان) أهدف الخطابة في نقاط مختصرة: [2]

- ✓ بيان حكم شرعي.
- ✓ إيضاح الحكمة والغاية من التشريع.
- ✓ تصحيح مفهوم خاطئ.
- ✓ استكشاف حالة النَّاس ومعرفة وجهتهم.
- ✓ إزالة شبهة عالقة بأذهان النَّاس.
- ✓ تفسير القرآن الكريم.
- ✓ تحفيز النَّاس للقتال أو الإنفاق أو عمل شرعي.
- ✓ بيان فضل الصحابة رضي الله عنهم.

خلاصة الفصل:

صفوة القول أنَّ تحضير خطبة ما يمر بمراحل؛ تتصدرها مرحلة جمع الشواهد الَّتي من شأنها إقناع السَّامع وحمله على الإذعان، ثمَّ تليها مرحلة ترتيب الأفكار الَّتي يعمل خلالها الخطيب على تنظيم أجزاء خطبته، وإحكام ترتيبها مع ما يشمل ذلك من اختيار للألفاظ والمعاني وحسن تقديمها في الزمن والمكان الملائمين، وإذا ما تمَّ له ذلك فإنَّه لا يبقى أمامه سوى العمل على حسن تأديتها

[1]- إسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارة الخطيب، ص:20،21.

[2]- طارق محمد السويدان، فن الإلقاء الرائع، ص:25.

والتعبير عنها تعبيراً يتوخى فيه الحرص على سلامة النطق، مع ما يشمل ذلك من مطالب أخرى كملاءمة صوته، وإشاراته للدَّلالة على المعاني.

والخطابة علم له أصول وقوانين يمكِّن الدَّارس لها من التأثير بالكلام، من خلال دارسة طرق التأثير، ووسائل الإقناع، وما يلزم أن يكون الخطيب عليه من صفات وآداب وإلمامه بميول السَّامعين وما ينبغي أن تكون عليه أساليب الخطبة، وترتيب أجزائها، وعليه يراد بالخطابة ملكة الاقتدار على الإقناع واستمالة القلوب، وحمل الغير على ما يراد منهم.

ولا يمكن أن تبعث القوة في الخطابة، وتدب في كيانها الحياة، وتتحقق منها الإفادة التامة والتأثير المطلوب ما لم يتوفَّر لها خطيب فصيح متمكِّن؛ يملك مقومات الخطيب وصفاته اللازمة والمؤهلة، كي يكون خطيباً جيداً، يأسر القلوب بفصاحته، ويستميل النفوس بقوة تأثيره، وقد نرى خطبة مناسبة ومادة علمية جيدة وموضوعاً مهماً، يحتاج إليه الجمهور ولكن للأسف يقوم بعرض هذا خطيب هزيل المستوى ضعيف الأسلوب، رديئ الإلقاء فيضيع الموضوع وتضيع معه الفائدة وتنصرف أذهان النَّاس عن متابعته والتفاعل معه، وينعدم الإقناع والاستمالة اللذان هما من أهمِّ أسس الخطابة.

وفي المقابل قد نجد نقصا في بعض المواصفات الخاصة بالخطبة، من حيث اختيار الموضوع وترتيب العناصر ونحو هذا، إلاَّ أنَّ الخطيب يكون ذا مستوى راق، وأداء جيد وعرض حسن وإلقاء مؤثر، فيتجاوز ذلك النقص بفطنته وكفاءته الخطابية فلا يحسُّ النَّاس بالملل ولا تشرد أذهانهم عن متابعة الخطيب، وهكذا نجد أهميَّة الخطيب وموقعه الحساس ودوره الخطير في العملية الخطابية، فهو من يمدُّها بأسباب القوة، وعوامل النجاح، ولهذا كان إعداد الخطيب حريا بالعناية والاهتمام.

والصَّوت هبة جليلة من الله تعالى، وهو بالنسبة للخطيب رأس ماله، وأقوى أدواته الفطرية وقد يسمع المرء خطيبا يحسن توظيف صوته وتوجيهه، فتنساب الكلمات من فمه عذبة جميلة متناغمة تبعث على الارتياح والاستئناس، وهنا تختلف نبرة الصَّوت لدى الخطيب الجيد حال

التعجب، عنها حال التقرير كما تختلف لهجته من مقام الزجر أو التهييب عنها في مقام الشكر أو الترغيب، إضافة إلى أنَّه يتفنن في طبقات صوته، وعلوها وانخفاضها، وتمهله وسرعته، إذا كان الخطيب يعيش موضوعه ويتفاعل معه.

هذا ونطوي حديثنا عن الخطاب والخطابة، وإن كان التفصيل في كلّ نقطة تطرقنا إليها ودعمها بما يزخر به موروثنا الأدبي قد لا يجعلنا ننهي الحديث ولو كتبنا مجلدات، لكن تفاديا للإطناب، ورغبة منا في ذكر أهمِّ ما يجب التطرق إليه؛ مما يربط الفصل السابق قبله بالفصل اللاحق بعده جعلنا نتوقف، لنلج مباشرة للفصل الَّذي نستظهر فيه الوظيفة الإبلاغية الَّتي يؤديها الصَّوت اللغوي في الخطابات المسجدية.

من خلال التركيز على بعض الخطب المنتقاة بعناية، والمتنوعة بين خطب مناسبات، وخطبة جمعة، ودروس، ومنها ما هو مسجل في شكل أشرطة موثقة في أرشيف الهيئة المعنية، ومنها ما هو متداول على المواقع الإلكترونية نظرا لشعبية الخطيب وذيوع صيته بين الأقطار الإسلامية مثل الشيخ "كشك" رحمه الله، ومنها ما هو مكتوب من تأليف خطباء جمعوا خطبهم ودونوها في مؤلفات لقيت شهرة ورواجاً، هي بالضرورة وإن كتبت تمَّ إلقاؤها أمام جمع من الحاضرين في بت الله.

اخترنا من بين المؤلفات التي كتبت: مجلداً لإمام الحرم الشريف " السديس"؛ لأنَّ خطبه يلقيها على مسامع مختلف الفئات الاجتماعية والأعمار والجنسيات، ناهيك عن شهرته وذيوع صيته في كلّ الأقطار الإسلامية، وعليه أخذنا الفضول لأخذ عينات منها لتكون لنا التفاتات وتعليقات تخدم موضوع بحثنا، بالإضافة إلى عينات خطابية أخرى لأئمة أجلاء لهم بصمتهم الطيبة في مجال الدَّعوة والخطب المنبرية، كلّ هذا وغيره تفصيله في فصلنا المعنون بالإبلاغية في الخطب المسجدية –دراسة تطبيقية.

الفصل الثالث: الإبلاغية في الخطب المسجدية

– دراسة تطبيقية–

- **الخطاب المسجدي والهيئة الوصية**
- **تطبيقات على مباحث علم وظائف الأصوات**
  - مدُّ الصَّوت وتكرار المقاطع ودلالته الإبلاغية
  - الوقفة الاضطرارية لغاية إبلاغية
  - التلعثم والإخلال بالوظيفة الإبلاغية
  - نبر الجمل – دلالة التنغيم وإبلاغيته
  - الفواصل الصَّوتية ودلالتها الإبلاغية
- **المهارة الخطابية ودورها في الإبلاغية**
  - استمالة الحاضرين بحسن التدرج في العرض
  - حسن الافتتاح ودلالته الإبلاغية
  - أهمية الاختيار الصائب لموضوع الخطبة
  - التشويق في العرض ووظيفته الإبلاغية
- **خطب المناسبات**

توطئة:

تعتمد الإبلاغية كوظيفة قارة في الخطب المسجدية على حضور عناصر التواصل (الخطيب والخطبة والحضور أو المصلين)؛ وذلك لتبليغ الرسالة الَّتي تعدّ أمانة ملقاة على عاتق الخطيب (المرسل) فيجتهد لحمل الحاضرين (المتلقين) على قبولها والتفاعل معها والعمل بفحواها، ومعلوم أنَّ الخطب المسجدية صنفت ضمن الخطب الدينية، وأصبح لها وظائف أساسية نلخصها فيما يلي:[1]

- ❖ وظيفة التشريع: خاصة بما حمله تنزيل الحكيم من تشريع للعباد؛ لأنَّ القرآن الكريم هو مصدر التشريع.
- ❖ وظيفة تثبيت العقيدة: تثبيت عقيدة التوحيد بالاستناد إلى النَّص القرآني.
- ❖ وظيفة التصنيف: وبها يصنف النَّاس إلى مؤمنين وكافرين ومشركين ومنافقين، وبالتالي يخاطب كلّ صنف بما يناسبه.
- ❖ وظيفة تحديد الثواب والعقاب، تحديد المصير لكلّ فريق (الجنة أو النَّار).
- ❖ وظيفة التزكية والإصلاح: من خلال تقويم الأخلاق، وتربية النفوس على الاستقامة باعتماد أسلوب الترغيب والترهيب.

والترغيب والترهيب يدخلان ضمن عمليتّي الإقناع والتأثير اللتين تقوم عليهما الوظيفة الإبلاغية من خلال أخذ العبرة من قصص الأمم السابقة، والَّتي قدَّمها القرآن الكريم في أحسن تصوير، يجعل المصغي يستحضر المشهد صورة وصوتا، ففكرة الترغيب والترهيب فكرة أساسية في الدين، يعبَّر عنها أيضا بالتبشير والإنذار، وهما أهمَّ مهام الأنبياء والرُّسل عليهم صلوات الله وسلامه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيْراً

[1]- ينظر: عبد الكريم حاقة، إبلاغية الخطاب القرآني من منظور لسانيات النص، ص: 64،63.

وَنَذِيْراً﴾[البقرة:119]، وعليه يترتّب على الخطيب أن يحرص ويجتهد في تخيُّر ما يناسب من قصص ومن آي الذكر الحكيم ما يناسب موضوع خطبته.

مع العلم أنَّ كلاً من الترغيب والترهيب ينشطر إلى مادي ومعنوي؛ فالترغيب المادي خيرات ونعيم الدنيا والآخرة كالأموال والأولاد والذهب والفضة وغير ذلك، والترغيب المعنوي كالسَّعادة والاطمئنان والراحة ومحبة الآخرين وغير ذلك، فجاءت الكثير من آي القرآن الكريم ترغب في أعمال الخير والبرِّ ليكون الجزاء في الدارين[1].

قال سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ﴾[النحل:97]، وقوله: ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيْهاَ مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُوْنَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ واسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِيْنَ فِيْهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾[الكهف:31]

والترهيب المادي يُصلح البشر ويُقوِّم أخلاقهم ويُهذِّب نفوسهم، فما على الرَّسول إلاَّ تبليغ الرسالة وأداء الأمانة، قال سبحانه: ﴿الزَّانِيَةُ والزَّانِيْ فَاجْلِدُوْا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِأْئَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذُكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِيْ دِيْنِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الأَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ المؤْمِنِيْنَ﴾[النور:2]

أمّا الترهيب المعنوي فهو ما فيه أذى للنّفس والسُّمعة والكرامة؛ مما جاء في الترهيب المعنوي قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ منْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِيْ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ العَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ﴾[البقرة:85].

كلّ هذا وغيره ليتمكَّن الخطيب من تأدية واجبه، وتحصيل الغايات الَّتي يروم تحقيقها من وراء هذه الوظائف المنوطة بالخطاب الديني نحو:[2]

[1]- ينظر: عدنان عبد السلام الأسعد، الإعجاز البلاغي في سورة المفصل دراسة تحليلية لأسرار المعاني والبيان والبديع، دار عيداء عمان، الأردن، ط1، (1434هـ/2013م)، ص:255.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص:318.

- ✓ بث عمق الشعور بتقوى الله وخشيته، والخوف من حسابه، فيترتب على ذلك انضباط السلوك ومحاسبة الضمير.
- ✓ صدق الجهاد في سبيل الله بالأنفس والأموال، ويترتب عن ذلك التمكين لدين الله.
- ✓ تقرير مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويترتب عن ذلك منع انتشار الفساد.
- ✓ تقرير مبدأ التكافل الاجتماعي، ويترتب عنه تماسك الأمَّة وتعاونها على الخير.
- ✓ الوفاء بالمواثيق.
- ✓ تطبيق العدل الرباني في الأرض.
- ✓ التسامح الديني بين الطوائف الأخرى.

يعتقد الكثيرون أنَّ الخطاب المسجدي لا يختلف في جوهره عن الخطاب التعليمي الَّذي يمارس في المدارس والمعاهد، على اعتبار أنَّ كليهما يهتم بإيصال المعارف والحقائق إلى أذهان المتلقين حتَّى ولو كانت هذه المعارف تختلف كمًّا ونوعا من مستوى إلى آخر، غير أنَّ الحقيقة غير ذلك فالخطاب المسجدي يختلف كثيرا وله أوجه عديدة.

فهذا الخطاب موجّه إلى طوائف عديدة، ولأناس ذوي أعمار غير متجانسة، ولمستويات مختلفة ومتباينة في المجال الثقافي والمعرفي والمستوى الإدراكي، ممَّا يتطلب اختيار منهجية خاصة ولغة مشتركة وبسيطة وأسلوبا توجيهيا منوّعاً، كما يتطلّب الأمر اختيار موضوعات تتصل باهتمامات النَّاس كلّهم صغيرهم وكبيرهم عالمهم وجاهلهم، عكس الخطاب الَّذي يلقى في المدارس والمعاهد؛ لأنَّ هذا الأخير موجه إلى طائفة متجانسة في الأعمار ومتقاربة في المستويات المعرفية، وتلتقي جميعا عند

هدف مرسوم لها، وتستطيع إبداء رأيها كما تعتمد مستوى لغوي واحد ومنهجية موحدة، وأسلوباً بيداغوجيّاً يفرضه مستواهم الإدراكي.[1]

1- الخطاب المسجدي والهيئة الوصية:

تحرص وزارة الشؤون الدينية والأوقاف في مختلف الأقطار الإسلامية وخصوصا في الجزائر على متابعة مهام الخطيب؛ فتمدُّه بكلِّ ما يلزمه من توصيات وتوجيهات من خلال الدَّليل الوطني لخطب الجمعة، يشبه إلى حدٍّ ما الدَّليل البيداغوجي والوثائق المرفقة الَّتي تقدمها وزارة التربية والتعليم للمعلِّم إضافة إلى مجلة علمية محكمة مُعنونة بـ (رسالة المسجد) تشرف عليها الوزارة ذاتها تحمل مختلف المواضيع الدينية والاجتماعية الَّتي لها علاقة بالعبادات والمعاملات، يستطيع الخطيب أن يكتسب أسلوباً راقياً وتوجيهاً لائقاً في كيفية الاستشهاد بالشواهد القرآنية والأحاديث النبوية ومختلف الأقوال والحكم والأبيات الشعرية، وذلك من خلال المطالعة والمشاركة في أعدادها.

1-1 توجيهات الدَّليل الوطني للخطيب:

يمكن أن نوجز أهمَّ ما حمله الدّليل ابتداءً بكلمة السَّيد معالي وزير الشؤون الدينية والأوقاف "محمد عيسى"؛ فبعد الحمد والصلاة والسَّلام على خاتم الأنبياء والمرسلين يقدم تمهيدا يذكر فيه سلطة المنابر ومكانتها في المجتمع، والدَّور المهمّ الَّذي قام به الخطباء في أحلك الفترات الَّتي مرت بها الجزائر.

يردف طارحا سؤالا ذا بال يفترض فيه أنَّ أحداً يتساءل عن أسباب اتصاف أئمة المساجد بصفات حميدة، وحصولهم على مكانة اجتماعية طيبة في بيئتهم الَّتي أمُّوا النَّاس فيها، ومساجدهم الَّتي كانت رياض عملهم وحلقات علمهم، وعلى عجلة يأتيه الجواب واضحا ومختصرا على حدِّ قوله بأنَّ ((بلادنا لم تلزم الإمام بنص خطبته، أو قراءة فرمان، أو تلاوة بيان؛ وإنمَّا تركت له مجال الاجتهاد في اختيار ألفاظه، وكلامه، ممزوجا بخبرته وحكمته، ليكون فوق المنبر نائبا عن سلطتها في البلاد

[1]- ينظر: عبد القادر فضيل، منهجية بناء الخطاب المسجدي (مقال)، مجلة رسالة المسجد، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائر ع02، (رجب1424هـ/سبتمبر2003م)، ص:27.

ويقف فوق المنبر نائبا عن حاكمها ورئيسها في الوطن، فهو ابن بيئته، وهو أدرى بحاجة وطنه إلى التوجيه المناسب في الوقت المناسب.»[1]

يضيف السَّيد الوزير مفصّلاً؛ أنَّ الدولة الجزائرية الممثلة بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف وقفت داعمة ومقدِّرة لكلام الخطيب ومُجِلَّة لمواقفه، وإن تدخلت فمن قبيل التَّوجيه وإرادة التكامل بين الخطاب الديني والخطاب الوطني، ومن منبع هذه الإرادة جاء هذا الدَّليل ليكون عوناً له وسنداً في التَّحضير لخطب الجمعة، فقد تركت للسَّادة الأئمة حرية اختيار الأسلوب، وتوظيف النصوص وترجمة الحكم والأقوال إلى محطَّات ووقفات إرشادية يصنعون منها نجاحهم، ويدافعون من خلالها عن توجيهاتهم ومواقفهم، وفي هذا تأكيد على أنَّه يعتبر الإمام حرا في الاختيار والتصرف للارتقاء بمستوى الخطاب الديني في بلادنا.

بعد كلمة السَّيد وزير الشؤون الدينية والأوقاف" د.محمد عيسى" الَّتي وضَّح فيها أهميَّة المهام الموكلة للخطيب، والفسحة الَّتي منحتها له الوزارة من خلال ترك باب الاجتهاد مفتوحا للخطباء تأتي كلمة مدير التوجيه الديني والتعليم القرآني بالنيابة "د.نور الدين محمدي" تأكيد آخر، وإضافة فيها بعض التفصيلات للنقاط الَّتي سبق وأشار إليها السَّيد وزير الشؤون الدينية:

فبعد افتتاح كلمته بالحمد والثناء على الله ورسوله وآله وصحبه يباشر حديثه بربط الصلة بين خطبة الجمعة وتعايش الخطيب الجيِّد مع موضوعها بوجدانه، وفكره، وعاطفته، وعقله، وكيف أنَّه يسهر على التحضير الجيِّد لها طيلة أيام الأسبوع وساعاته، حتَّى إذا جاء يوم الجمعة وجد نفسه على استعداد تام ليخاطب المصلين بخطاب متزن...مدركا لأبعاد الموضوع ومقاصده وأهدافه.

يضيف السَّيد مدير التوجيه الديني "نور الدين محمدي" أنَّه من خلال إلقاء الخطيب لخطبته يظهر مستوى تحضيره؛ هل قبل الجمعة بأيام أم كان صبيحة يوم الجمعة بساعات، والتحضير

[1]- الدليل الوطني لخطب الجمعة نور المنبر وزاد الخطيب، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، مديرية التوجيه الديني والتعليم القرآني (د ط)، (2017م)، ص:5،6.

الجيد هو السِّر وراء إقبال النَّاس على الخطيب استماعا وقبولا، أو على استدبارهم له، وعدم استجابتهم لكلامه،[1] ثمَّ يتجه نحو التأكيد على صدق اللَّهجة، والَّتي يعتبرها الفيصل بين الخطيب والمصلين ويقصد من وراء ذلك صدق الخطيب قولاً وفعلاً؛ فلا ينهى عن أمر ويأتي بمثله فيسقطه من أعين مستمعيه، ويحكم مسبقاً على فشل خطبته، يقدم في خضم حديثه عن صدق اللّهجة صفات تترتب على صدقه من عدمه، فيرتبها بالتدرج حسب الأولوية وهي كالتالي:[2]

أوَّلا: الصفات المعرفية: يضبط الصفات المعرفية بنقاط مهمَّة وموجزة دون شرح فيما يأتي:

- وحدة الموضوع الملزم للفهم.
- حفظ النصوص والأقوال لتأصيل الموضوع.
- الأسلوب الواضح الجالب للانتباه.
- البلاغة الجاذبة للتركيز.
- المنطق الرَّصين المنشط للمتابعة.
- بُعد النظر في التماس الحلول وفق حدود مسؤولية الإمام لتحقيق الاستماع الجيِّد للمصلين.
- الابتعاد عن التراكم المعرفي المرهق لعقول المصلين؛ كالتكلف في تخريج الأحاديث.

ثانيا: الصفات الفنية: يدرجها ضمن قدرات الإمام الخطيب، فلا يقلِّد غيره ليتسم بشخصية خاصة به وبالتالي عليه:

- الاهتمام بالهندام المشعر بالانتماء.
- براعة الاستهلال.
- الاستمالة.
- التَّفاعل مع الواقع.

[1]- ينظر: الدليل الوطني لخطب الجمعة نور المنبر وزاد الخطيب، ص:6-8.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 8،9.

- ❖ إظهار الرَّحمة.
- ❖ إبراز المهابة.
- ❖ الاختصار.
- ❖ جمع الكلمة وتوحيد الصَّف.

يختم حديثه بالتنويه على الدَّليل الوطني لخطب الجمعة، الَّذي جعلوا له عنوانا إضافيّاً (نور المنبر وزاد الخطيب)؛ ليكون بين أيدي السَّادة الأئمة غير بعيد عن قدراتهم المعرفية، فهو يعطي تسهيلات للإمام ويرسم له خطة خطابه كلَّما وجد نفسه مضطرا للتحضير، كما يحمل هذا الدَّليل النصوص المؤصلة وفيه الأقوال والحكم الدَّاعمة له، وفيه أيضا الأوراق الفنية الَّتي توضح له ما يأتي:[1]

- ✓ مجالات تنظيم الأفكار.
- ✓ صناعة التَّوجيه.
- ✓ تقوية أسس الإرشاد.
- ✓ إبراز الجانب الفني لدى الخطيب.

بعد كلمة السَّيد وزير الشؤون الدينية والأوقاف "د.محمد عيسى"، وكلمة مدير التوجيه الديني والتعليم القرآني بالنيابة "د. نور الدين محمدي"، يأتي الفهرس العام للدَّليل؛ مُقسَّماً إلى خمسة محاور كبرى؛ يندرج تحت كلِّ محور عدَّة مواضيع مختلفة تخدم عنوان المحور نفسه، نوجز ما انطوى عليه الفهرس العام للدَّليل فيما يلي:[2]

المحور الأوَّل: الخطب الوعظية؛ يندرج ضمنه عشرة مواضيع تصب كلّها في ذات الموضوع نحو: الموضوع الأوَّل: السماحة واليسر في العبادات، الموضوع الثاني: حقيقة الشكر ومظاهره، الموضوع الثالث: خطورة القول على الله بغير علم، الموضوع الرابع: التحذير من الغلو في الدين...

[1]- الدليل الوطني لخطب الجمعة نور المنبر وزاد الخطيب، ص:10.

[2]-ينظر: المرجع نفسه، ص:11-13.

المحور الثاني: الخطب الأسرية؛ ينشطر هو الأخر إلى عشرة مواضيع منها: الموضوع الأوَّل: التسامح في العلاقات الزوجية والأسرية، الموضوع الثاني: برُّ الوالدين والإثم المترتب على عقوقهما الموضوع الثالث: الأسرة والتربية...

المحور الثالث: الخطب الاجتماعية؛ يحمل ثلاثة عشر موضوعا منها: الموضوع الأوَّل: السماحة في المعاملات، الموضوع الثاني: واجب المجتمع في التعامل مع الفساد، الموضوع الثالث: الصبر زاد المجتمع...

المحور الرابع: الخطب الأخلاقية؛ به إحدى عشر موضوعا منها: الموضوع الأوَّل: التسامح في الدين الإسلامي معاني ومعالم، الموضوع الثاني: الصدق حقيقته ومراتبه، الموضوع الثالث: الأمانة...

المحور الخامس: الخطب الوطنية؛ يحمل ثمانية مواضيع منها: الموضوع الأوَّل: التمسُّك بالوحدة الوطنية، الموضوع الثاني: المحافظة على نعم الله حب الوطن أنموذجا، الموضوع الثالث: الفاتح من نوفمبر ذكرى للعبرة...

بعد الفهرس العام للدَّليل يأتي فحوى كلّ المحاور السابقة الذكر بالترتيب، والَّتي تشترك في أنَّ كلّ موضوع يحمل آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة، وأقوال الصحابة وأهل العلم، وأبيات شعرية حسب ما يناسب الموضوع المقترح، حتَّى يسهل على الخطيب انتقاء ما يناسبه من شواهد، تاركا له حرية ضبط خطته وأسلوبه والارتقاء بلغته وصدق لهجته؛ أي أنَّه يحمل مادة علمية ومعرفية جاهزة تعفي الخطيب من البحث عن الشواهد المناسبة لموضوع خطبته، إلاَّ إن شاء الخطيب أن يضيف من اجتهاده الخاص ما يدّعم موضوعه ليتحسب إضافة له في أدائه وتميزه.

وآخر ورقتين من هذا الدَّليل جاء فيهما "...ليس عسيرا أن تكون خطيبا متميزا، فقط كن صادق اللّهجة ليسمعك النَّاس، واضح الفكر ليفهموك، طيِّب المعشر ليتّبعوك، وافر الهمَّة ليتأثروا بك، جميل المظهر ليلتفتوا حولك، تقي المخبر ليقتدوا بك، وابحث وتابع واكتب وقيِّد واحفظ

وتدَّرب، فليس عيبا أن تكون كذلك، المهم أن تواصل في تطوير قدراتك...»،[1] هكذا ختم السَّيد الوزير ومدير التوجيه الدّليل بأوامر مباشرة للخطيب الغرض منها النصح والتوجيه وإعادة التأكيد بشكل مختصر على ما سبق الحثُّ على الالتزام به.

كما يُلقى على عاتق مديرية الشؤون الدينية والأوقاف تنظيم ندوات شهرية وأيام دراسية لفائدة السَّادة الأئمة، بل وحتَّى موظفي قطاع الشؤون الدينية؛ وذلك عن طريق رزنامة من المهام المضبوطة على المديرية السَّهر على الالتزام بها بالمتابعة وبالتقييم.

تمكَّنا من الحصول عليها بعد التنقل لمديرية الشؤون الدينية بتيسمسيلت، والاستفسار والبحث عن أجوبة لأسئلة لها علاقة بموضوع بحثنا، فاستقبلنا مدير مديرية الشؤون الدينية والأوقاف السيِّد "مهدي الحبيب"، ووضع تحت تصرفنا كلّ ما نحتاجه لإثراء الموضوع بعد أن أبدى سروره أن يكون اهتمام الأكاديميين لمثل هذه المواضيع الَّتي لها علاقة مباشرة بواقعنا وبالأخص أمور الدين والدنيا معاً، ثمَّ أحالنا للسَّيد مفتش الشؤون الدينية والأوقاف السيِّد: "بوخماشة محمد" هذا الأخير الَّذي كان أكثر كرماً؛ شرح وفصَّل وبسّط الحديث على مصراعيه، فجاء تأكيده على حدِّ قوله للأئمة عند زيارته التفتيشية لهم :(خاطبوا النَّاس بما يفهمون) وأمدَّنا بوثيقتين الأولى: رزنامة الندوات الشهرية والأيام الدراسية لسنة 2018م والثانية: رزنامة المناسبات الدينية والوطنية والأيام العالمية، تُعلَّق بالمديرية وتُرسل لكافة المساجد، حتَّى لا يفوت الخطيب أيّة مناسبة ويكون في الموعد، وهما على هذا النَّحو:

رزنامة المناسبات الدينية والوطنية والأيام العالمية:

الرقم	الأعياد والمناسبات الدينية والوطنية والعالمية
01	أول محرم
02	عيد عاشوراء
03	المولد النبوي الشريف
04	الإسراء والمعراج
05	غزوة بدر الكبرى
06	فتح مكة
07	ليلة القدر المباركة

[1]- الدليل الوطني لخطب الجمعة نور المنبر وزاد الخطيب، ص:204.

08	عيد الفطر المبارك
09	غزوة حنين (10شوال)
10	غزوة أحد (15 شوال)
11	غزوة الخندق (شوال)
12	صلح الحديبية
13	عيد الأضحى
14	يوم الشهيد (18فيفري)
15	عيد المرأة (8 مارس)
16	اليوم العالمي للمعوقين (14 مارس)
17	عيد النصر (19 مارس)
18	عيد الشجرة (21 مارس)
19	يوم العلم (16 أفريل)
20	عيد العمال (1 ماي)
21	اليوم العالمي للعائلة (15 ماي)
22	اليوم العالمي ضد التدخين (31 ماي)
23	اليوم العالمي للطفولة (1 جوان)
24	اليوم العالمي للبيئة (5 جوان)
25	عيد الاستقلال والشباب (5 جويلية)
26	اليوم العالمي للسكان (11 جويلية)
27	اليوم العالمي ضد تعاطي المخدرات (26 جويلية)
28	يوم المجاهد (20 أوت)
29	اليوم العالمي للسلم (14 سبتمبر)
30	اليوم العالمي للتغذية (16 أكتوبر)
31	اليوم الوطني للهجرة (17 أكتوبر)
32	عيد الثورة الجزائرية (01 نوفمبر)
33	اليوم العالمي ضد مرض الايدز (01 ديسمبر)

تحمل هذه الرزنامة الملاحظة الآتية مع ختم المديرية.

ملاحظة:

- يجب مراعاة الرزنامة في أثناء تسطير التوزيع الشهري.
- الدروس تكون بنفس تاريخ المناسبة بالنسبة للمصليات المؤطّرة بأئمة.
- تخصيص دروس أو خطب جمعة بالنسبة للمساجد الَّتي تقام بها الجمعة .
- إرسال تقارير مفصلة حول كلّ مناسبة ضمن التقرير الشهري لنشاطاتكم الشهرية.

أكثر ما شدَّ انتباهنا لهذه الرزنامة أنَّ مديرية الشؤون الدينية تقف على كلِّ مناسبة لإعطائها حقها فلم تفتها أية مناسبة أو حدث كان دينياً أو وطنياً أو حتَّى عالمياً، غير أنَّها لم تصنف فيها كلّ صنف على حدة، كما أنَّ هناك بعض المناسبات لم تضبطها بتواريخها لربما لعلمها أنَّ الخطيب قد اعتاد في كلّ سنة وفي التاريخ نفسه التحضير لها، أمَّا عن رزنامة الندوات الشهرية والأيام الدِّراسية فجاءت كما يلي:

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة الشؤون الدينية والأوقاف

مديرية الشؤون الدينية والأوقاف — تيسمسيلت في: جانفي 2018م

لولاية تيسمسيلت

رزنامة الندوات الشهرية والأيام الدراسية لسنة:2018م

الرقم	اليوم	التاريخ	عنوان المحاضرة	المحاضر	نوع النشاط والمكان
01	الأربعاء	01/25	دور المسجد في تحصين المجتمع من الأفكار الهدَّامة الوافدة (اللامذهبية–الشيعة–القديانية–النَّصير).	عبد السميع شوال إمام أستاذ –عدة الحيرش إمام أستاذ	ندوات عامة لجميع الموظفين بمسجد أبي بكر الصديق تيسمسيلت
02	الثلاثاء	05/23	النشاط العلمي والروحي خلال شهر رمضان المعظم	محمد شاهد إمام أستاذ	

03	الأربعاء	10/25	البعد الروحي للثورة التحريرية	عيسى فارس إمام أستاذ – ع/القادر حبيس إمام أستاذ	
04	الأربعاء	12/13	مزايا المرجعية الدينية والوطنية وخطر الرسائل والمطويات	عبد العزيز بالصالح إمام مدرس	
05	الأربعاء	02/22	حقوق الطفل في الإسلام	عبد السلام بايشي إمام أستاذ	أيام دراسية للأئمة بمسجد أبي بكر الصديق تيسمسيلت
06	الأربعاء	04/26	المسؤولية في حوادث المرور	حاج جلول جيلالي إ/أ	
07	الأربعاء	09/20	ثمرات تنظيم الزكاة والأوقاف	أمحمد بناني رئيس مصلحة – ع/القادر ولد محمد وكيل الأوقاف	
08	الأربعاء	03/08	التأصيل لمسائل فقهية في المذهب المالكي دعاء القنوت، حمل العصا في المنبر، تحية المسجد في الأوقات المنهي عنها، جلسة الاستراحة.	الصديق غوماري إمام مدرس لرجام	ندوات محلية تكوينية تقام على مستوى مراكز التكوين المستمر
09	الثلاثاء	03/14	//	الصادق عابد إ/م/ب بونعامة	
10	الأربعاء	03/15	//	ع القادر بن عمور إ/أ ثنية الحد	
11	الخميس	03/16	//	بوعلام معمري إ/م/خميستي	
12	الأربعاء	03/22	//	هواري جاوي إ/أ تيسمسيلت	
13	الأربعاء	11/08	رسائل النهوض بالتعليم القرآني	أحمد عمور إ/م لرجام	
14	الثلاثاء	11/14	//	أحمد عميش إ/م ب بونعامة	
15	الأربعاء	11/15	//	محمد صنصال إ/م ثنية الحد	
16	الخميس	11/16	//	بوزيان زميلي إ/م خميستي	
17	الأربعاء	11/22	//	لخضر عاوص إ/أ تيسمسيت	
18	الأربعاء	11/29	حقوق المرأة في الإسلام	إحدى المرشدات الدينية (ندوة خاصة بالمرشدات والمعلمات في إطار الإدماج ومحو الأمية)	مصلى النساء بمسجد أبي بكر الصديق تيسمسيلت

وعلى اعتبار أنَّ موضوع بحثنا يهتمُّ باستظهار الوظيفة الإبلاغية من خلال التدبُّر في دلالة الصَّوت اللّغوي في عينات من خطابات مسجدية، ونظراً لما توفَّر لدينا من خطب مسجلة -فيديوهات- وأخرى منتقاة من المواقع الإلكترونية، إضافة إلى دواوين تمكَّنا من تحليل مقتطفات من ستة عشرة خطبة لأحدى عشر خطيبا من مختلف الأقطار الإسلامية؛ ابتداء بخطباء الولاية الَّتي أقطن فيها انتقينا درسين وخطبتين للسادة الأئمة: (بوخماشة محمد، عبد الكريم عباسي، ساوري أمحمد وزورة بودالي)، ثمَّ توجهنا لتصفح الكثير من الخطب في المواقع الإلكترونية، فانتقينا خطبا لكلٍّ من: (عبد الحميد كشك من مصر، رشيد نافع و عبد الله نهاري من المملكة المغربية، وشوقي أبو حرم من الجزائر)، ومن دواوين الخطباء تخيَّرنا أربع خطب لعبد الرحمن السديس، وخطبتين لأبي بكر جابر الجزائري، وخطبتين لعبد الحميد مهدي.

وأوَّل نموذج إلقائي نعرضه؛ خطبة لسيِّد مفتش الشؤون الدينية والأوقاف، وهو عبارة عن درس في إطار شهر ميلاد خير الأنام عليه الصلاة والسلام؛ أي شريط مسجل بالصَّوت والصورة من قبل أحد الحاضرين من المصلين الذين أوكلت لهم المديرية الحضور في مختلف مساجد الولاية وما جاورها من الدوائر والبلديات التابعة لها، وتسجيل دروس وخطب وحلقات حتَّى لا تخفى على المديرية خافية وحتَّى تُدرج في أرشيفها، وتثمِّن وتميِّز وتصنِّف الأئمة ليدخل في إطار المتابعة والتقييم الَّتي هي من مهام المديرية.

وقد تمكَّنا من الحصول على عدَّة تسجيلات في مختلف المناسبات أثناء البحث عن المادة من مصدرها، وذلك بالاتصال المباشر بالسيِّد المكلف بمهمَّة الحضور والتسجيل السيِّد: "بريان محمد" الموظف بدار الثقافة لولاية تيسمسيلت، غير أنَّه لا يسع المقام الذهاب إليها جميعا-التسجيلات- وإنمّا انتقينا بعض العينات الَّتي تخدم موضوع البحث.

2- مدُّ الصَّوت وتكرار المقاطع الصَّوتية ودلالته الإبلاغية:

يؤدي مدُّ الصَّوت دوراً إبلاغياً مهمّاً؛ يتمثل في تنبيه المتلقي لموضوع الخطبة، وإثارة التفاعل والإصغاء والمتابعة، ويتمُّ ذلك عن طريق أصوات المدّ واللين (الألف أو الواو أو الياء) في آخر المورفيم في الأغلب، كما يَعْمَدُ الخطباء أيضاً إلى تكرار مقاطع صوتية معينة دون أخرى؛ لأهميّتها أو لتثبيتها في أذهان الحضور وتفصيل الحديث حولها، أو للتأكيد على الحرص على فحواها، وما إلى ذلك من مقاصد يروم الخطيب تحقيقها من وراء التكرار، ويحضر بين أيدينا درس ألقاه مفتش الشؤون الدينية والأوقاف "بوخماشة محمد" بمسجد (نعناع أحمد) بعماري أحد الدوائر المجاورة لعاصمة الولاية تيسمسيلت، وجاء فيه:

افتتح الخطيب درسه بـ: ((**عُمَّار** بيوت الله تبارك وتعالى الإخوة الكرام الأولاد من بنين وبنات أهل القرآن جميعا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، **لنا** الشرف، **لنا** الفضل، **لنا** الخير؛ أن نجلس مع إخواننا ومع أولادنا في هذا المكان، في بيت الله تبارك وتعالى.)) [1]

في افتتاحيته هذه تنبيه مباشر لتصغي الأذهان له بتخيره لفظ (عُمَّار) هذا المورفيم الَّذي يهزُّ القلوب ويستثيرها عاطفيا بأوَّل لفظ يتلفظ به؛ صيغة تضفي دلالة الإكثار من حضور حلقات الذكر والتدارس والخطب والصلاة في وقتها جماعة، فهو بهذا خالف الافتتاحيات المتعارف عليها بالبسملة والصلاة والسلام أو بالنداء (يا أو أيها).

وإنَّما (عُمَّار بيوت الله) تجعل لا ريب كلَّ الحاضرين تهفو نفوسهم وتعلوا هممهم ويزداد اعتزازهم وفخرهم أنَّهم المعنيون بهذا الوصف، ناهيك ما يتركه فونيم (العين) الحلقي المجهور الّذي تكرر خمس مرات، واتصاله بالميم المشدَّدة في (عمَّار) الَّتي من صفاتها الغنَّة وتِرددها إحدى عشر

[1]- بوخماشة محمد، مفتش بمديرية الشؤون الدينية والأوقاف، تيسمسيلت، درس حول مكانة أهل القرآن وخاصته، مسجد نعناع أحمد، عماري، تيسمسيلت، الجمعة، 14ربيع الأول 1437هـ/25 جانفي 2016. (الرجوع للقرص المضغوط).

مرة، ومدّ الصَّوت الَّذي يليه راء مفخمة في (عمَّار)، ليتواشج الجهر بالغنة والتفيخم فتكون دلالة الصَّوت اللغوي في أقوى حالاته، فأي جمالية ودلالات روحية توحي بها هذه اللفظة المنتقاة.

ويؤكدَّ على هذه المكانة الطيبة بالتكرار في (**لنا** الشرف **لنا** الفضل **لنا** الخير...) فاللام والنون والراء الَّتي تصنف ضمن حروف الذلاقة تكررت أكثر من تسع مرات، والذلاقة تعني سرعة التلفظ بالحرف لخروجه من طرف اللسان؛ ليجعل لا مكان للشك والريب في سرعة نيل هذه الفضائل لكلّ من يكون قلبه معلقاً بالمسجد، إضافة لصوت التاء المهموس الَّذي تكرر ثماني مرات لإضفاء نسائم الطمأنينة، ويضيف شارحا ومفصلا: ((لنا الشرف وذلك لشرف الزمان، وشرف المكان، وشرف الإنسان، وشرف الكلام؛ شرف الزمان إنَّنا في يوم من أفضل الأيام ألا وهو يوم الجمعة؛ الأيام سبعة أفضلها وسيِّدها هو هذا اليوم يوم الجمعة، خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أُخرج منها ولا تقوم الساعة إلاَّ في يوم الجمعة.

والنبي صلَّى الله وسلَّم أيضا قال: سيّد الأيام يوم الجمعة وأعظمها عند الله، وأعظم من يوم عيد الفطر وعيد الأضحى[1]، لهذا فنحن في شرف الزمان، وهو اليوم وشرف الزمان بالنسبة للشهر وهو شهر ربيع الأوّل يذكرنا **بميلاد نبينا محمدٍ** صلى الله عليه وسلم، شرف المكان إنَّ في بيت الله أفضل الأماكن، أشرف الأماكن، أحب الأماكن إلى الله المسجد، لقول **نبينا محمدٍ** صلى الله عليه وسلم: أحب البلاد إلى الله مساجدها[2]؛ أحب البلاد يعني أحب الأماكن إلى الله ماذا؟ المسجد وأبغض الأماكن إلى الله السوق الأسواق، وإن الله يحب المساجد يعني يحب عمَّارها مثلكم آباء إخوة

[1]- رواه ابن ماجه (1084) . وحسَّنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (2279).
[2]- رواه مسلم (671).

كرام أبناء أولاد كلّكم فرحوا...في بيت الله تبارك وتعالى تغمرنا الملائكة يعني تحفنا الملائكة من كلِّ جهة إلى السماء الدنيا.»[1]

طبقاً لشعاره (خاطبوا النَّاس بما يفهمون) يعمل السيَّد المفتش في هذا الدَّرس على تجسيده ميدانيا، في حضرة جمع من أئمة المساجد، بالإضافة للعامَّة من النَّاس على اختلاف أعمارهم ومستوياتهم وطبقاتهم، فالمصغي لا يجد صعوبة في الاستيعاب والفهم لبساطة ما تخيره من لفظ ليكون في متناول فهوم الجميع؛ مستندا لشواهد ممَّا روي من أحاديث نبوية شريفة لإقناع المستمعين فيما ذهب إليه.

إضافة إلى التكرار بالترادف في (أفضل الأماكن، أشرف الأماكن، أحب الأماكن) وعلى بساطة حديثه يبسِّط أكثر باستفهامه: (أحب الأماكن إلى الله ماذا؟)، ثمَّ بعد أن أكَّد بإجابته أنَّ المساجد هي أحب الأماكن إلى الله، يقدم ما يخالفها من مدلول (وأبغض الأماكن إلى الله السوق الأسواق)، وكلّ ما سبق من شرح ليربط السابق باللاحق؛ أي أنَّه شَرْحٌ لِأوَّل لفظ استفتح به خطابه وهو (عمَّار) يتوصل لتأكيده في قوله: (إن الله يحب المساجد يعني يحب عمَّارها مثلكم..) ونشير إلى توظيف الخطيب لبعض من اللفظ العامي في (بْهَاذْ)، و(لِهِيَّ) من دون أن يطغى على لسانه العامي على حساب الفصيح أو العكس لجلب مختلف الفئات.

وكملاحظة لطيفة تستوقفنا نبرة صوته الملفتة في بعض المقاطع؛ بالأخص عندما يصل إلى **(يذكرنا)** **(بميلاد نبينا محمدٍ)**، (لقول **نبينا محمدٍ**) تمطيط زائد؛ أي مدّ (الياء) و(الألف) أكثر من حركتين:[♦]

-(يذكر**نـــا**= ص ح ح ح ح).

[1]- بوخماشة محمد، مفتش بمديرية الشؤون الدينية والأوقاف، تيسمسيلت، درس حول مكانة أهل القرآن وخاصته، مسجد نعناع أحمد، عماري، تيسمسيلت، الجمعة، 14ربيع الأول 1437هـ/25 جانفي 2016. (الرجوع للقرص المضغوط).

♦- تمَّ تحديد مقدار المدّ استناداً إلى ما هو مسجل صوتيا (الرجوع للقرص المضغوط).

- (بمـيـــلاد = ص ح ح ح – ص ح ح ح ح).

-(نبيِّـنـــــا = ص ح ح ح ح).

كما يُرفق أيضا نبرة صوته بنغمة أشبه ما تكون بلهجة أشقائنا بالمغرب في تنوين (محمدٍ) ينطقها (مُحَمَّدِيِنْ)، تضفي جوا من التناسب الصَّوتي الَّذي تطرب له أذن السَّامع، فبين التنويع في النبر ارتفاعا وانخفاضا استمالة وأثرٌ طيب يتركه خطابه للحاضرين، ولمن يستمع لدرسه مسجلا.

3- الوقفة الاضطرارية لغاية إبلاغية:

يتوقف الخطيب "بوخماشة محمد" في المقام نفسه ليرحب بأحد الملتحقين بالدَّرس، واحد ممن اعتاد المواظبة في بيت الله؛ وهو في هذه الحالة مخيَّر أو بالأحرى كان بإمكانه أن يواصل درسه، غير أنَّ مقتضى الحال ولاستغلال الفرصة للوعظ توقَّف اضطرارا؛ وعرج لحديث آخر باللهجة العامية، ويبدو أنَّ السيِّد مفتش الشؤون الدينية يرى أنَّ اللهجة العامية مناسبة لسياق الموقف فيقوله: ((....الله أكبر سي بلال مرحبا بيك))، تصيب الخطيب بحة وعَبْرة وتذرف دموعه، وهو يستحضر أوَّل موقف جمعه بالحاضر المتأخر في دورةٍ تفتيشية له بمسجد نفسه (نعمان أحمد) بعماري حيث وجده مستلقيا وسط جمع من الأطفال يتدارسون القرآن، فهيئ له أنَّه يلعب والشيخ المعلم (أحمد بن عمري) غير منتبه.

يصف الموقف أنَّ علامات الغضب بدت عليه وبدأ بتأنيب المعلِّم ، وعندما تقدم للطفل فإذ به طفل معاق مشلول عن الحركة ممدود، يصعب عليه أن يجلس كبقية الأطفال، تذرف دموع الخطيب وهو يشيد بهذا الصبي المعاق الَّذي لم تمنعه إعاقته من حضور مجالس الذكر، ثمَّ يغتنمها فرصة وينصح قائلا:

((ينبغي على الإنسان أن يحمد الله على نعمه الشاملة، إنَّا في نعمة عظيمة [يتحدث بعبرة وصوت مبحوح] ها هو هذا الولد قد ابتلاه الله، امتحنه الله، اختبره الله، مع الوالدين مع العائلة مع الأسرة وهم صابرون راضون بقضاء الله وقدره، وها هو الآن يحضر معنا ... وما اجتمع قوم في بيت

من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلاَّ نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»[1]

في هذه الوقفة حسن استغلال الفرصة للنصح والإرشاد، واغتنامها والتعايش معها، مستعينا بالموقف والمقام، ومعتمدا على الأحاديث النبوية الشريفة، وعلى الترادف في المعاني الَّتي تؤدي الدَّلالة نفسها قوله: (ابتلاه الله، امتحنه الله، اختبره الله، مع الوالدين مع العائلة مع الأسرة)؛ حتَّى إذا صعب فهم لفظ ما فهم ما يرادفه، حتَّى تصل الرسالة الإبلاغية لكلِّ الحضور.

4- التلعثم والإخلال بالوظيفة الإبلاغية:

من العيوب الخطابية الَّتي تؤدي إلى رداءة الإلقاء، وإلى الإخلال بالوظيفة الإبلاغية الفافأة والتأتأة اللتان سبق وأشرنا إليهما في فصلنا السابق عند حديثنا عن عيوب النطق، ولعلَّ مرد ذلك لعدم التحضير الجيد أو نقص خبرة الخطيب، أو لربما نقص الكفاءة الَّتي يفترض أن تتوفر في الخطيب، أو لعادة نطقية ملازمة يرجع سببها للبيئة التي تربى فيها الخطيب.

يحضرنا شريط مسجل بالصَّوت والصورة لدرس ألقاه أحد أئمة مسجد (علي بن أبي طالب) بالمعاصم وهي بلدية تابعة لدائرة عماري ولاية تيسمسيلت، يظهر بوضوح لكلِّ حاضر أو مشاهد للشريط ما وقع فيه الخطيب من حبسة تارة، ومن تلعثم ودخول الحروف في بعضها تارة أخرى نحو:

«...**يأ يأ يأ** الإنسان يعرف الأعوام، ويعرف السنين، وكذلك كيف مواقيت الصلاة **بالشمس وبالليل وبالنهار، بِلْـ**..الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ **أَنُ** الله سبحانه وتعالى جعل الليل دائما سرمدا مستمرا، جعل لكم الليل سرمدا، **من إناةٌ**

[1]- بوخماشة محمد، مفتش بمديرية الشؤون الدينية والأوقاف، تيسمسيلت، درس حول مكانة أهل القرآن وخاصته، مسجد نعناع أحمد، عماري، تيسمسيلت، الجمعة، 14ربيع الأول 1437هـ/25 جانفي 2016. (الرجوع للقرص المضغوط).

غير الله يأتيكم بضياء، من أين يأتيك هذا الضياء؟ ومن **أيت** أين يأتيك هذا النور؟ **مَنَايْنَاهْ** غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون...»[1]

يلحظ المصغي للخطيب تلعثمه (يأ يأ يأ)، (بِكْ)، ويلحظ تداخل الحروف (أيت أين)، إضافة إلى عدم نطق اللام بل واستبدالها بالنون في (من إناهْ)، (مناياناهْ) والصحيح (من إله)، كما نلحظ أيضاً الأسلوب الإلقائي غير الملفت في: (الإنسان يعرف الأعوام ويعرف السنين)؟ (كيف مواقيت الصلاة بالشمس وبالليل وبالنهار)؟

هذه الطريقة تنفّر الفئة المثقفة من الحاضرين، وتربك الفئة الأمية؛ ما المقصود الَّذي يروم الخطيب إيصاله لهم؟ بمعنى: هل الخطيب يفّرق بين الأعوام والسنين وله قصد في ذلك؟ أم تكرار بالترادف؟ ماذا يقصد بكيفية مواقيت الصلاة؟ وعندما يقول بالشمس وبالليل وبالنهار؟ معلوم أنَّ هناك ليلاً ونهاراً، فما محلُّ الشمس من القصد هنا؟ مثل هذا النموذج من الخطب لا شك أنَّه يخلُّ بالوظيفة الإبلاغية.

5- كفاءة الخطيب اللغوية والإلقائية ودورها في الإبلاغية:

بحوزتنا نموذجان يمثلان كفاءة خطابية بامتياز على مستوى ولاية تيسمسيلت من خلال إلقائهما الجيِّد هما:شيخ "ساوري أمحمد" بمسجد (الإمام الشافعي) بخميستي أحد الدوائر التابعة للولاية، والشيخ "زورة بودالي" بمسجد (أبي بكر الصديق) بعاصمة الولاية تيسمسيلت؛ حيث يتمتعان بميزات وصفات خطابية تخوِّل لهما كسب حشد من الحضور لتتبع خطبهم كلَّ جمعة، إضافة إلى الحلقات العلمية والدُّروس الَّتي تقدَّم قُبيل صلاة التراويح في رمضان، ودروس وخطب المناسبات على اختلافها، هذا ولا نبخس بقية الخطباء حقهم أو كفاءتهم الخطابية، وإنَّما هما يمثلان وينوبان إن

[1]- درس حول عظمة الخالق، مسجد علي بن أبي طالب، المعاصم، عماري، تيسمسيلت، الجمعة 22 جمادى الأول 1436هـ/13 مارس 2015م. (الرجوع للقرص المضغوط).

حقَّ لنا ولهم ذلك عن زملائهم ونظرائهم في الكفاءة؛ فافتتاحية الشيخ "ساوري" وحدها كفيلة باستمالة الحضور من ما جاء فيها:

((الحمد لله المنعم على عباده بالدين القويم، وهداهم لإتباع سيِّد المرسلين والتمسّك بسنته وأسبغ عليهم من واسع فضله وعظيم رحمته، وأشهد أنَّ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، له دعوة الحقّ، يخرج الحيَّ من الميت، ويخرج الميَّت من الحي، يسبح له الليل إذا عسعس، والصبح إذا تنفس وأشهد أنَّ سيِّدنا ونبيِّنا محمد عبد الله ورسوله، سيِّد المرسلين وقائد الغرِّ المحجَّلين، بلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة، ونصح الأمَّة، وجاهد في الله حقَّ جهاده، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وعلى أصحابه التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين فارحمنا معهم برحمتك يا أرحم الأرحمين...)) [1]

يشدُّ المصغي لخطبته اتزانه وسلامة نطق أصوات لغته، والتنويع في إيقاعات أدائه، يضفي هدوءا وارتياحا وتتبعا باستمتاع، لا يمكن أن تظهره خطبته مكتوبة بقدر ما يظهره الشريط المسجل وما شهده الحضور أثناء إلقائه، فقد كان موضوع خطبته عن الوعي وكيف للمسلم ألاَّ يكون غافلا يُوقعه من هبَّ ودبَّ في أحبال المكر والخديعة، يستمع الحاضر لتنبيّهه ونصحه وهو مستمتع بأسلوبه اللغوي السليم وإلقائه المتناغم.

أمَّا خطيب (أبي بكر الصديق) الشيخ "بودالي" فموضوع خطبته جاء حول حقوق الطفل لعلَّ في اختياره لهذا الموضوع تعايشاً وتوافقاً لما حلَّ بالمجتمع من اختطاف للأطفال، والتنكيل بهم فكانت خطبته غاية في الأهميَّة:

فبعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهل له وعلى رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم وآله وصحبه رضوان الله عليهم بصوت جهوري حسن المخارج ومحقق للصفات قوله: ((إن الله تعالى خلق فسوى

[1]- ساوري أمحمد، خطبة الجمعة حول الوعي، مسجد الإمام الشافعي، خميستي، تيسمسيلت، الجمعة 23 رجب 1439هـ/06 أفريل 2018م. (الرجوع للقرص المضغوط).

فقدّر فهدى، بث في قلوب خلقه المودَّة والرحمة والألفة، نحو ما يريدون وما يرجون، وجعل دينه القيِّم شرائع وأحكاماً، وَهَبَ من خلالها للطفولة حقوقا لم يعرفها الإنسان من قبل، ولم يصل درجتها من بعد، فشريعة الخالق تأتي كجلاله وكماله في العظمة والكمال، لأنَّه العالم بخلقه، الخبير بما يحتاجون وبما ينتفعون، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير.

وهو الَّذي بيده ملكوت كلّ شيء وهو المتصرف وهو المانح وهو الواحد يقول جلَّ وعلا: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾، من أجل ذلك أيُّها الإخوة والأخوات اعتنى الإسلام بالطفل من قبل وجود الطفل، فهيأ له أسرة طيبة...**كلّ ذلك، كلّ ذلك** من أجل تنشئة الطفل بين أبوين كريمين يطبقان شرع الله ويرسمان الطريق السوية للأبناء...إلاَّ أنّ للطفل حقوقاً خاصة دون أن تتوقف عليها واجبات **لماذا؟** لأنَّه ضعيف في وعيه، ضعيف في معلوماته، ضعيف في انفعالاته، ضعيف في كلّ شيء؛ أقلُّ شيء يرضيه أقلُّ شيء يبكيه، ولهذا كان هذا الطفل بحاجة إلى قانون أو إلى دستور يحميه ويحمي حقوقه، ولا نجد أعظم شيء في هذا الكون، أو في هذه المعمورة شيء أعظم من كتاب الله وسنة نبينا صلَّى الله عليه وسلَّم حتَّى يكبر وحتَّى يبلغ أشدَّه...لأنَّ هذا الطفل قد تكفّل الله سبحانه به قبل خروجه من بطن أمه...أباح الإفطار للمرضعة أباح لها أن تفطر وهي حامل حفاظا على هذا الجنين حفاظا على هذا المخلوق الضعيف...فلا يجوز لأيٍّ كان أن يعتدي على هذا الطفل؛ لأنّ الله تبارك وتعالى أخرجه من العدم إلى الوجود، أخرجه من عالم الأرواح إلى عالم الأشباح، ولا يجوز لأيّ كان الاعتداء عليه.

أيُّها الإخوة والأخوات، ينبغي على كلّ أفراد المجتمع أن يتعاونوا على حماية هذا الطفل أن يتعاونوا على هذه البراعم الَّتي لم تزهر، وعلى الزهور الَّتي لم تثمر، فأولادنا هم أكبادنا تمشي على الأرض كما قال العرب، فأطفالنا هم ثمار قلوبنا، ولا يجوز الاعتداء عليهم، لأنَّ الله سبحانه وتعالى حرّم الاعتداء ولا سيما القتل، هذا القتل ...أبشع جريمة فوق هذه الأرض، فمن ارتكبها فإنَّ الله

تعالى أعدّ له عذابا عظيما، يقول تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه.»[1]

موضوع الاهتمام بالأطفال وحمايتهم، وتنبيه وتحذير وترهيب وتخويف كلّ من يعتدي عليهم قضية يجب الإلحاح عليها، في ظل الظروف التي أصبحنا نعيش فيها؛ من اعتداءات على الأطفال وحرق أفئدة الأولياء على فلذات أكبادهم، براعم لا تعي من الدنيا شيئاً، فخطبته هاته مواتية تماما لموضوع العصر في الجزائر خاصةً، موضوع أيقض المضاجع، وأدهش العقول، وحيّر القاصي والداني عن سبب الاعتداء والجرائم في حق الصبية.

فقد أدَّى موضوع هذه الخطبة ما ألقي على عاتق الخطيب من أداءٍ للأمانة وتبليغٍ للرسالة لينتبّه الأولياء لأبنائهم، أمّا من الناحية الإلقائية فلهذا الخطيب براعة إلقائية متميزة؛ تخرج أصوات لغته مسترسلة واضحة بصوت جهوري، وبوتيرة متصاعدة تارة ومتوسطة تارة أخرى إلى هابطة، فقد أعطى كلّ حرف حقه ومستحقه.

تظهر براعة الخطيب الإلقائية في تكرار بعض المقاطع للتأكيد على ما سبق وتطرق له نحو: (كلّ ذلك، كلّ ذلك)، كما ينطق الصوامت والصوائت مرتلة ترتيلا أشبه بتجويده للقرآن الكريم؛ فهو يعطي الحروف المقلقلة حقها ويظهر الغنة في أكمل صورها يمدّ في حروف المدّ واللين وغير ذلك من نحو: (نعوذ بالله **من شرور أنفسنا**) يصل (النون) (بالشين) ليأتي بحكم الإخفاء –إخفاء النون– مع الإبقاء على الغنة؛ أي النطق بالحرف المخفي على حالة بين الإظهار والإدغام مع مراعاة بقاء الغنة في الحرف المخفي ومعلوم أنَّ الغنَّة من الصفات الملازمة للنون، ولها أحكام عند تركيبها مع بقية الحروف.

[1]–زورة بودالي، حقوق الطفل، مسجد أبو بكر الصديق، تيسمسيلت، الجمعة 11 صفر 1438هـ/ 11 نوفمبر 2017م. (الرجوع للقرص المضغوط).

ويدغم الخطيب (النون) في (الفاء) لتقارب مخرجهما (أنفسنا)؛ فالنون تخرج من ذلق اللسان أي طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، والفاء الشفوية أي الشفة السفلى مع رؤوس الثنايا العليا فيدغم الخطيب (النون) في (الفاء) فينطق بالفاء مشدَّدة، ويظهر الخطيب الغنة كاملة في قوله (من يهده الله) و (من يظلل) ينطقها: (ميَّهده) و(ميُّظلل) إدغام بغنة ظاهرة واضحة لكلِّ المستمعين.

ولا يفوت الخطيب الوقوف على الحروف المقلقة في أكثر من موضع نحو (اقْتفى) مخرج صحيح صافٍ لا يشوبه أي لحن جلي كان أو خفياً، ويمدُّ في (الألف) أكثر من حركتين في قوله (وأشهد ألاَّ إله إلاَّ الله) ينطقها (لا = ص ح ح ح ح)، وهذا إن دلَّ على شيء إنَّما يدل على تأثر الخطيب بأحكام التجويد، وتمكُّنه من ناصية اللغة فاكتسب من خلالهما إلقاءً مميزاً صار فيه طبعاً وهذه عيّنات لما أظهره إلقاؤه من ظواهر صوتية وخطابه غني بها.

6- نبر الجمل –دلالة التنغيم وإبلاغيته :

تطرح الشبكة العنكبوتية بين أيدينا كمّاً هائلا من الخطب لخطباء من مختلف البقاع، يسهل على كلَّ متصفح لمحركات البحث أن يستمع في أيِّ وقت شاء، ومكان كان لمن شاء من الخطباء على اختلاف المناسبات والمواضيع المطروقة، لهذا توجَّب علينا أن لا تفوتنا فرصة التنقيب والإصغاء لبعض الخطباء منهم من له صيت في العالم الإسلامي، ومنهم من ذاع صيته بين النَّاس في بلده ومنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر كالشيخ "عبد الحميد كشك" رحمه الله فارس المنابر في كامل الأقطار الإسلامية يصدح بصوته من مسجد الأزهر بمصر.

فقد لفت انتباهنا الطاقة الإلقائية النوعية للشيخ "عبد الحميد كشك"(1933-1996م) هذا الإمام والعالم والدَّاعية الكفيف، يلقب بفارس المنابر، ويعدُّ من أشهر خطباء القرن العشرين في العالم العربي والإسلامي، له أكثر من ألفين خطبة مسجلة، خطب مدة أربعين سنة دون أن يخطئ

مرة واحدة في اللغة العربية[1]، انتقينا واحدة من الخطب المؤثرة الَّتي أبكى فيها الحاضرين موضوعها حول (ما قيمة الدنيا) جاء فيها:

((الحمد لله ربِّ العالمين، **يا رب** أُرزقنا الصَّبر على البلاء، وأُرزقنا الرضا بالقضاء، وأُرزقنا الشكر عند الرخاء، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، اللهم فقهنا في الدين، وزهدنا في الدنيا...وأشهد أنَّ **لا** إله إلاَّ الله، العزُّ كلُّ العزّ في طاعة الله، والذلُّ كلّ الذلّ في معصية الله، قيل لتقي الدين حسن البصري رضي الله عنه يا تقي الدين **أي الأيام عندك عيد؟** فقال رضي الله عنه كلّ يوم لا أعصي الله فيه فهو عيد، **يا تقي الدين، يا تقي الدين أي الأيام عندك عيد؟ أي الأيام عندك عيد؟ يا تقي الدين أي الأيام عندك عيد؟** فقال: كلّ يوم لا أعصي الله فيه فهو عيد.))[2]

تتشابه أغلب الخطب إن لم نقل كلّها بافتتاحية حمد وثناء حسن على الله ورسوله وآله وصحبه وتختتم بالدعاء، غير أنَّ افتتاحية الشيخ كشك رحمه الله بدأ بما اعتاده الخطباء أن يختموا به خطبهم أي بالدعاء بصوت جهوري، ونبرة قوية وثقة ثابتة، ذلك أن قلوب النَّاس تهفوا للمناجاة والدعاء أكثر من أي شيء آخر، بالأخص إن كان خطيبهم قدوتهم، فيعلق قلوب الحضور من الوهلة الأولى بالله دعاءا ورجاءا فيكون الجميع منتبهاً مصغياً يُؤَمِّن.

ومعلوم أن حروف الاستطالة هي حروف المدّ (الألف) و(الياء) و(الواو) ففي [يا رب= ص ح ح ح ح ح ح]، يمدّ في صوت (الألف) أكثر من اللازم؛ ليترك بها صدا يُرهب القلوب ويَبث فيها خشية وخشوعا، كما يمدّ في [لا= ص ح ح ح ح ح ح]، هذا الصائت الطويل الَّذي يمطط فيه ويزيد عن عمدٍ ليس إلاَّ لنفي الألوهية والعبودية لغير الله سبحانه وتعالى، فأدى بذلك هذا الصائت دوره الإبلاغي والبلاغي بيقين لا ريب فيه.

---

[1]- ينظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/عبد_الحميد_كشك.

[2]- أجمل خطب الشيخ كشك المؤثرة الَّتي أبكى فيها المصلين –ما قيمة الدنيا- تاريخ الإضافة: 04 أكتوبر 2015م https://www.youtube.com/watch?v=tUJrwJXQCKE

هذا وإنَّ توظيف النغمات الصاعدة بصوت قوي شديد يزيد من قوة إلقاءه، ويصل ثناءه ودعاءه لله عزَّ وجلَّ مباشرة بشاهد فيه استفهام، مع تكرار استفهامه قوله: (يا تقي الدين، يا تقي الدين أي الأيام عندك عيد؟ أي الأيام عندك عيد؟ يا تقي الدين أي الأيام عندك عيد؟) تكرار النداء للشخص نفسه (يا تقي الدين)، والاستفهام بالأداة (أي) المرة بعد المرة، وذلك كون الخطيب كفيف يحاول تعويض النقص الذي يعانيه (فقدان البصر) بالتكرار ورفع الصَّوت، فهو لا يستطيع أن يرى ملامح من حوله ليعرف وقع كلامه، إضافة إلى أنَّه يريد تأكيد وتثبيت الإجابة في أذهان الحضور، فأيُّ تأثير تركه في الحضور، وأي رباطة جأش يتمتع بها خطيبنا، هذا والباقي أكثر إقناعا وتأثيرا ومفاده:

((**ابن آدم، ابن آدم،** (إذا المرء لم يلبس ثيابا من التُّقى تقلب عريانا ولو كان كاسيا♣)

وخير لباس المرء طاعة ربِّه، ولا خير فيمن كان عاصيا...أيّها الموحدون مَنْ الواحدُ؟ مَنْ الواجدُ؟ مَنْ الماجدُ؟ مَنِ الرحمنُ؟ مَنِ الرّحيمُ؟ مَنْ علَّم القرآن؟ مَنْ خلق الإنسان؟ مَنْ علَّمه البيان؟ مَنْ جاعلُ الشمس والقمر بحسبان؟ مَنْ له النجم والشجر يسجدان؟ من الذي رفع السماء ووضع الميزان؟ مَنِ الملك؟ مَنِ القدوس؟ مَنِ السّلام؟ مَنِ المؤمنُ؟ مَنِ المهيمنُ؟ مَنِ العزيز؟ مَنِ الجبار؟ مَنِ المتكبر؟ مَنِ الخالق؟ مَنِ البارئ؟ مَنِ الغفار؟ مَنِ العزيز؟ مَنِ الحكيم؟؟؟..))[1] يرد الحضور عن كلّ استفسار الله الله الله...ولا ينفك من حين لآخر يقول: (وحدوا الله) ويكررها فيرد الجمع (لا إله إلاَّ الله).

لا يمكن أن نجد في مشارق الأرض ومغاربها من الخطباء من يشاركه الحاضرون في خطبه بهذا التفاعل والانفعال أكثر من الشيخ "كشك" رحمه الله، فردُّ الحضور يهزُّ أركان المسجد بصوت واحد (الله)، وطرحه لأسئلة متتالية دون انقطاع صوت أو سكتة، أو وقفٍ وابتداء لأخذ النَّفس، فقد ذكر أسماء الله الحسنى كلّها دون فاصل تواشجت لتجعل الحاضر في المسجد يعيش جو الخطبة بكلِّ

♣- بيت لأبي العتاهية من قصيدته (ركنّا إلى الدنيا الدنئة ضلّة) في الزهديات.

[1]- أجمل خطب الشيخ كشك المؤثرة الَّتي أبكى فيها المصلين –ما قيمة الدنيا- تاريخ الإضافة: 04 أكتوبر 2015م https://www.youtube.com/watch?v=tUJrwJXQCKE

وجدانه، هذا عدا عن لازمة إن جاز لنا القول يوظفها كلَّما أراد تهدئة الجو الانفعالي قوله: (وحدوا الله)، فيرد الحضور (لا اله إلاَّ الله) ويهدأ الجو قليلا.

وفي المقام ذاته خطبة للشيخ الدكتور"رشيد نافع" خطيب مسجد الرباط بالمملكة المغربية هذا الأخير الَّذي حباه الله بنبرة حادة تبدو فيها عصبية الغيرة على الدين وعلى الأمَّة الإسلامية، له خطب كثيرة لا يخشى فيها لومة لائم، تخيرنا خطبة موضوعها قريب من موضوع الشيخ "كشك "رحمه الله، يتحدث فيها عن المبادرة بالعمل قبل الأجل، ومن بعض ما جاء فيها: ((...**ما فائدة الحياة الدنيا إن لم نملأها بطاعة الله؟!** والعمر قصير، والأجل قريب، وقد يفاجئنا الموت في كلِّ لحظة، لأنَّ من عناصر الموت المهمَّة الفجاءة، موت الفجاءة، وقد كثر موت الفجاءة، وقد جعله النبي صلى الله عليه وسلم من علامات الساعة...وإنَّ الناظر إلى كتاب الله والسنة يجد أنَّ باب الأعمال الصالحة كبير ومتنوع، وكلّ واحد منا يستطيع أن يغرف ما يشاء من الأعمال الصالحة **والأعمال الصالحة لماذا هي متنوعة؟** لأنَّك إذا أقمت على عمل واحد ربما تسرَّب إليك الكلل والعجز والسأم، لكنك تنتقل من رياض إلى رياض، ومن بستان إلى بستان، ومن عمل إلى آخر، والله عزَّ جلَّ رتّب على هذه الأعمال الجزاء الجزيل، والخير الوفير، والثواب العميم...))[1]

يبدو لقارئ هذا المقتطف أنَّه مقطع بسيط عادٍ، غير أنَّ الحاضر في المسجد والمشاهد لشريط الخطبة أكيد له نظرة غير هذا، فالإلقاء الخطيب خصوصية لا يمكن أن تظهرها الكتابة مهما تنوعت خطوطها، وأبسط مثال على ذلك الاستفهام التعجبي الَّذي يظهر في علامة الاستفهام، بينما يتجلى بوضوح تام في نبرة صوت الخطيب له فائدة إبلاغية مهمَّة؛ تفتح المجال للمتلقي ليسأل نفسه فعلا ويحاورها ويتوصل للإجابة قبل أن ينطق بها الخطيب، نحو: (ما فائدة الحياة الدنيا إن لم نملأها بطاعة الله؟!).

[1]- رشيد نافع، خطبة جمعة، بادر بالعمل قبل الأجل، (2018/01/12)
https://www.youtube.com/watch?v=6Y2ylj14NFw

يلفت انتباه الحضور لسعة رحمة الله بعباده، وسبق علمه بأحوالهم وأهوائهم فيوسع وينوع سبحانه وتعالى في الطاعات، يطرح "رشيد نافع" سؤالاً وجيهاً: (والأعمال الصالحة لماذا هي متنوعة؟) يتبيّن من الإجابة على السؤال رحمة الله بعباده، فيشرح ويفصل ويستنهض الهمم للمنافسة في نيل الدرجات العلا في جنات النعيم قبل فوات الأوان.

ومن طرائف الخطب وحذاقة الخطيب وبراعة إلقائه كيفية تخير الأسئلة بتعجب تارة وبِشِبْه تحير واستنكار تارة أخرى، إن لم نقل استخفافاً وتهكماً نحو خطبة لشيخ "عبد الله نهاري" يتحدث فيها عن برِّ الوالدين هذا مقتطف من خطبته: ((أقول بتوفيق الله تعالى من خيرات البرّ أن ينال الابن دعاء الأبوين، فدعاء الأبوين للأبناء مستجاب، أنت تأتي إليَّ وتقول أدع الله لي!! هل لك والدان؟ أتركت والديك؟ **أتركت من دعاءه مستجاب مئة بالمئة لك وجئت تبحث عن دعاءٍ لك عند النَّاس؟! أليس لك عقل؟! أين ذهب عقلك؟! أين ذهب عقلك يا مسلما؟!...**))[1]

هذا بعض من خطبة هذا الخطيب الّذي أصبحت خطبه متداولة في مواقع الشبكة العنكبوتية بانتشار واسع، نظرا لعصبيته الزائدة لدرجة يضرب بعصاه المنبر حتّى يكاد يحطمه من كثرة انفعاله وصدق لهجته الثائرة، ويتجلى في هذا المقتطف استغرابه وحيرته الَّتي يطرحها باستفهام وتعجب واستغراب مثير، تظهره نبر جمله صعودا تارة وهبوطا أخرى فتبدو لغته فيها نوع من السخرية والتهكم، ولعلّه أسلوب خاص به ليخالف ويتميز عن غيره من الخطباء، فيستقطب المصلين بطريقته للحضور للمسجد الذي يؤمُّ فيه وتتبع خطبه ودروسه.

7- توظيف الشواهد ودورها في التأثير والإقناع:

يوظف الشيخ "كشك" في خطبته عن قيمة الدنيا شواهد شعرية، وأحاديث نبوية شريفة وآيات قرآنية غاية في الاستمالة ولفت للانتباه، وجذب الألباب منها:

[1]- عبد الله نهاري، خطبة جمعة عن بر الوالدين، تاريخ الإضافة: 12 جوان 2017م
https://www.youtube.com/watch?v=5ReJqKbHW7U

((النَّفسُ تأبَى أنْ تكونَ فقيرةً والفقرُ خيرٌ منْ غنَى يطغيهَا

فغنىَ النفوسِ هوَ الكفافُ فإنْ أبتْ فجميعُ مَا فِي الأرضِ لاَ يكفيهَا

اسمع إلى ما قاله سيِّد العالمين يقيم مملكة الرُباَ فيقول: اِرضَ بما قسَّمه الله لك تكن أغنى النَّاس[1]، **ارض بما قسمه الله لك تكن أغنى النَّاس**...﴿مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبَكَ قَوْلُهُ فِيْ الحَيَاةِ الدُنْيَا وَيُشْهِدُ الله عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ﴾.

ماذا **ماذا** حدث؟ هي القناعة فاحْفَظها تكن مِلِكاً ولو لم يكن لك إلاَّ راحة البدن، وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن؟ **ارض ارض** بما قسم الله لك تكن أغنى النَّاس **تكن أغنى النَّاس**.

رأيتُ النَّاسَ قدْ مالوُا إلى منْ عندَهُ مالُ ومنْ لاَ عندَهُ مالُ فعنْه النَّاسُ قدْ مالوُا

رأيتُ النَّاسَ قدْ ذهبوُا إلى منْ عندَهُ ذهبُ ومنْ لاَ عندَهُ ذهبُ فعنهُ النَّاسُ قدْ ذهبوُا

رأيتُ النَّاسَ منفضَّة إلى منْ عندَهُ فِضَّة ومنْ لاَ عندَهُ فِضَّة فعنهُ النَّاسُ منفضَّة

...﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾...ما قيمة الدنيا؟ ما قيمة الدنيا؟ **إذا حَلَتْ أَوْحَلَتْ، وإذا كَفَتْ أَوْكَفَت، وإذا جَلَتْ أَوْجَلَتْ، وإذا أيْنَعَت نَعَتْ، إذا أيْنَعَتْ نَعَتْ.**

كم من قصور تبنى ولا تبنى، وكم من مريض أدنى ما أدنى، وكم من ملك رُفِعَتْ له علامات فلما علا مات، **كم من مَلِكٍ رُفِعَتْ له علامات فلما علا مات**، كلّ من عليها فانٍ، **كل من**

[1]- رواه الترمذي (2342)، وحسنه الألباني رحمه الله تعالى في صحيح سنن الترمذي رقم (1867).

عليها فانٍ، كل من عليها فانٍ، ويبقى وجه ربِّك ذو الجلال والإكرام، فبأي آلاء ربكما تكذبان وحدووه، **وحدووه، من الباقي؟ من الدائم؟ من الملك؟ من الحقّ؟؟؟..**»[1]

يستند الخطيب إلى تكرار مقاطع صوتية وسلاسل فوق مقطعية نحو: (ارض بما قسمه الله لك تكن أغنى النَّاس) (ارض ارض)، (كم من ملك رفعت له علامات فلما علا مات كم من ملك رفعت له علامات فلما علا مات، كلّ من عليها فان، كلّ من عليها فان)، ويمدّ الخطيب الصوائت في المدود اللازمة حسب ما يقتضيه موضوع خطبته لبثِّ القناعة والرضا بما قدَّره الخالق لخلقه، وأنَّها دنيا فانية زائلة لا بقاء لملك فيها مهما بلغ به حكمه وسلطانه، فتكرار هذه المقاطع بالذات ومدّ الصَّوت في ثنايا مصوتاتها أدَّى لا شكَّ الوظيفة الإبلاغية المنوطة بهذا الصَّوت اللغوي الذي يصيح بالنَّاس القناعة القناعة إنَّها فانية.

يُكثر الخطيب من الثناء على لله عزَّ وجل بطريقته المميزة، وذلك بذكر جميع أسماء الله الحسنى وصفاته العليا بطريقة استفهامية رائعة ليشارك الحضور معه مرة أخرى ردا وتجاوبا، هذا ناهيك عن القيمة الأدبية الرفيعة الَّتي طرحها كشواهد مبثوثة هنا وهناك للإحاطة بعقول الحضور إقناعا وبأفئدتهم تأثرا واستمالة، وتتمثل هذه الشواهد فيما وظفه من أبيات شعرية قمَّة في الروعة تختصر الكثير من الكلام، وآيات قرآنية، وحكم وعبر تصب في نفس الوعاء الوعظي والتوجيهي.

هذا وللتطريز اللفظي إيقاعه المميز فهو أشبه ما يكون بالتصريع وبالجناس وبالتشاكل اللفظي في قوله (إذا حَلَتْ أَوْحَلَتْ وإذا كَفَتْ أَوْكَفَت، وإذا جَلَتْ أَوْجَلَتْ، وإذا أَيْنَعَت نَعَتْ) زاد من القيمة اللغوية للخطبة، وأظهر الكفاءة اللغوية والأدبية والخطابية للخطيب، فكلّ ما ذكره من شواهد يختصر قيمة الدنيا، بهذا تصل الرسالة الإبلاغية لمختلف الفئات الحاضرة فإن غاب عن فهومهم شاهد فهموا غيره.

[1]- أجمل خطب الشيخ كشك المؤثرة الَّتي أبكى فيها المصلين –ما قيمة الدنيا- تاريخ الإضافة: 04أكتوبر 2015م https://www.youtube.com/watch?v=tUJrwJXQCKE

8- الفواصل الصَّوتية ودلالتها الإبلاغية:

يترك التناسب والتآلف الصَّوتي بين الجمل في افتتاحية فارس المنابر بالجزائر الشيخ: "شوقي أبو حرم" خطيب مسجد الأمير عبد القادر بقسنطينة صدى وإيقاعا تطرب له الآذن، وتشدّ له الأذهان ويستميل به القلوب، وكأنَّنا به ينشد قصيدة نثرية بل أبياتاً مسطورة مقفاة قوله:

«الحمد لله الَّذي أنشأ وبرى، وخلق الماء والثرى، وأبدع كلّ شيء وذرى، ولا يغيب عن بصره صغير النمل في الليل إذا سرى، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السما، له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، وإن تجهر بالقول فإنَّه يعلم السِّر وأخفى، الله لا إله إلاَّ هو له الأسماء الحسنى.

خلق آدم فابتلاه، ثمّ اجتباه، ثمّ تاب عليه وهدى، وبعث نوحا فصنع الفلك بأمر الله فجرى ونجَّى الخليل إبراهيم من النَّار فصار حَرُّها بردا وسلاما، فاعتبروا بما جرى، وأتى موسى تسع آيات فما ادكر فرعون وما وعى، وأيَّد عيسى بآيات تبهر الورى، وأنزل القرآن على محمّد فيه البيِّنات والهدى.

أحمده سبحانه على نعمه الَّتي لا تزال تترى، وأشهد أنَّ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له **أضحك وأبكى، وأمات وأحيا، وأغنى وأقنى**، وأشهد أن سيِّدنا ونبيَّنا وعظيمنا وقائدنا وقدوتنا ومعلمنا محمّد عبد الله ورسوله المبعوث في أم القرى، أبهى من البدر في ليلة التمام، وقُل أسخى من البحر، بل أرسى من العَلَمِ أصغى من الشمس في نطقٍ وموعظةٍ، أمضى من السيف في حُكم وحَكم...»[1]

إنَّ لترداد الألف المقصورة دلالة صوتية معنوية وأخرى شكلية؛ حيث يترك هذا المرفيم انسجاماً وتآلفاً صوتياً أشبه بالفواصل في آيِّ القرآن الحكيم، أو بالروي في القصيدة من الشعر فهذه

[1]- فارس المنابر في الجزائر –الشيخ شوقي أبو حرم –مسجد الأمير عبد القادر، عنوان الخطبة : رسالة المسلم في الحياة، تاريخ الإضافة: 08 ماي 2013م، https://www.youtube.com/watch?v=nYklVUF3Zgc

الفواصل الصوَّتية تركت نغمات متتالية ومتناسقة تطرب لسماعها الأذن، كما جمع الخطيب بأسلوبه الجميل وتصويره المبين قدرة وقوة وعلم وحكمة الخالق المبدع سبحانه وتعالى فأحسن الحبك والسَّبك في عبارات وجيزة ومعاني فريدة وعظيمة؛ في تصوير معجزات الله سبحانه وتعالى الَّتي أيَّد بها رُسله.

كما استعان بالتضاد اللفظي في: (أضحك وأبكى، وأمات وأحيا، وأغنى وأقنى)، فاستحضار اللفظ ونقيضه لتأكيد المعنى وتثبيته، وجاءت هذه اللوحة الفنية مزخرفة من دون إخلال بالمعنى المراد وهذا يُظهر لا ريب الكفاءة اللّغوية وتميّز الخطيب عن غيره، ممَّا يسهل عليه طرح موضوعه واستثارة المصلين بكلّ ثقة وتمكُّن من ناصية القول ليؤدي وظيفته الإبلاغية بكلّ نجاح تأثيرا وإقناعا.

هذا وفي مسيرتنا البحثية عن دواوين لخطباء لهم باع وصيت إسلامي إن لم نقل عالمي، دونوا خطبهم على مدار ما تداول عليهم من مناسبات خلال سنين قضوها فرسانا للمنابر منهم من قضى نحبه ومنهم من لا يزال صوته يهز المنابر ويخطف الألباب، نذكر من هذه الدواوين: الفواكه الشهية في الخطب المنبرية لعبد الرحمن بن ناصر السّعدي، خطب الجُمع والأعياد ألقيت على منبر خير العباد لعبد الله بن محمد بن زاحم إمام وخطيب بالمسجد النبوي الشريف، الخطب المنبرية في المناسبات العصرية لصالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الفواكه الجنية في الخطب والمحاضرات السَّنيّة لأبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، وميض من الحرم خطب ومواعظ من المسجد الحرام لسعود بن إبراهيم بن محمد الشريم...

وقد تخيَّرنا (كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة) لعبد الرحمن بن عبد العزيز السديس؛ خطيب الحرم المكي، فأيُّ مسجد وأيُّ بيت من بيوت الله يصدح بصوته؟ في خير بيت وضع للنَّاس للّذي ببكة، وقع اختبارنا له عن قصد للأسباب التالية:

- عنوان الكتاب المثير والمشير إلى أنَّه يحوي خطبا من النوع الرفيع الكاملة الحبك والسَّبك.
- قداسة المكان الَّذي ألقيت فيه هذه الخطب.

- اختلاف الأمم والأجناس والطبائع والفئات والأوضاع المعيشية وحتَّى القضايا المحلية، مما يتوجب على الخطيب أن تكون خطبته شاملة لأمهات القضايا الَّتي يلتقي فيها الجميع؛ أي أمر الأمة الإسلامية جمعاء.
- فهرس موضوعات هذه الكوكبة تفتح الشهية لتصفحها؛ فقد تخيَّر اللفظ تخيُّرا، حيث حوت عناوين خطبه رغم إيجازها أبعادا دلالية وإيحاءات غاية في الجمال والإبداع والمرام، نذكر منها:[1]
  - ✓ نهل وارتشاف من معين سورة (ق).
  - ✓ يوم إنابة وساعة إجابة.
  - ✓ يا باغي الخير أقبل.
  - ✓ نثر العقيق وصايا لحجاج البيت العتيق.
  - ✓ الخصلة الذميمة المشي بالنميمة.
  - ✓ النداء الحاني إلى النصف الثاني.
  - ✓ قضايا المسلمين والأقصى إلى أين؟
  - ✓ لوعة الضمير على قضية كشمير.
  - ✓ آثار المعاصي والذنوب على المجتمعات والشعوب.
  - ✓ القول المحجَّل في سيرة الإمام المبجَّل.

فقد حملت عناوين موضوعات خطبه توازنات وتجانسات صوتية وإيقاعات ملفتة، من دون إخلال بالمعنى، مع فتح أفق توقع القارئ لخطبه وما يودُّ تبليغه لنا من خلال ما تثيره فينا من استمالة أمَّا الحاضر فهو الأوفر حظا يتلقى هذه الخطب عن قرب ومن منبعها مباشرة، إضافة إلى قداسة وفضل الحرم المكي عن سائر المساجد.

[1]- عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، ص: 748-752.

لا يسعنا المقام ولا المقال الذهاب إليها جميعاً وتحليلها تحليلاً صوتياً لصبر أغوار الوظيفة الإبلاغية فيها، وإنَّما تخيرنا منها: يوم إنابة وساعة إجابة، عن الموقعين عن ربِّ العالمين، القول المحجَّل في سيرة الإمام المبجَّل، وقضايا المسلمين والأقصى إلى أين؟ وحتَّى لا تفوتنا فرصة التنويع في عرض الخطب المدونة نكتفي بعرض مقتطفات تخدم موضوع بحثنا من هذه الرباعية الَّتي تخيرناها، لنعرج بعدها لعينات خطابية أخرى مدونة.

9- استمالة الحاضرين بحسن التدرج في العرض:

خصَّص "عبد الرحمن السديس" حديثه عن أفضل الأيام والساعات على الإطلاق، في خطبته التَّي وسمها (يوم إنابة وساعة إجابة)؛ فبعد أن حمد الله وأثنى عليه أشار إشارات خاطفة في افتتاحيته ليعلم كلّ لبيب حول ماذا يدور موضوع الخطبة، ومعروف على الشيخ حسن افتتاحياته وتميزها، مما ينبأ بذكائه ونظرته الثاقبة وتمكنه من ناصية اللغة، وبيان بعضٍ مما حوته خطبته من حركات وسكنات وألفاظ وعبارات متسلسلة تصاعديا من الناحية الدَّلالية –التدرج في طرح الموضوع– قوله:

((عباد الله، لقد منَّ الله علينا –معشر المسلمين– بيوم عظيم، وموسم كريم، وفضَّله على سائر الأيَّام وجعله يوم اجتماع للمسلمين وهدى الله إليه هذه الأمَّة واختصها به، وأضلَّ عنه سائر الأمم؛ ففي ((صحيح مسلم)) أنَّه صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «أضلَّ الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السَّبت، وللنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة».)) [1]

المصغي إليه تدفعه الغنة المكررة بين اللفظة واللفظتين من خلال ترداد (الميم) أكثر من عشرين مرة إلى الإصغاء، فالحاضر يدرك ذلك من خلال ما يتركه صوت (الميم) من أثر سمعي والقارئ لخطبته يسهل عليه إحصاء عدد مرات ترددها، وقبل أن يصرِّح الخطيب بهذا اليوم المبارك يأتي بحديث نبوي شريف يثير به الفضول أكثر، ويرفع فحوى الحديث اللبس والاستفهام عن اليوم

[1]– عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، ص :204،205. (الملحق:191-196).

المقصود بأنَّه يوم إنابة وفيه ساعة إجابة، بعد أن تعرَّف المستمع/القارئ عن اليوم المقصود يتجه الخطيب للتعريف به وبمزاياه وخصائصه الَّتي فُضل بها عن سائر الأيام قوله:

((أيُّها الإخوة المسلمون، إنَّ من أهمِّ خصائص يوم الجمعة أنَّ الله سبحانه شرع لنا فيه اجتماعا عظيما لأداء صلاة الجمعة؛ فحضور هذه الصَّلاة فرض عين على كلّ مسلم توفَّرت فيه الشُّروط، وانتفت عنه الموانع وإظهار العبودية لله وحده، ولِمَا له من الآثار في حياة المسلمين وعلى المجتمع الإسلامي بعامَّة.))[1] في حديثه هذا بيان أفضلية يوم الجمعة عن سائر الأيام ليصبح فرضا على كلّ مسلم، وبيان أهميَّة الخطب المسجدية في اجتماع المسلمين مرة كلّ أسبوع الَّتي تكفل للخطيب أن يؤدي الوظيفة الإبلاغية ويستثمر ما تيسر بين يديه من حجج وشواهد لترك الأثر الطيب، والتوجيه الصائب.

ففي ((هذا مشهد رائع، ومظهر عظيم تتجلَّى فيه صورنا ناصعة من وحدة المسلمين وتلاحمهم، وقوة تعاطفهم، وإخائهم وترابطهم، يلتقون في بيوت الله جلَّ وعلا، وعلى بِسَاطة طاعته يتحسَّسون مشكلاتهم وينظرون في آلامهم يقوى إيمانهم، وتصقل قلوبهم، وتزيد طاعتهم، ويتحرَّك فيهم الشُّعور للإسلام، وترِقُّ قلوبهم لما يسمعون من الذِكر والعلم والمواعظ، عبر الدَّرس الأسبوعي المهمِّ في خطبة الجمعة؛ فيجدُّون في إصلاح أوضاعهم، وتحسين أحوالهم لأنَّهم يسمعون ما يقرِّبهم إلى الله؛ من تذكير بواجب في جوانب العقيدة والعبادة والأخلاق والتَّربية، وما إلى ذلك أو تحذير من منكر في هذه الجوانب، أو علاج لقضية أو مشكلة اجتماعية، أو سواها، أو سماع ما يقرِّب إلى الآخرة ويدفع إلى العمل لها؛ فيبقى أثر هذا الدَّرس في نفس المسلم على مدار الأسبوع، وتظهر ثماره جليَّةً في واقعه وتعامله مع مجتمعه؛ حيث تمثِّل انطلاقةً كبرى للعمل البناء والإصلاح الجادِّ.))[2]

[1]- عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة ، ص:205. (الملحق:208-213).
[2]- المصدر نفسه، ص:206. (الملحق:191-196).

لخَّص "السديس" وظيفة الخطاب المسجدي والغاية الَّتي ينبغي للإمام أن تكون نصب عينيه ويجتهد جهده في تحصيلها، لاستمالة الحاضرين وتحبيبهم لهذا اليوم وفضله؛ فيأتي بالأحاديث النبوية الَّتي تطرق القلب قبل الأذن للترغيب تارة وللترهيب تارة أخرى، كرسالة إبلاغية منه لتاركي هذا الفرض الَّذي خصَّ الله سبحانه وتعالى به الأمَّة الإسلامية.

((روى الإمام مسلم في ((صحيحه))، من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «من توضأ فأحسن الوضوء ثمَّ أتى الجمعة فاستمع وأنصت–غُفر له ما بينه وبين الجمعة، وزيادة ثلاثة أيَّام، وفي ((صحيحه)) –أيضا– عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «الصَّلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر.»

كما ورد الوعيد الشَّديد، والتَّرهيب، على من تساهل في هذا الواجب العظيم، ولم يرفع به رأسا؛ ففي ((صحيح مسلم))؛ أنَّه –عليه الصَّلاة والسَّلام– قال على أعواد منبره: «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات، أو ليختمن الله على قلوبهم، ثمَّ ليكوننَّ من الغافلين.»، وفي حديث آخر أنَّه صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «من ترك ثلاث جمع تهاونا، طبع الله على قلبه.» وفي رواية: «فهو منافق»)).[1]

لا يمكن أن يؤدي الخطيب الرسالة التبليغية من دون استحضار شواهد تكون حجة له، ذلك أن الترغيب في أمر ما طمعا في الخير الوفير من وراء تطبيقه، والترهيب والتخويف خشية المهالك المنجرة من المخالفة وعدم الانصياع له، فكلّ أمر دعا إليه –صلَّى الله عليه وسلَّم– هو في صالح أمته وأيّ أمر نهى عنه لدرء الضرر المتوخى من ورائه، وهو تماما ما بيَّنه الخطيب بكلِّ وضوح، ثمَّ يضيف موجها للأعمال والطاعات المحببة في هذا اليوم:

[1]– عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، كوكبة الخطب المنيفة في منبر الكعبة الشريفة، ص: 207. (الملحق:191–196).

((ومن ذلك: الإكثار من العبادة والذِكر، وقراءة القرآن والدُّعاء بغية إدراك ساعة الإجابة ففي ((الصحيحين))؛ أنَّه صلَّى الله عليه وسلَّم ذكر الجمعة، فقال: «فيه ساعة لا يُوافقها عبد وهو قائم يصلِّي يسأل الله شيئا، إلاَّ أعطاه إيَّاه.» وقد روى مسلم-رحمه الله- في ((صحيحه))؛ أنَّها «ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصَّلاة.» وقال كثير من العلماء: إنَّها آخر ساعة من يوم الجمعة.))[1] إضافة إلى المحببات من الطاعات في هذا اليوم المبارك، يقدم "السديس" أحاديث نبوية شريفة تقرب للسامع/القارئ الساعة الّتي يستجاب فيها الدعاء ليتحراها المؤمن ولا يغفل عنها لينال الرجاء والمراد في الدارين، ومسك ختام خطبته الأولى قوله: ((فاتَّقوا الله —عباد الله- واعرفوا لهذا اليوم العظيم مكانته وحرمته، واعْمُرُوُهُ وسائر الأيَّام بالعمل الصَّالح؛ تكونوا من المفلحين.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُواْ إِذَا نُوْدِىَ لِلْصَّلاَةِ من يَوْمِ الجُمُعَةِ فَاسعَواْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوْا البَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(9) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلواةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وابْتَغُواْ مِن فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا الله كَثِراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(10)﴾[الجمعة]. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرَّحيم.))[2]

إنَّ الترتيب المتدرج الَّذي اتبعه "السديس" في خطبته ترتيب مثير للفضول لمزيد من الإصغاء فيه بيان لأهميَّة الموضوع، ثمَّ ترغيب وحثٌّ يرافقه تخويف وترهيب، يردفه ببيان المحببات من الأعمال في هذا اليوم، والمنكرات والمكروهات، ثمَّ ساعة الإجابة الَّتي جعلها الله سبحانه وتعالى في هذا اليوم من كلّ أسبوع، لا يسعنا المقام ها هنا لنذهب إلى خطبته كاملة، واكتفينا بهذه العينات لنوضح ما للخطاب أو الخطب المسجدية من مزايا وغايات ومرام، ولنستوضح الدَّور الخطير والأمانة الملقاة على عاتق الإمام الخطيب في أداء الوظيفة الإبلاغية على أتمِّ وجه، فتكون بذلك هذه الخطبة عينة نسبر أغور الوظيفة الإبلاغية فيها إضافة إلى بيان ما سبق.

[1]- عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، ص :208. (الملحق:191-196).
[2]- المصدر نفسه، ص: 212. (الملحق:191-196).

10- حسن الافتتاح ودلالته الإبلاغية:

سبق وأن أشرنا إلى تميز "السديس" بحسن الافتتاح الَّذي ينبئ بالمهارة الخطابية؛ ففي خطبته الَّتي عنونها (قضايا المسلمين والأقصى إلى أين؟) بدأها بـ: ((الحمد لله الواحد القهَّار، العزيز الغفَّار أحمده تعالى على نعمه الغزار، وأشكره سبحانه على فضله المدرار، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له الملك الجبَّار، له الخلق كلُّه، وله الأمر كلُّه، وكلُّ شيء عنده بمقدار، وأشهد أنَّ نبيَّنا وحبيبنا محمَّدا عبد الله ورسوله المصطفى المختار؛ فهو خيارٌ من خيار من خيار-صلَّى الله عليه وسلَّم- وعلى آله وصحبه الأبرار، المهاجرين منهم والأنصار والتَّابعين الأخيار، الَّذين لزموا السُّنَّة والآثار صلاة وسلاما تامَّين كاملين متعاقبين ما تعاقب اللَّيل والنَّهار، ونسأل الله أن نكون ممَّن تبعهم بإحسان فرضي الله عنهم، ورضوا عنه، وأعدَّ لهم جنَّات تجري من تحتها الأنهار.))[1]

أمَّا افتتاحية الخطبة الثانية فجاءت: ((الحمد لله بارك حول المسجد الأقصى، وأقصى من أعرض عن عبادته واستقصى، وأشهد أن لا إله إلاَّ اله وحده لا شريك له، أمرنا بالتَّمسك بالدين وأوصى، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّدا عبد الله ورسوله، بلَّغ رسالة ربِّه فما ضلَّ ولا استعصى، صلَّى الله وبارك عليه وعلى من تبع ملَّته وتمسَّك بسنَّته واستوصى وسلَّم تسليما كثيرا.))[2]

ولنتمعن أيضا في افتتاحية (إلى الموقعين عن ربِّ العالمين) قوله: ((الحمد لله فالق الإصباح وفارق أهل البغي من أهل الصَّلاح، المنزَّه في عظيم عليائه عن مشابهة الأرواح، ومشاكلة الأشباح وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، شهادة زاكية الأرباح، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّدا عبد الله ورسوله، أرسله والحرمات تستباح، وحزب الكفر قد عمَّ الفجاج والبطاح، فلم يزل صلَّى الله عليه وسلَّم يرشد إلى الحقِّ بالحجج الوضاح و**سمهريَّة** الرِّماح، حتَّى ظهر دين الله وسرى في الآفاق سريان الرِّياح، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وأزواجه ومحبِّيه ما أزال الظُّلم **الحنادس**، ضوء الصَّباح

[1]- عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، ص :507. (الملحق:197-202).
[2]- المصدر نفسه، ص :516. (الملحق:197-202).

صلاة نحوز بها أعلى مراتب الفلاح وأسمى درجات النَّجاح، ونتخلَّص بها من دركات الإثم والجناح وسلَّم تسليما كثيرا.»[1]

هاته عينات من الافتتاحيات المنمقة والمرصعة والمزخرفة بفواصل أشبه بالقافية في القصيدة فصوت (الراء) المكرر سبعة وعشرين مرة في الخطبة الأولى من (قضايا المسلمين والأقصى إلى أين؟) والَّذي محلُّ خروجه —الراء– طرف اللسان مما يلي رأسه وهو من الحروف الذلقية يغلب على نطقها مفخمة لأنَّها مسبوقة بفتحة وبألف المد: (القهَّار–الغفَّار–الغِزار–المدرار–الجبَّار–مقدار–المختار–خيار–الأبرار–الأنصار–الأخيار–النهار–الأنهار)، فصفة الانحراف الملازمة للراء أي انحرافها من مخرجها لمخرج غيرها —أدخل إلى ظهر اللسان– ومن صفتها إلى صفة غيرها أي من الترقيق إلى التفخيم، لأحسن اختيار موافق للدَّلالة الإبلاغية الَّتي يروم هذا الصَّوت اللغوي تحقيقها، كدلالة على انحراف وتغيُّر حال الأمَّة الإسلامية بعد الوحدة والعزِّ والتمكين إلى الفرقة والخذلان وتفشي الفتن كقطع الليل المظلمات، ومع ذلك يبقى كلّ شيء عند الله بمقدار فهو العزيز القهار .

وافتتاحية الخطبة الثانية من (قضايا المسلمين والأقصى إلى أين؟) فجاءت غاية في التطريز الصَّوتي، والإبداع الفني والدَّلالي، كيف لا وقد جمعت هذه المورفيمات (الأقصى/أقصى/استقصى) و(أوصى/استعصى/استوصى) دلالة توليدية تحويلية من نفس الوحدات الصَّوتية تقريبا؛ وذلك بإضافة فونيمات وحذف أخرى في اللفظة الواحدة لتولِّد لنا دلالات جديدة بإيقاعات جميلة وموحية في الآن ذاته؛ فمن مباركة المسجد الأقصى إلى إقصاء وإبعاد المعرض عن السَّمع والطاعة وبقائه في غيه يبحث ويتحرى، وفي المقابل يربط وصاية الله بالتمسك بالدين مع وصايا رسوله في (أوصى واستوصى) مع الثناء على سيِّد الخلق صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه بلَّغ رسالة ربِّه فما ضلَّ ولا استعصى.

وفي افتتاحية (عن الموقعين عن ربِّ العالمين) يطرق الأذن ترداد صوت (الحاء) الَّذي محلّ خروجه وسط الحلق وملازمة صفة الهمس والرخاوة له تكرر في المقاطع الصَّوتية التالية: (الإصباح

[1]– عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، ص: 70. (الملحق:203–210).

-الصَّلاح-الأرواح-الأشباح-الأرباح-تستباح-البطاح-الوضاح-الرِّماح-الرياح-الصَّباح-الفلاح-النَّجاح)، جاء هذا الاختيار مناسبا لموضوع الخطبة؛ ذلك أنَّه يقصد بالموقعين عن ربّ العالمين بعد الأنبياء والرسل العلماء؛ فالعلماء ورثة الأنبياء، في الأخذ بيد الأمَّة وتوجيهها، وإيجاد حلول واجتهادات لكلِّ المسائل العالقة في دينهم ودنياهم الَّتي تستدعي إفتاء.

فغاية الخطيب من عرضه لهذا الموضوع ناهيك عن هذه الافتتاحية الَّتي تحمل تلميحات لفحوى الخطاب، قد ذهب "السديس" فيها إلى التأكيد على الإفتاء وكيف يتجرأ أشباه العلماء على الردِّ على كلّ المسائل دون رادع أو تهيُّب، في حين ضرب المثل بأصحاب المذاهب وكيف كان شأنهم وتعاملهم مع ما يعرض عليهم من مسائل وقضايا تخص دينهم ودنياهم، وبيانها في الملحق، وكأنَّنا بصَّوت الحاء الَّذي تلازمه الرخاوة والهمس كالدلالة عن التورُّع والتجنُّب والرهبة الَّتي تغمر أهل الفضل والفضيلة في الرَّد على ما عُرض عليهم من إشكالات ومسائل لعلمهم بعِظَمِ المسؤولية والعواقب الَّتي يتحمل عاقبتها في حياته وبعد مماته، فيجيء ردهم مهموسا بعيدا عن الشدَّة والجهر.

ولا يفوتنا أن نشير إلى أنَّنا كثيرا ما نجد في خطب الشيخ "السديس" توظيفا لمفردات موحشة صعبة على فهوم العامة من النَّاس، بل وحتَّى الفئة المثقفة قد يغيب عنها مدلول بعض المفردات الَّتي يلقيها على مسامعهم، والَّتي وردت في ديوانه (الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة)، غير أنَّه يشرحها في الحواشي، لكنَّنا نستبعد أنَّه يفصل في شرحها أثناء إلقائه، على سبيل المثال لا الحصر توظيفه (السمهري) و(الحنادس)، في (فلم يزل صلَّى الله عليه وسلَّم يرشد إلى الحقِّ بالحجج الوضاح و**سمهريَّة** الرِّماح)، وفي (صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وأزواجه ومحبِّيه ما أزال الظُّلم **الحنادس**)، فيقصد بالأولى العود الشديد، والثانية الظلمة الشديدة.

11- أهميَّة الاختيار الصائب لموضوع الخطبة :

ليس بعيداً عن العام والخاص ما آل إليه حال الأمَّة الإسلامية؛ فبعدما ((حملوا بعد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لواء الدَّعوة والجهاد؛ ففتحوا البلاد، وأسعدوا العباد، وقادوهم إلى الخير في أمور المعاش والمعاد، نشروا الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، رفعوا راية الوحدانيَّة، وحطَّموا عروش الوثنيَّة، ونكَّسوا رايات الجاهليَّة، واحتلُّوا الصَّدارة والإدارة للإنسانيَّة، وأمسكوا بزمام قيادة البشريَّة وتحوَّلت الأمَّة راعية الغنم، إلى قادة شعوب وساسة أمم، حقَّقت الخير والسَّعادة، وتولَّت القيادة والرِّيادة، واحتلَّت المكانة والسِّيادة، وملأت الأرض قسطا وعدلا، والقلوب إيمانا وخشية وعلما؛ ممَّا لم يشهد له التَّأريخ مثيلا، ولم يعرف العالم له نظيرا.))[1]

تحوَّل وتغيَّر حال الأمَّة؛ ((تسلّط أعداء الإسلام على الأمَّة في ديارها وأفكارها، ومُقَدَّرَاتِها ومقدَّساتها، فعصفت بالأمَّة عواصف الفرقة؛ فضلَّت أفهام، وزلَّت أقدام والمستفيد من ذلك هم أعداء الإسلام، الَّذين ما فتئوا في إذاقة المسلمين صنوف التَّحدِّيات، وألواناً من الهجمات وبثِّ ما لا يحصى من الدَّسائس والمؤامرات، على اختلاف النَّزعات والشِّعارات، فكان أن بُليت أجيال من الأمَّة بأزمات وأزمات: اُحتلُّت ديار، وغُيِّرت أفكار، وعبث بمقدَّسات، وانتهكت حرمات، واستبيحت أعراض وأموال ومقدَّرات، وضاعت ممالك ودول حكمها الإسلام قرونا عديدة.))[2]

هذا هو موضوع خطبة "السديس" (قضايا المسلمين والأقصى إلى أين؟) الذي يحمل عَبَارَات وكلوما مازالت تنزف، ((ولا تزال قضايا أمَّتنا ومآسي مجتمعنا، وجراحات إخواننا: تنزف، في عصر ضاعت فيه المقاييس، وانقلبت فيه الموازين، وأصبح المظلوم ظالما، والمطلوب طالبا، وتعامت الهيئات الدَّولية، وتقاعست المنظَّمات العالمية عن حقوق المسلمين، وعتَّمت أخبارهم حتَّى خُدِّرت الشعوب وأصيبت بالذُّهول والحيرة، ولا يكاد المتابع لهموم أمَّته، ومآسي إخوانه يحسُّ بالأمل، حتَّى يصاب

[1]- عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، الكوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، ص:508. (الملحق:197-202).
[2]- المصدر نفسه، ص: 509. (الملحق:197-202).

بالإحباط والألم وهو يرى ويسمع القضايا الإسلامية تزداد تعقيدا، والانفراجات في أحوال الأمَّة تعود إلى صراعات، وتتحوَّل إلى صدمات؛ فالحروب الطَّاحنة، والاشتباكات الدَّامية، ومسلسلات القتل والتشريد –تزيد وتزيد– والأغرب من ذلك والأعجب: أنَّها تكون أحيانا بين الإخوة والأحبة؛ فيوجِّه الأخ السِّلاح إلى صدر أخيه! أحوال مبكية، وأوضاع مزرية؛ فإلى الله المشتكى، وهو المستعان، ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله!!»[1]

لاختيار الخطيب موضوعاً يشغل بال الأمَّة ويحيرهم ويشدُّ قلوبهم قبل أذهانهم دور كبير في نجاح خطبته وتوفيقه في وظيفته الإبلاغية، خاصة وأنَّ الأمَّة في أحلك ظروفها تنتظر بشغف وتصغي لحكامها ولعلمائها ولأئمتها وتتلهف لآرائهم ونظرتهم وتوجيهاتهم...ففي هذه الخطبة الَّتي تفصيل ما جاء فيها في الملحق بيان لتغير الأحوال، وتأكيد على قضية ثالث المسجدين الشريفين أنَّها قضية لا تقبل التنازل أو التغاضي.

غير أنَّ قضية الأقصى القديمة الجديدة ليست وحدها؛ «وما استمرار «الصِّرب الظَّلمة» –في صلفٍ ورعونة –ضدَّ مسلمي البوسنة والهرسك، إلاَّ أمر يحزُّ في النُّفوس، ويؤرِّق القلوب!

وسلام الله على «سراييفو» الَّتي يمطرها دعاة الصَّليب الحاقدون بصواريخ اللُّؤم والحقد وقذائف الخبث والمكر، ضدَّ المساجد والمدارس والبيوت!!

وعلى صعيد «الصُّومال الحزين» ماذا يدور هناك؟! وإلى أيِّ حدٍّ انتهت أخبار الفصائل الصُّومالية والفُرَقَاءِ فيها؛ في سبيل تحقيق أمن بلادهم، وسلامة شعبهم وأبنائهم؟!

أمَّا ما يدور في «السَّاحة الأفغانية» فأمر جلل، ومصاب عظيم وخطب جسيم، يحتار فيه الحليم! فما هي الأبعاد الحقيقيَّة للصِّراعات المستمرَّة على أرض الأفغان؟! ومن المستفيد ممَّا يدور

[1]– عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، ص:510. (الملحق:197-202).

هناك؟! إلى الله المشتكى! فقد وصلت الأوضاع في بلاد الأفغان إلى وضع لا يستسيغه العقلاء، ولا يقبله الكرماء، ولا يرضاه الشُّرفاء! وهل يكون الأخ على أخيه أشدَّ عداوة من العدوِّ السَّافر؟! ترى ما السِّرُّ، وما الخبر؟! لقد حرَّر الأفغان وطنهم من الشُّيوعية الحمراء في أعجوبة رائعة، تتباهى بها الأمَّة الإسلامية، وبذلت الأمَّة جميعا أرواحها ومهج أبنائها، وقدَّمت أموالها ودعاءها لدعم الجهاد هناك فلماذا ضاعت روعة الجهاد، وشوِّهت بطولات الرِّجال؟!»[1]

هذه مقتطفات ممَّا تطرق له "السديس" في حديثه عن قضايا المسلمين، بعد عرض الحال وتغير الأحوال، ابتداء بقضية الأقصى ثمَّ البوسنة والهرسك وسراييفو والصومال والأفغان وهلمَّا جرا وحال الأمَّة يسوء أكثر وأكثر، يتأسف غاضبا «ألا تبًّا للأطماع الشَّخصية، وأف للمصالح الذَّاتية إذا كانت عقبة أمام مصالح الأمَّة وسلامة الجماعة! وتعسا للكرسيِّ والمناصب، وبعدا للأطماع والمراتب إذا كانت تجرُّ البلاد للشَّر والفساد!»[2]

يُرجع "السديس" أسباب تغير الحال لأطماع دنيوية زائلة سبَّب تقهقر الأمة وتآكلها وتآكل الأمم عليها، ثمَّ يصور حال الأمة بقصيدة لأبي البقاء الرندي قوله: «أيُّها الإخوة المسلمون، مآسي الأمَّة الأخرى كثيرة، وجراحاتها عديدة، وأخبار الأقلِّيَّات الإسلامية لا تكاد تخفى حتَّى أصبح حال الأمَّة كما صوَّرها الشَّاعر المكلوم:

دَهَى الجَزِيْرَةَ أَمْرٌ لاَ عَزَاءَ لَهُ *** هَوَى لَهُ أُحُدٌ وَانْهَدَّ ثَهْلاَنُ!

أَعِنْدَكُمْ نَبَأٌ مِنْ أَرْضِ أَنْدَلُسٍ *** فَقَدْ مَضَى بِحَدِيْثِ القَوْمِ رُكْبَانُ؟!

تَبْكِي الحَنِيْفِيَّةُ البَيْضَاءُ مِنْ أَسَفٍ *** كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الإِلْفِ هَيْمَانُ!

عَلَى بِلاَدٍ مِنَ الإِسْلاَمِ خَاوِيَةٍ *** قَدْ أَقْفَرَتْ وَلَهَا بِالكُفْرِ عِمْرَانُ!

---

[1]- عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، ص:511،512. (الملحق:197-202).

[2]- المصدر نفسه، ص :512. (الملحق:197-202).

حَتَّى المآذِنُ تَبْكِي وَهِيَ جَامِدَةٌ *** حَتَّى المَنَابِرُ تَرْثِيْ وَهِيَ عِيْدَانُ

كَمْ يَسْتَغِيْثُ بِنَا المسْتَضْعَفُوْنَ وَهُمْ *** قَتْلَى وَأَسْرَى فَمَا يَهْتَزُّ إِنْسَانُ!

لِمِثْلِ هَذَا يَذُوْبُ القَلْبُ مِنْ كَمَدٍ *** إِنْ كَانَ فِي القَلْبِ إِسْلاَمٌ وَإِيْمَانُ))[1]

كثيرا ما يستشهد الخطباء بأبيات شعرية يرونها مناسبة وملخصة وجامعة لكلام كثير في أبيات قليلة بمعانٍ كثيرة، تماما كما كان يفعل الخطباء في العصر الجاهلي إلى ما تلاه من عصور اللاحقة نظرا لما يحمله الشعر من مكانة ووقع في قلوب العرب منذ القدم إلى يومنا هذا، لذلك يتخير الشيخ"كشك" رحمه الله ما لذَّ وناسب موضوع خطبه كما أشرنا سابقا، وكذا "السديس" في هذا الموضوع الشائق والشائك في الآن ذاته، وتخيره لقصيدة "أبي البقاء الرندي" المناسبة لرثاء ما حلَّ بالمدن من خراب ودمار.

في هذا المقام يوجِّه "السديس" من منبر الكعبة المشَّرفة نداءً لقادة المسلمين ولعلماء الأمة قائلا: ((فيا قادة المسلمين، يا من مكَّنكم الله في الأرض، واستخلفكم فيها؛ لتقوموا بالعدل، ورفع الظُّلم، اتَّقوا الله وانصروا دين الله، وكونوا عونا لشعوبكم في تحكيم شريعة الله، ودعم قضايا المسلمين ويا علماء الأمَّة، يا أيُّها المؤتمنون على ميراث النبوَّة، يا من أخذ عليكم العهد والميثاق لتبيّننَّه للنَّاس ولا تكتمونه، قوموا بمسئوليَّاتكم في التَّعليم والتَّوجيه، ولا تتقاعسوا عن أداء واجبكم، وانصحوا لله ولكتابه، ولرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، ولأئمة المسلمين، وعامَّتهم.))[2]

في هذه النقطة بالذات تَكْمُل الغاية والرسالة الإبلاغية من كلّ ما سبق طرحه في خطبته وهي بمثابة الأمانة الملقاة على عاتقه، وهو بالضبط ما ينتظره الحاضرون من خطيبهم إضافة إلى ما نصحهم به من ألفة وعدم التفرقة والتفرق، ليختم خطبته ((أعوذ بالله من الشيطان الرَّجيم: ﴿وَعَدَ اللهُ

[1]- عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، ص :513. (الملحق:197-202).

[2]- المصدر نفسه، ص:513،514. (الملحق:197-202).

الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُم وَعَمِلُواْ الصَّلِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَّخْلَفَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِم وَلَيُمَكِنَنَّ لَهُمْ دِيْنَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُم وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونني لاَ يُشْرِكُوْنَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَر بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَسِقُونَ(55) ﴾[النور].

ولربَّ ضائقةٍ يضيقُ بهَا الفتَى *** ذرعاً وعندَ اللهِ منهَا المخرجُ

ضاقتْ فلمَّا استحكمتْ حلقاتُهَا *** فُرِجَتْ وكنتُ أظنُّهَا لاَ تُفرجُ

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين، فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرَّحيم.»[1] بهذا يختم السديس خطبته، بآية من ذكر الله الحكيم تناسب موضوع خطبته، وبأبيات شعرية لربما تحمل تفاؤلاً بأنَّ دوام الحال من المحال، ولعلَّ الأمَّة ترجع لسابق مجدها وعهدها وما ذلك على الله بعزيز.

12- التشويق في العرض ووظيفته الإبلاغية:

في خطبة (القول المحجَّل في سيرة الإمام المبجَّل) تقفز للمُطَّلع على هذه الخطبة من ديوان (كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة) عدَّة تساؤلات؛ لعلَّ على رأسها مَنْ المقصود بالتبجيل؟ ويزيد الفضول بالطريقة المشوقة الَّتي تدرج فيها "السديس" قبل أن يعرفنا به!

قوله: «عباد الله، إنَّ في تاريخ العظماء لخبرا، وإنَّ في سير العلماء لعبرا، وإنَّ في أحوال النُّبلاء لمدَّكرا، وأمَّتنا الإسلامية أمَّة أمجاد وحضارة، وتاريخ وأصالة، وقد ازدان سجلُّها الحافل عبر التَّاريخ بكوكبة من الأئمَّة العظماء، والعلماء الأفذاذ الكرام، يمثِّلون عقد جيدها، وتاج رأسها ودرِّيَّ كواكبها كانوا في الفضل شموسا ساطعة، وفي العلم نجوما لامعة؛ فعدُّوا بحقٍّ أنوار هدًى ومصابيح دجى

[1]- عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس،كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، ص:515. (الملحق:197-202).

وشموعا تضيء –بمنهجها المتلألئ، وعلمها المشرق الوضاء –غياهب الظُّلم، تبدِّدها أنوار العلوم والحكم.»[1]

ويفصِّل في فضل هذه النخبة من الأئمة ودورهم عبر مختلف الأزمان والأزمات الَّتي مرت بالأمَّة حتَّى يصل «أمة الإسلام، وكان من أجلِّ هؤلاء الأئمَّة، وأفضل هؤلاء العلماء، عالم لا كالعلماء، وعلمٌ لا كالأعلام وجبل أشمُّ، وبدر أتمُّ، وحبرٌ، وطودٌ شامخ، ويعدُّ بجدارة: إمام القرن الثَّالث الهجريِّ، فريد عصره، ونادرة دهره، قلَّ أن يجود الزَّمان بمثله، إنَّه أئمة في شخص إمام، وأمَّة في رجل؛ قال عنه الإمام الشافعي –رحمه الله– «خرجت من العراق فما خلَّفت فيه رجلا أفضل ولا أعلم ولا أتقى لله منه»، وقال عنه الإمام الذَّهبي –رحمه الله–: «عالم العصر، وزاهد الدَّهر، ومحدث الدُّنيا، وعلم السُّنة، وباذل نفسه في المحنة، قلَّ أن ترى العيون مثله، كان رأسا في العلم والعمل والتَّمسُّك بالأثر؛ ذا عقل رزين، وصدق متين، وإخلاص مكين، انتهت إليه الإمامة في الفقه والحديث، والإخلاص والورع، وهو أجلُّ من أن يمدح بِكَلِمِي، أو أن أَفُوهَ بذكره بفمي»»[2]

يزداد بهذا الوصف المغري والمثير للفضول من تفاعل المستمع/القارئ لخطبته، ممَّا يضفي على إبلاغية خطبته نسبة توفيق كبيرة، كيف لا وهو بهذا الأسلوب المشوق يلفت لا شكَّ ذهن كلَّ حاضرٍ ومصغي ليواصل الإصغاء، وحتَّى وإن قرَّب لفئة من الحاضرين المعني بالخطبة من خلال تحديد الفترة الزمنية الَّتي عاش فيها الإمام المبجَّل قوله (إمام القرن الثالث الهجريِّ)، غير أنَّ هذه الفترة الذهبية والزاهية بالعلم والعلماء والأئمة تجعل الافتراضات كثيرة، فتلتقي حيرة وتساؤل السامع/القارئ مع أسلوب الاستفهام الَّذي وظفه "السديس" بشكل جميل قبل أن يصرِّح من صاحب الفضل والفضيلة؟

[1]- عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس،كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، ص : 587،588. (الملحق:211-218).

[2]- المصدر نفسه، ص: 589،590. (الملحق:211-218).

((أتدرون –يا رعاكم الله– من هو؟ من ذا الَّذي تعطَّرون أسماعكم بذكر سيرته؟ إنَّه إمام أهل السُّنَّة: الإمام الفذُّ، والعالم الجهبذ، الإمام الفاضل، والعالم المبجَّل؛ أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل –رحمه الله– من عرفته الدُّنيا، وذاع ذكره، وشاع صيته في الآفاق؛ إماما عالما، فقيها محدِّثا ومجاهدا صابرا، لا يخاف في الله لومة لائم، ويتحمَّل المحن في سبيل الله، والذَّبِّ عن سنَّة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، ويقارع الباطل بحكمة نادرة، لا تزعزعه الأهواء، ولا تميد به العواصف؛ حتَّى عُدَّ قمَّة عصره وما بعد عصره، وأجمع على جلالته وقدره، إلاَّ عند من لا يعبأ بهم.))[1]

بعدما بلغ الشوق مبلغه بأسلوب جميل يعرِّف به وبنسبه، ثمَّ يذهب لسرد سيرته العطرة، مذ طفولته ونشأته وخلقه وأخلاقه وعلمه واجتهاده وآثاره وتواضعه وصبره، وما تلقاه من ابتلاءات وفتن في عصره المميز، ثمَّ يردف بآراء أهل العلم والمعرفة من أئمَّة عصره حوله؛ بأسلوبٍ قصصي ليُعرِّف الجاهل من الحاضرين بهذا الإمام العلامة والعالم (أحمد بن حنبل)، ويُمتِّع العارف والمطَّلع على سيرة الإمام بطريقة العرض والأسلوب المشوق واللغة الراقية لإمام الحرم المكي الشيخ "السديس"، وبيان خطبته كاملة في الملحق.

يختم "السديس" خطبته الأولى في هذا الموضوع قائلا: ((أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿مِنَ المؤْمِنِيْنَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً(23) لِّيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَّ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ المنَافِقِيْنَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِم إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً(24)﴾[الأحزاب]نفعني الله وإيَّاكم بالقرآن العظيم، وبسنَّة سيِّد المرسلين، وبسير سلفنا الصَّالحين.أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنَّه كان للأوَّابين غفواً.))[2] ليس أبلغ من هذه الآيات الكريمة الَّتي تخيرها والَّتي توافق المقام والمقال ليختم بها خطبته.

[1]- عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس،كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة،، ص :590. (الملحق:211-218).
[2]- المصدر نفسه، ص: 596. (الملحق:211-218).

وفي الخطة الثانية من الموضوع نفسه يختمها بتنبيه لأمر مهمٍّ قوله: ((...وثمَّة تنبيه أخير، هو: أنَّ الحديث عن عالم ليس حطّاً من مكانة غيره من العلماء؛ فأبو حنيفة، ومالك والشَّافعي –رحمهم الله جميعا– وسائر الأئمة، لهم حظُّهم الوافر، في خدمة الإسلام وأهله، فرحمهم الله رحمة واسعة، ورزقنا السَّير على مناهجهم؛ إنَّه خير مسْئول، وأكرم مأمول!!

هذا؛ وصلُّوا وسلِّموا –رحمكم الله– على خير الورى، النَّبي المصطفى، والحبيب المجتبى؛ كما أمركم بذلك ربُّكم جلَّ وعلا،؛ فقال عزَّ من قائل: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيْماً(56)﴾[الأحزاب].))[1] لعلَّ الخطيب ينبه لمكانة أئمة السنة المحمدية جميعا مخافة أيّ شبهة أو قراءة وتفسير وتأويل لم يقصده الخطيب، لكن احتسابا لكلّ ما قد يدور في ذهن المتلقي ذهب لهذا التنبيه، ثمَّ مسك الختام الصلاة على خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام.

13- خطب المناسبات:

كثيرة هي ومتنوعة المناسبات؛ بين الدينية والوطنية والعالمية، إضافة إلى الأمور الطارئة والَّتي تستوجب على الخطيب أن لا تفوته أيٌّ منها، وذلك بمعية الهيئة الوصية كما سبق وبيَّنا، ولا يسع المقام التطرق إليها جميعا، وإنَّما تخيرنا عينات كأمثلة، مع العلم أنَّ خطب المناسبات بمثابة الوعاء المشترك بين المسلمين في كلِّ الأقطار الإسلامية؛ بمعنى أنَّ المرجع والقدوة واحد، ولذلك فخطب العيدين (الفطر والأضحى)، أو خطب (الكسوف والخسوف والاستسقاء) نجد فحوى الخطبة واحداً يبقى الفارق طريقة إلقاء الخطيب وأسلوبه، ولتوضيح ما ذهبنا إليه تخيرنا ما يلي:

[1]- عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، ص: 601. (الملحق:211-218).

13-1 الإبلاغية في خطب المناسبات الدينية:

يحتفل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بالمناسبات الدينية كلّ سنة؛ كالمولد النبوي الشريف، غزوة بدر، الإسراء والمعراج، عيد الأضحى، وعيد الفطر وغيرها، فيتهيأ الخطباء مسبقا بتقديم دروس وخطب باقتراب هذه المناسبات، ويكاد يتفق كلّ الخطباء في مختلف الأقطار الإسلامية يوم الاحتفال بحديثهم عن الموضوع نفسه، ولبيان ذلك تخيرنا خطبة عيد الفطر "لأبي بكر جابر الجزائري" من ديوانه (الخطب المنبرية).

يفتتح الخطيب خطبته بالتكبير مثله مثل بقية الخطباء في مختلف البقاع المسلمة، وهي افتتاحية مغايرة عن باقي الافتتاحيات المعتادة؛ ليعلم كلّ قاصٍ أو دانٍ أنّنا في يوم احتفال بمناسبة دينية جليلة القدر كثيرة الأجر؛ ((الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام، وكفى بها نعمة، أحمده تعالى وأشكره على آلائه وأثني عليه بما هو أهله، وأصلي وأسلم على نبيّه وخيرته من خلقه محمد صفوة أنبيائه وإمام رسله وأرتضى عن الآل الأطهار والصحابة الأخيار.))[1]

التكبير والتحميد والتسبيح قبيل خطبة العيد وصلاتها مفروضة في هذا اليوم المبارك، لإبداء فرحة المسلمين بإتمام صيام شهر رمضان، فيؤدي هذا النوع من الخطب وظيفته الإبلاغية في تبيين مظاهر الشكر الَّتي منها: ((صلاة العيد والاغتسال والتطيب ولبس جديد الثياب وإخراج صدقة الفطر قبل الصلاة أو بعدها ولكن قبل الزوال وإلى هذه السنة الإشارة في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اِسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾.

فقد أخبر تعالى عن فلاح من تزكى بكل ما يزكي النفس من الإيمان وصالح الأعمال ومن ذلك أنه أخرج زكاة الفطر وهي صاع من برّ أو تمر أو رز وشعير، والصاع —عباد الله- أربعة أمداد

[1]- أبو بكر جابر الجزائري، الخطب المنبرية، الناشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، توزيع دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط4، (1425هـ/2005م)، ص: 235. (الملحق:219-223).

والمد الحفنة المعروفة وقوله تعالى: ﴿ وَذَكَرَ اِسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ أي الصلوات الخمس والنوافل وصلاة العيد هذه التي صليناها الآن كما بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله وعمله وتأملوا –عباد الله– قول ربنا في هذه الآية الكريمة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اِسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾))[1]

ليُعرِّج بعدها الخطيب إلى بيان دواعي الفرح في هذا اليوم قوله: ((معاشر المؤمنين عباد الله إن يوم العيد يوم فرح للمؤمنين والمؤمنات بما قدموا من الطاعات والصالحات وما تسابقوا فيه من خيرات فلذا هم اليوم فرحون وسيدوم فرحهم إن داموا على ما كانوا عليه في رمضان؛ وإلا فسوف تكون حالهم كحال من بنى وهدَّم، وأعطى وندم، والله يقول:﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ﴾.))[2]

أكثر ما ينبه عليه الخطباء في رسالتهم الإبلاغية في خطبة عيد الفطر بالذات المداومة والمواصلة على العبادات والطاعات، حتَّى لا يكون التزامهم وطاعاتهم موسمية، وبمجرد انقضاء الصيام يتكاسل ويتماطل المسلم الَّذي كان مواظبا ومجتهدا في التقرب بالنوافل والأعمال الصالحة التي تقربه إلى الله زلفا.

فيأتي تأكيد "أبي بكر جابر الجزائري" الجزائري الأصل وإمام المسجد النبوي رحمه الله بالأمر الَّذي الغرض منه النصح والتوجيه قوله: ((فلازموا –عباد الله– ما كنتم تفعلونه في رمضان من الطاعات وترك المعاصي والسيئات وأتبعوا رمضان بصيام ستة من شوال، فإنها كصيام الدهر، لأن

[1]– أبو بكر جابر الجزائري، الخطب المنبرية ، ص:235. (الملحق:219–223).

[2]– المصدر نفسه، ص:236. (الملحق:219–223).

الحسنة بعشر أمثالها، فشهر رمضان بعشرة أشهر، وستة أيام من شوال بشهرين، والعام أثنى عشر شهرا فمن واظب على هذا كان كمن يصوم الدهر كله، فيعطى أجر صيام الدهر كله.»[1]

يواصل خطبته الثانية بمقتضى الحال الموافقة للمناسبة نفسها، فبعد الاستراحة الخفيفة بين الخطبتين، يضيف شيئاً من التفصيل حول مواطن الفرح: «واعلموا عباد الله أن للفرح خمسة مواطن فاذكروها حتى لا تَعُدُّو فرحاً في غيرها فرحا بل هو حزن وألم. **الأولى**: اليوم الذي ينصرم ولم يرتكب فيه العبد معصية بترك واجب أو بفعل محرم.**الثاني**: يوم يخرج من الدنيا وهو مؤمن نقي و**الثالث**: يوم يعطى كتابه بيمينه ويوم اجتيازه الصراط بسلام و**الرابع**: يوم دخول الجنان بسلام و**الخامس**: يوم ينظر إلى الرحمن ويتلقى من الرب تعالى السلام.هذه عباد الله مواطن الفرح الحق، أما الفرح بمتاع الدنيا فهو الحقيقة كرب وحزن ولكن أكثر الناس لا يعلمون وإني داع عباد الله فأمنوا...»[2]

بعد حثِّ المصلِّين على الاستمرار في الطاعات، ولا تشغلنَّهم مشاغل الحياة عن العبادات يصنف المَواطن الَّتي يتوجب فيها الفرح الَّذي لا تعقبه ندامة، ويختم الخطيب كغيره من الخطباء أغلب خطبهم بهذه المناسبة المباركة بالأدعية والابتهالات؛ رجاء من المولى تعالى تقبل الطاعات والقبول والاستجابة للدعوات ببركة أيامه المباركات.

13-2 الإبلاغية في خطب المناسبات الطارئة:

يأتي على النَّاس زمان تحلُّ فيه أمور طارئة وفتن متعاقبة؛ لعلَّ مردّها لذنوب العباد وكثرة معاصيهم، فينجر على ذلك تغيُّر الأحوال الطبيعية المعتادة؛ وظاهرة الكسوف علامة من المولى عزَّ وجلَّ لعباده، ولربما إنذار عاجل لأمر يراه النَّاس آجل، لكنَّه أمر إن أتى فلا مردَّ له، بهذا الإنذار الطارئ من ربّ السموات، يعجل كلّ خطيب إلى منبره ويصغي كلّ من حوله بقلوب وجلة.

[1]- أبو بكر جابر الجزائري، الخطب المنبرية ، ص ن. (الملحق:219-223).
[2]- المصدر نفسه، ص:238. (الملحق:219-223).

وتكاد أغلب خطب الكسوف إن لم نقل كلّها تلتقي في الفحوى نفسه كما سبق وأشرنا مع اختلاف الأداء من خطيب لآخر حسب جودة إلقائه؛ فبعد الحمد والثناء الحسن والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه يوضح الخطيب مرجع هذه الظاهرة؛ ((عباد الله إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل الدالة على علمه وقدرته ورحمته وحكمته، فهما لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته لكنهما آيتان من آياته يُخوِّف الله تعالى بهما عباده.))[1]

ويردف مُوضِّحاً ومهيباً بعد الاستفسار عن واضع نظام الأفلاك الدائرة والكواكب السائرة ((إنَّ نهاية الحياة الدنيا بدايتها زلزال الأرض، وانفطار السماء وانتثار الكواكب، فإذا أراد إخافة عباده وإفزاعهم أوجد زلزالاً في الأرض أو كسوفا في الشمس أو خسوفا في القمر لعلهم يخافون فيتوبون فسبحانه من إله عظيم برّ رحيم.))[2]

في هذا التنبيه الخطير إشارة إلى كثرة الذنوب وتفشيها في المجتمع يستشهد بهذا بخطبة لرسول الله عليه الصلاة والسلام في يوم كسوف الشمس وصنيعه؛ ((اسمعوا عباد الله كلمات من خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الّتي خطبها يوم كسوف الشمس، إنه ما إن كسفت الشمس حتى خرج صلى الله عليه وسلم فزعا يجرّ رداءه حتى أتى المسجد، ثم نودي بالصلاة جامعة، ثم صلى ركعتين على هيئة خاصة كالتي صليناها الآن، ثم قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة فافزعوا إلى المساجد، فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره» [رواه البخاري: 3201].

يضيف الخطيب مفصلا: «يا أمة محمد والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده، أو تزني أمته، يا أمة محمد –والله– لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» ثم قال: «ما من شيء

[1]- أبو بكر جابر الجزائري، الخطب المنبرية، ص :231. (الملحق:224-225).

[2]- المصدر نفسه، ص ن. (الملحق:224-225).

توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه، وأوحي إليّ أنكم تُفتنون في قبوركم قريبا أو مثل فتنة الدجال».»[1]

في خطبة الكسوف إبلاغ صريح ومباشر من ربِّ العباد لعباده عن طريق هذه الظاهرة الطبيعية؛ ليكفَّ كلّ عاص ويتعظ كلّ مقصر مذنب، فيتوجه الخطيب في نهاية خطابه بالنصح والوعظ؛ «ألا فلنتق الله –عباد الله–، ولنواصل توبتنا حتى نلقى ربّنا غير خزايا ولا نادمين. فالتوبة التوبة –عباد الله– وإنها الرجوع الصادق إلى طاعة الله، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بفعل المأمورات، واجتناب المحرمات والمنهيات، فاللهم تب علينا، واقبل توبتنا، واعصمنا من الخطأ والزلل حتى نلقاك طاهرين صالحين ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.»[2]

وهناك ظاهرة طبيعية أخرى تستدعي وقفة خطابية من نوع خاص أيضا؛ هي ظاهرة انقطاع المطر الَّتي تستدعي خطبة الاستسقاء؛ هذه الأخيرة الَّتي يُجمع من أجلها العام والخاص من مختلف الأنحاء، لتكون وقفة على مستوى الوطن في وقت واحد محدَّد، فيأتي مقال هذا النوع من الخطب بعد افتتاحية الحمد على هذا نحو:

«عباد الله انقطع المطر عن ديارنا، وأصابنا قحط وجدب وبلاء وذلك بسبب ذنوبنا، فإنه لا مصيبة إلا بذنب إذ قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ إذ لو يؤاخذنا الله بذنوبنا كلها ما أبقى منا أحدا. قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾.»[3]

[1]- أبو بكر جابر الجزائري، الخطب المنبرية، ص:231. (الملحق:224-225).
[2]- المصدر نفسه، ص:232. (الملحق:224-225).
[3]- أبو بكر جابر الجزائري، الخطب المنبرية، ص:233. (الملحق:226-227).

يبيِّن الخطيب للحضور أيسر السبل للتخلّص من الذنوب والمعاصي، ونيل خير الدارين مستشهدا بآيات من الذكر الحكيم سورة (نوح) قوله: ((هذا نبي الله نوح عليه السلام يذكر لربه عز وجل ما قام به من دعوة قومه إلى الإيمان والتوحيد فيقول: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾.....فتوبوا عباد الله واستغفروا تُغاثوا وتُسقوا))[1]

يتوجب على الخطيب في هذا المقام استحضار ما كان يقوم به عليه الصلاة والسلام في مثل هذا الموقف للاقتداء به، وهو تماما ما ذهب إليه الخطيب قوله: ((واعلموا عباد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا استسقى قال: «اللهم اسقنا وأغثنا غيثا مغيثا مريعا غدقا مجللا، عاما طبقا سحًّا».

فقولوا آمين، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين. فقولوا آمين، اللهم بالعباد والبلاد والبهائم والخلق من اللأواء والجهد والضنك ما لا نشكوه إلا إليك. اللهم أنبت لنا الزرع وأدرّ لنا الضرع واسقنا من بركات السماء وأنبت لنا من بركات الأرض قولوا: آمين آمين آمين. اللهم ارفع عنا الجهد والجوع والعرى، واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه غيرك. فقولوا آمين آمين آمين. اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفَّارا فأرسل السماء علينا مدرارا، فقولوا آمين آمين آمين اللهم اسق عبادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحيي بلدك الميت قولوا آمين آمين آمين.))[2]

يضيف الخطيب أمرا مهمّاً يجب القيام به اقتداء بسيِّد الخلق؛ ((أيها المؤمنون إن نبينا صلى الله عليه وسلم وهو أسوتنا الصالحة وقدوتنا الفاضلة كان إذا استسقى يقلب رداءه تفاؤلا على الله تبارك وتعالى أن يقلب حال الشدة إلى حال الرخاء وحال القحط والجدب إلى حال السقي والخصب، فهيا نأتس برسولنا ونقلب أرديتنا كما فعل نبينا صلى الله عليه وسلم، وليدع كل واحد منكم بما هو خير

[1]- أبو بكر جابر الجزائري، الخطب المنبرية ، ص:233. (الملحق:226-227).

[2]- المصدر نفسه، ص: 234. (الملحق:226-227).

له ولإخوانه المؤمنين، ثم ينصرف وهو مصر على توبته مستغفر ربه، وذاكر لآلائه وإنعامه، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.»[1]

بهذين النموذجين لخطب المناسبات الطارئة تتجلى الإبلاغية في الخطب المسجدية؛ انطلاقا من دواعيها وانتهاء بالطقوس المعمول بها والمتوارثة بتواتر عن رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام فتكون بذلك دلالة الصَّوت اللغوي في هذا النوع من الخطب متفق عليها، وعلى وظيفة موضوعاتها الإبلاغية.

13-3 الإبلاغية في خطب المناسبات الوطنية:

كثيرة هي المناسبات الوطنية؛ كاندلا ع الثورة، وعيد الاستقلال وغيرها، وقد تخيرنا نموذجاً رأينا أنَّه مهمَّ في حلقة الحياة الاجتماعية، وتشترك فيه كلّ الأقطار الإسلامية ألا وهو الدخول المدرسي خطبة بعنوان: (الصبر على طلب العلم جهاد ومراقبة الأبناء مسؤولية الأولياء) "لعبد الحميد مهدي" مدير الإعلام بالأزهر الشريف.

فبعد الحمد والثناء الحسن يتجه الخطيب ليبيِّن أهميَّة العلم ودوره في الدنيا والآخرة معا مستعينا بأحاديث نبوية شريفة وبأوَّل سورة نزلت على سيدنا محمد صلَّى الله عليه وسلَّم سورة (العلق)، ثمَّ يقسِّم فريضة طلب العلم إلى فرض عين يضم علم العقيدة وعلم العبادات والمعاملات والأخلاق وفرض كفاية يضمُّ بقية العلوم على تنوعها (طبية، هندسية، فلاحية صناعية...).

ويطالب الخطيب من منبره بضرورة بقاء تدريس مادة التربية الإسلامية في جميع المستويات والأطوار التعليمية، وفي ذات المقام يشير إلى قضية مهمَّة؛ «إن علماء المسلمين بذلوا جهودا كبيرة في القسم الأول من هذه العلوم، وأهملوا القسم الثاني إهمالا شبه تام وكامل في القرون الأخيرة. بينما حدث العكس تماما في الغرب. فتقدموا وتأخرنا وازدهروا وتقهقرنا، وأصبنا بالتخلف والجهل بالحياة وبآلياتها الموضوعية، فكلما خرجنا من أزمة إلا ودخلنا في أخرى أشد منها. ولم نُعِدَّ القوة اللازمة

[1]- أبو بكر جابر الجزائري، الخطب المنبرية ، ص ن. (الملحق:226-227).

للحق، حتى يظهر فيعمل على إزهاق الباطل. ألا إننا قد قصَّرنا في طلب العلم، وفي العمل به أيضا.»[1]

يشير الخطيب إلى التقصير في طلب العلوم التقنية والتكنولوجية الَّتي تجعل الأمَّة الإسلامية في مصاف الأمم المتطورة، فيدعو إلى الاهتمام والجدّ والاجتهاد والجهاد في طلب العلم ذلك أنَّ طالب العلم مجاهد بنص أحاديث مروية؛ «فطالب العلم والباحث عن الحقيقة العلمية، في مكتبه أو في مخبره أو في خلوته، وكذلك الأستاذ والمشرف والمعلم، الذين يبذلون جهدهم في تنوير العقل، وتعليم الخير لأبناء الأمة يعتبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة المجاهدين في سبيل الله فيقول في حديث رواه: الترمذي(من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع). ويقول في حديث البيهقي وابن ماجة: (من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهدين في سبيل الله).»[2]

بعد أن جمعت خطبته الأولى فضل العلم وطلَّابه، يتجه في الخطبة الثانية للآباء؛ «أيها المسلمون الأكارم/ إن أبناءنا فلذات أكبادنا، وامتداد لحياتنا، وبقاء لذكرنا بعد وفاتنا. نحب لهم الخير والصلاح، ونسهر على تربيتهم على الدين الإسلامي الحنيف، وعلى الخلق الكريم، وعلى حب الله ورسوله وحب الوالدين والإحسان إليهما، وحب العلم والعلماء.

وقد فتحت المدارس أبوابها، وتوجّه إلى رحابها أبناؤنا وبناتنا، لطلب المعرفة والاستزادة من العلم وصقل المهارات وإظهار المواهب والكفاءات. وإن صغر سنهم، ومرور الكثير منهم بمرحلة المراهقة يجعلهم في غاية من الحساسية والهشاشة والضعف، وبالتالي يكونون عرضة للتيارات الوافدة التي قد تجرهم إلى الانحرافات المختلفة المتوقعة: من رفاق السوء، وصحبة الجنس الآخر، وتعاطي

[1]- عبد الحميد مهدي، الدخول المدرسي، خطب الجمعة-الأعياد والمناسبات الدينية والوطنية والدولية، دار الأمل (د ط)، (2008م)، ص:296. (الملحق:228-233).

[2]- المصدر نفسه، ص ن. (الملحق:228-233).

التدخين، ولربما تناول المخدرات والمسكرات والموهنات، وكلها موجودة في واقعنا المعيش. وعليه فإنني أنصح أولياء التلاميذ...»

يبيِّن الخطيب للأولياء المسؤولية الملقاة على عاتقهم، وهي مسؤولية ثقيلة يُسألون عنها يوم القيامة، في ظلِّ الفتن والمغريات والانحرافات الكثيرة والصحبة وغيرها، فلا يجب عليهم أن يغفلوا وعليه يقدم الإمام الخطيب نصائح في نقاط مع شيء من الإرشاد المرفوق بأحاديث نبوية وآيات بينات، ولا يفوته التحذير نحو:

«إياكم أن تنشغلوا في طلب حطام الدنيا وتنسوا أبناءكم وبناتكم، فيشعرون بهذا الإهمال وهذه اللامبالاة. فيتصرفون تصرفات غير مسؤولة كرد فعل، أو كانتقام. واعلموا أن ذريتكم هم رأس مالكم الحقيقي، ومستقبلكم الباسم، القريب والبعيد. فلا تضيعوهم، فتخسروا كل شيء. يقول الله تبارك وتعالى في سورة النجم الآيات 39-41: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾.»[1]

هذا ويستحضر الخطيب في مقام نصحه وصية لقمان لابنه وهو يعظه، ويختم خطبته بأدعية للآباء بالذرية الصالحة والنسل الطيب، وبيان تفاصيل الخطبة في الملحق، بهذا الأنموذج من الخطب الوطنية وهي كثيرة ومتنوعة كما سبق وأشرنا تنوع مشاغل الحياة المعيشة، وتطلعات المجتمع يكون الخطيب المتابع والمرافق والموجه والمصوِّب والناصح والمرشد، وهي بالضبط وظيفته ومهمّته المسندة إليه.

13-4 الإبلاغية في خطب المناسبات العالمية:

يشترك العالم في الاحتفال بمناسبة انقضاء سنة وحلول السنة الجديدة كلٌّ حسب العادة والمعتقد، فلا يفوت أئمَّة ومشايخ الأمَّة الإسلامية أن يقفوا وقفة عبرة واستذكار بالمناسبة؛ وفي هذا المقام تحضرنا خطبة "عبد الحميد مهدي" من (خطب الجمعة –الأعياد والمناسبات الدينية والوطنية والدولية، فقد عنون خطبته بـ: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا).

[1]- عبد الحميد مهدي، خطب الجمعة-الأعياد والمناسبات الدينية والوطنية والدولية، ص:298. (الملحق:228-233).

بعد الحمد والثناء على الله ورسوله وآله وصحبه يدخل في الموضوع، ويفضل أن يبدأ موضوعه مباشرة بقصص القرآن لما فيها من عبرة لأولي الألباب، ولا يجد أنسب قصة بالمناسبة من قصة (آدم وإبليس اللعين)، يقول: ((بمناسبة اقتراب نهاية السنة الحالية، ودخول السنة الجديدة، أذكركم بأصل الإنسان وقصة مجيئه إلى الأرض، ومن هو سبب شقائه وتعاسته هنا وهناك.))[1]

فيسرد القصَّة الَّتي ليست ببعيدة عن أذهان المسلمين مستعينا بآيٍّ الذكر الحكيم في كلِّ موضع، وبأخذ العبرة وتقديم النصح في الآن ذاته: ((فإياكم والحسد أيها المسلمون، فإن الحسد يؤدي إلى التكبر، والتكبر يؤدي إلى الحرص وإلى الأنانية المفرطة، وما يتولد عن ذلك من تجاوز كل الحدود من البغي والفسوق والمكر السيئ. قال الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن عساكر: (إياكم والكبر، فإنَّ إبليس حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم. وإياكم والحرص، فإنَّ آدم حمله الحرص على أن يأكل من الشجرة. وإياكم والحسد فإنَّ ابني آدم إنَّما قتل أحدهما صاحبه حسدا. فهي أصل كلّ خطيئة).))[2]

لا ينفك الخطيب يستحضر الأحاديث الَّتي تدعم وتؤكِّد سبب خوضه في هذا الموضوع في هذه المناسبة بالذات، فيوضح مكر إبليس اللعين؛ حيث ((يأتي الإنسان من جميع أوجه الحق والباطل فأما الحق فيبغضه إلينا، ويثقله علينا، ويصدنا عنه. وأما الباطل فيزينه لنا، ويحببه إلينا، ويأمرنا به ويستعين بعُصاة الإنس، ويستعمل فصحاءهم وفنانيهم في الإعلام الفاسد بأنواعه المنحوت والمرسوم والمكتوب والمسموع والمرئي.

ويستعمل الأقوياء منهم لمحاربة أهل الخير وأصحاب الحق ويشارك الفساق في الأموال فيكتسبونها من الحرام وينفقونها في المعاصي، كما يشاركهم في الأولاد بنشر الفجور والخمور وفن

[1]- عبد الحميد مهدي، خطب الجمعة-الأعياد والمناسبات الدينية والوطنية والدولية، ص: 394. (الملحق:234-238).
[2]- المصدر نفسه، ص: 395. (الملحق:234-238).

التبرج، فيكثر أبناء الزنا، ويعدهم بالغرور، فتارة يقول لهم: الأرحام تدفع والأرض تبلع ولا شيء بعد ذلك، وتارة يقول لهم: العمر مازال طويلا، وإنَّ الله غفور رحيم، وهكذا.»[1]

بهذا البيان يجعل كلّ حاضر يسترجع ويستحضر أخطاءه وزلاته، ويرجع في ذات الوقت السبب في ذلك، فقصة آدم عليه السلام وإبليس تكرر نفسها في كلِّ زمان ومكان؛ «تأملوا رحمكم الله، كل الأشجار بأنواعها وأشكالها حلال ما عدا شجرة واحدة فقط، حرم الله الأكل من ثمارها فيحيطها إبليس بهالة من الدعاية الكاذبة المغرية: إنها شجرة الخلد ومُلك لا يبلى، ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكون ملكين أو تكونا الخالدين حتى ضعفت عزيمة أبوينا آدم وحواء، فأكلا من هذه الشجرة، فنزع الله عنهما لباس الستر، وظهرت عوراتهما حينئذ انتبها من غفلتهما، وأدركا قبح صنعهما.»[2]

في هذا توضيح للأبواب الَّتي يدخل منها اللعين، والإغراءات الَّتي يطرحها أمام آدم وزوجه ليصدَّه عن الطاعة ويوقع به في المعصية، كما وقع هو بمحض إرادته وعن عمد وتكبر في معصية الله وهذا كمثال لكلّ فطن، أنَّ حربَّ إبليس اللعين وجنده على ذرية آدم إلى يوم الدين فلا يغفلن غافل عن هذا.

يستعين "عبد الحميد مهدي" بالاستفهام بعد النداء والنفي لتبليغ الرسالة، نظرا للوظيفة الإبلاغية الَّتي يؤديها التنغيم عن طريق نبر الجمل، فلا غنى للخطباء عن هذه الأساليب، وفي هذا يقول: «أيها المسلمون الأكارم/ إننا على أبواب نهاية عام قد مضى، لا ندري ما الله قد صنع فيه. وبداية عام آخر، لا ندري ما الله قد قضى فيه. ولكننا نسأله سبحانه وتعالى أن يجعله عام خير وبركة وسعادة ونجاح. ومع ذلك فليفكر كل منا في هذه 365يوما التي عشناها.

[1]- عبد الحميد مهدي، خطب الجمعة-الأعياد والمناسبات الدينية والوطنية والدولية، ص:396. (الملحق:234-238).
[2]- المصدر نفسه، ص:397. (الملحق:234-238).

كم من هجوم شنه الشيطان علينا فانتصرنا عليه؟ وكم من مرة حقق انتصارا علينا؟ فنهاية السنة فرصة لمحاسبة أنفسنا، ومن يحاسب نفسه تقل سيئاته، وتتحسن حاله تدريجيا. أُنظروا إلى علاقاتكم بآبائكم وأمهاتكم وأبنائكم وأقاربكم وجيرانكم. هل التزمتم فيها بشرع الله؟ أُنظروا إلى جانبكم الروحي والذاتي والعائلي والاجتماعي، هل التزمتم فيه بهدي الله؟ هل تقرؤون القرآن وتذكرون الله وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر؟ هل ترحمون الأرملة واليتيم؟ هل تتصدقون على الفقراء والمساكين؟ حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا.»[1]

تؤدي هذه تساؤلات وظيفة إبلاغية وتصيب المرام؛ من خلال نبر الجمل ارتفاعا وانخفاضا في حالة النطق؛ فإيقاع الاستفهام يختلف عن الإقرار وعن الإخبار وعن التعجب فتغيُّر النبرات الصَّوتية وحده من يفرق بينهم، أمَّا كتابتا فلأدوات الاستفهام وعلامته(؟) الدَّور التوضيحي والتفريقي، وكلّ ذلك ليفتح الخطيب أمام المتلقي أفق البحث عن إجابة لما طرحه من أسئلة، ويراجع نفسه ويحاسبها قبل أن تحاسب، وختام خطبته أدعية للحاضر والغائب للمفرد والجماعة، وللأمَّة دينا ودنيا.

بهذا نطوي حديثنا عن الإبلاغية في الخطب المسجدية، بعد ما صلنا وجلنا وصفا وتحليلا وبحثا عن دلالة الصَّوت اللغوي في ثناياها، من مقتطفات خطابية متنوعة الموضوعات والمناسبات.

[1]- عبد الحميد مهدي، خطب الجمعة-الأعياد والمناسبات الدينية والوطنية والدولية، ص:398. (الملحق:234-238).

خاتـــمـــة

لم يكن من السَّهل ولا الهين علينا البحث وانتقاء خطب تخدم موضوع البحث، وتُظهر مدى أهميَّة تخير وحدات صوتية دون غيرها، وكيف تنتظم فيما بينها لتشكل مقاطع وسلاسل لغوية تتفاعل لتولّد لنا دلالات تستأثر بالألباب وتلفت الأذهان، وتجعل العقول لها مذعنة، كلّ هذا وغيره خدمة للوظيفة الإبلاغية ولقداسة الرسالة المسجدية، هذه الأخيرة الَّتي تَحمَّل الخطيب مسؤولية أدائها في أحسن صورة ممكنة.

وليس من اليسير ضبط المادة المعرفية على توفرها وتنوعها وكثرتها، والاغتراف من فيض هائل من الدِّراسات والأبحاث العلمية، ومع ذلك فقد قطعنا أشواطا في هذا المسار البحثي الشائك والشيِّق في الوقت نفسه، والَّذي أقلُّ ما يقال عنه إنَّها كانت رحلة بحثية ممتعة مع كلِّ ما حملته من صعاب وتحدِّيات؛ للظروف المحيطة وللوقت الَّذي يمضي سريعا، وتمكَّنا بعون الله تعالى وفضله إتمام وإنهاء هذه الرسالة، وهذه الخاتمة خلاصة وزبدة موضوع البحث من أوَّله لآخره لغاية تقرير الفوائد وتجريدها من الزوائد جمعناها في النقاط التالية:

- ✓ ارتبط مفهوم اللغة عند كثير من الدِّراسات بوظيفة التبليغ وقضاء الحاجات.
- ✓ التواصلية وظيفة قارة في اللغة بل لولاها ما كان للغة كلّ تلك الأهمية.
- ✓ تعدّ اللغة الوسيط المشترك بين طرفي عملية التواصل الباث والمستقبل.
- ✓ أخذت الوظيفة التواصلية حقها من العناية من قبل اللغويين قديماً وحديثاً.
- ✓ الإبلاغية اتجاه يتناول أساليب التعبير الفني في اللّغة.
- ✓ تحقق الإبلاغية أكبر قدر من التأثير والإقناع وذلك بتفجير الطاقات الكامنة في اللّغة.
- ✓ تبحث الإبلاغية كوظيفة في جميع سبل التأثير والإقناع على المتلقي (المستمع/القارئ).
- ✓ تتداخل الإبلاغية مع الوظيفة التواصلية والدِّراسات الأسلوبية والبلاغية وغيرها في الكثير من المواطن.

- ✓ الإبلاغية وظيفة من وظائف اللغة غايتها تعليمية أو توجيهية أو وعظية.
- ✓ تنتظم اللّغة المنطوقة في سلسلة متتابعة من المقاطع الصَّوتية هي بالضرورة أساليب تعبيرية تكُون الكلمة المفردة أساسها البنائي، لتنتهي تلك السلسة في أبسط صورها بالصَّوت اللّغوي (الفونيم).
- ✓ يمر الصَّوت اللّغوي بمراحل متعددة في أثناء عملية التواصل؛ وهي عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات تجمع بين متكلِّم ومستمع ووسط ينتقل عبره الصَّوت.
- ✓ وظيفة الصَّوت اللّغوي توليد المعاني عبر تسلسل صوتي خاضع لقواعد معينة في التجاور والارتباط، والموقع الَّذي يؤدي فيه النبر والتنغيم دوراً مهما.
- ✓ ثمَّة وشاجة قوية بين الأصوات والمدلولات، فكلّ صوت يومئ ويشير إلى دلالة معينة بمعنى آخر يجسِّد شكل المعنى.
- ✓ تعدُّ الدِّراسة الصَّوتية ضرورية في دراسة التغيرات الفونيمية الَّتي تطرأ على اللهجات.
- ✓ مردُّ الاختلافات اللهجية المحلية للفروقات الصَّوتية، والَّتي تظهر في استبدال فوينم بفونيم قريب له في المخرج أو الصفة أو فيهما معا.
- ✓ التنغيم ظاهرة صوتية جدُّ مهمَّة في تنميط الجمل.
- ✓ الفواصل الصَّوتية تؤدي دورها الدَّلالي في توضيح اتصال الجمل السابقة باللاحقة وترك إيقاع متناغم ومنسجم.
- ✓ تبيَّن من البحث أهميَّة الصَّوت اللّغوي من النَّاحية الوظيفية بالنسبة للإبلاغية، وذلك من خلال تنوع الإيقاعات الصَّوتية وتناسبها وما تثيره من انفعالات وأحاسيس.
- ✓ الخطابة علم له أصول وقوانين يمكِّن الدَّارس له من التأثير في المتلقي عن طريق الإلقاء الجيِّد.
- ✓ لا تقف الخطابة عند حدود الإفهام فقط بل مؤسسة على قواعد؛ فهي مبنية على وسائل الإقناع والبراهين والأسلوب والبناء اللغوي، وترتيب أجزاء القول، إضافة إلى الدُرْبَةِ والطبع والاسترسال والسلاسة.

- ✓ لا يمكن للخطابة أن تبعث فيها القوة، وتدب في كيانها الحياة، وتتحقق منها الإفادة التامة، والتأثير المطلوب ما لم يتوفر لدى الخطيب مقومات الإلقاء المميز والصفات اللازمة والمؤهلة والكفاءة الخطابية.
- ✓ للخطاب المسجدي هيئة خاصة تسهر على تنوير الخطباء وتقويمهم ومدِّهم بكلِّ الوسائل المساعدة على تنمية كفاءتهم الخطابية.
- ✓ للظواهر الصَّوتية دور مركزي في توجيه الدَّلالة وإثارة تفاعل الحاضرين كالنَّبر والتنغيم والوقف والابتداء، والفواصل الصَّوتية.
- ✓ توظيف الشواهد من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وحكم وأمثال عربية وأبيات شعرية دور جلِّي في نجاح الوظيفة الإبلاغية للخطب المسجدية.
- ✓ كفاءة الخطيب اللغوية والإلقائية هي الكفيلة باستقطاب الحضور وتتبعهم للخطب.
- ✓ التشويق والتدرج في العرض آلية فعالة في التأثير والاستمالة.
- ✓ تشترك أغلب خطب المناسبات في الموضوع بل وحتَّى في الأسلوب والصياغة اللّغوية ويبقى الفارق الطريقة الإلقائية.

نقول في الأخير ما قدمناه هنا أشبه بحسوة طائر من بحر، وهي حسوة تروي بقدر ما قصدناه ولا يزال هذا الموضوع يافعا، يبحث عن المزيد من الاستقصاء والرَّصد، حتَّى تصبح الإبلاغية وظيفة قارة قائمة بذاتها، ومُنَظَّراً لها مثلها مثل بقية الوظائف اللّغوية، الَّتي عكف على تدارسها اللّغويون على اختلاف مشاربهم، وما زالت المباحث الصَّوتية والبحث في الصوتيات على العموم يحتاج للمزيد من العناية.

أخيراً شكر خاص وخالص للأستاذ المشرف الَّذي كان نعم المكوِّن والموجه، على صبره الجميل، فكان الأخ والأب والأستاذ جعل الله كلَّ حرف استفدناه منك أو جهداً بذلته في سبيل تسهيل الصعاب في طريقنا صدقة جارية تصلك حسناتها كلَّما قُرئت هذه الرسالة واستفاد منها طالب من طلبة العلم.

ملحق الخطب المسجدية

عنوان الخطبة	يوم إنابة وساعة إجابة
الخطيب	عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس
الديوان	كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة
صفحات الديوان	214-204
صفحات المتن	162 -159

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستغفره ونتوب إليه، ونثني عليه الخير كله، ولا نحصي ثناء عليه هو سبحانه كما أثنى على نفسه، وأشهد أن لا إله إلاَّ اله وحده لا شريك له؛ جعل ((يوم الجمعة)) من أفضل الأيَّام، وخصَّه بالشَّرف والفضل لأمَّة الإسلام، واشهد أنَّ نبيَّنا محمَّدا عبده ورسوله سيِّد الأنام، وصلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام، ومن تبع هداهم واقتفى أثرهم إلى يوم القيامة للملك العلاَّم، وسلَّم تسليما كثيرا على التَّمام والدَّوام.

أماَّ بعد:

فيا أيُّها المسلمون، اتَّقوا الله تعالى حقَّ تقواه، واشكروه على ما هداكم للإسلام، وجعلكم من أمَّة اختصَّها بالفضائل، وهداها على ما هداكم للإسلام، وجعلكم من أمَّة اختصَّها بالفضائل وهداها إلى خير شرعةٍ، وأقوم ملَّة، فلله الحمد والشكر والثناء ونسأله تعالى أن يوزعنا شكر نعمه.

عباد الله، لقد منَّ الله علينا –معشر المسلمين- بيوم عظيم، وموسم كريم، وفضَّله على سائر الأيَّام وجعله يوم اجتماع للمسلمين، وهدى الله إليه هذه الأمَّة واختصها به، وأضلَّ عنه سائر الأمم؛ ففي ((صحيح مسلم)) أنَّه صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «أضلَّ الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السَّبت، وللنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة». [صحيح مسلم من حديث أبي هريرة وحذيفة، رضي الله عنهما ص856.]

فيا له من يوم عظيم، له من الخصائص والمزايا ما ليس لغيره! يجتمع فيه المسلمون على الخير والذِّكر والصَّلاة في الدُّنيا؛ وليكون لهم في الآخرة يوم كرامة ومزيدٍ ورفعة؛ روى الإمام مسلم في "صحيحه"، عن أبي هريرة رضي الله عنه –قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم: «خير يوم طلعت عليه الشَّمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها.» [صحيح مسلم، ص854.]

أيُّها الإخوة المسلمون، إنَّ من أهمِّ خصائص يوم الجمعة أنَّ الله سبحانه شرع لنا فيه اجتماعا عظيما لأداء صلاة الجمعة؛ فحضور هذه الصَّلاة فرض عين على كل مسلم توفَّرت فيه الشُّروط وانتفت عنه الموانع وإظهار العبودية لله وحده، ولِمَا له من الآثار في حياة المسلمين وعلى المجتمع الإسلامي بعامَّة.

ففي هذا الاجتماع: يتعارف المسلمون، وتقوى رابطة العقيدة بينهم، وتنصهر الفوارق المادِّيَّة والمراتب الاجتماعية، والنَّعرات القبلية، في بوتقة واحدة، يصافُّ الكبير الصَّغير، ويلصق الغنيُّ كتفه بكتف الفقير.

وهذا مشهد رائع، ومظهر عظيم تتجلَّى فيه صورنا ناصعة من وحدة المسلمين وتلاحمهم وقوة تعاطفهم وإخائهم وترابطهم، ويلتقون في بيوت الله جلَّ وعلا، وعلى بساطة طاعته؛ يتحسَّسون مشكلاتهم، وينظرون في آلامهم، ويقوى إيمانهم، وتصقل قلوبهم، وتزيد طاعتهم، ويتحرَّك فيهم الشُّعور للإسلام، وترِقُّ قلوبهم لما يسمعون من الذِكر والعلم والمواعظ، عبر الدَّرس الأسبوعي المهمِّ في خطبة الجمعة؛ فيجدُّون في إصلاح أوضاعهم، وتحسين أحوالهم؛ لأنهم يسمعون ما يقرِّبهم إلى الله من تذكير بواجب في جوانب العقيدة والعبادة، والأخلاق والتَّربية، وما إلى ذلك، أو تحذير من منكر في هذه الجوانب، أو علاج لقضية أو مشكلة اجتماعية، أو سواها، أو سماع ما يقرِّب إلى الآخرة ويدفع إلى العمل لها؛ فيبقى أثر هذا الدَّرس في نفس المسلم على مدار الأسبوع، وتظهر ثماره جليَّةً في واقعه وتعامله مع مجتمعه؛ حيث تمثِّل انطلاقةً كبرى للعمل البناء والإصلاح الجادِّ.

معاشر المسلمين، لقد ورد الفضل العظيم، والأجر العميم، في أداء هذه الصَّلاة، لا سيَّما لمن تأدَّب بآدابها من الغسل والطَّهارة، والطِّيب والنَّظافة، وحسن اللِّباس والهيئة، ثمَّ الاستماع والإنصات إلى الخطبة؛ روى الإمام مسلم في "صحيحه"، من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال

رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «من توضأ فأحسن الوضوء، ثمَّ أتى الجمعة، فاستمع وأنصت-غُفر له ما بينه وبين الجمعة، وزيادة ثلاثة أيَّام.» [صحيح مسلم، ص857.]، وفي "صحيحه" -أيضا- عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «الصَّلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر.»[صحيح مسلم ص233.]

كما ورد الوعيد الشَّديد، والتَّرهيب، على من تساهل في هذا الواجب العظيم، ولم يرفع به رأسا؛ ففي "صحيح مسلم"؛ أنَّه -عليه الصَّلاة والسَّلام- قال على أعواد منبره: «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات، أو ليختمن الله على قلوبهم، ثمَّ ليكوننَّ من الغافلين.»[صحيح مسلم ص865.]، وفي حديث آخر أنَّه صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «من ترك ثلاث جمع تهاونا، طبع الله على قلبه.»[رواه أحمد (3/424-425) والترميذي(500)، وأبو داود(1052) والنسائي(3/88)، وابن ماجه(1125)؛ من حديث أبي الجعد الضمري، رضي الله عنه.] وفي رواية: «فهو منافق» [رواه ابن خزيمة (1857)، وابن حبان(258).]

إخوة الإسلام، لقد كان من هدي نبيِّكم صلَّى الله عليه وسلَّم: تعظيم هذا اليوم وتشريفه وتخصيصه بعبادات وأعمال عظيمة:

ففي ذلك: الحثُّ على كثرة الصَّلاة عليه صلَّى الله عليه وسلَّم في هذا اليوم؛ فعن أوس بن أوس-رضي اله عنه- قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «إنَّ أفضل أيَّامكم يوم الجمعة فأكثروا عليَّا من الصَّلاة فيه فإنَّ صلاتكم معروضة عليَّ.»[رواه أحمد (4/8)، وأبو داود(1047،1531)، والنسائي(3/91).]

ومن ذلك: الإكثار من العبادة والذِكر، وقراءة القرآن والدُّعاء بغية إدراك ساعة الإجابة؛ ففي "الصحيحين"؛ أنَّه صلَّى الله عليه وسلَّم ذكر الجمعة، فقال: «فيه ساعة لا يُوافقها عبد وهو قائم يصلِّي يسأل الله شيئا، إلاَّ أعطاه إيَّاه.» [صحيح البخاري، (935)، صحيح مسلم، (852) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.]، وقد روى مسلم-رحمه الله- في "صحيحه"؛ أنَّها «ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصَّلاة.»[صحيح مسلم، ص853؛ من حديث أبي موسى رضي الله عنه.]، وقال كثير من العلماء: إنَّها آخر ساعة من يوم الجمعة.

كما يسنُّ المبادرة والتَّكبير إلى المسجد يوم الجمعة؛ ففي "الصَّحيحين"؛ أنَّه صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «من راح –يعني: في السَّاعة الأولى –فكأنَّما قرَّب بدنة، ومن راح في السَّاعة الثَّانية فكأنَّما قرَّب بقرة.»[صحيح البخاري، (881)، وصحيح مسلم، (850)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.]، حتَّى ذكر في ساعة الخامسة: بيضة، فانظر- رحمك الله- عظيم التفاوت في الأجر بين المبادرين والمتأخرين!وممَّا يتأكَّد في هذا اليوم العظيم: العناية بنظافة الظاهر والباطن، ومراعاة الطَّهارة الحسِّية والمعنويَّة .

ومن ذلك أيضا، ضرورة التَّأدب مع المصلِّين؛ وذلك بالحذر من التَّفريق بينهم، وإيذائهم وتخطِّي رقابهم فقد رأى النبي صلَّى الله عليه وسلَّم رجلا يتخطى رقاب النَّاس، فزجره، وقال: «اجلس؛ آذيت وآنيت.»[رواه أحمد (188،190/4)، وأبوداود(1118)، والنسائي(103/3) من حديث عبد الله بن بسر، رضي الله عنه.]

كذالكم –يا عباد الله- يجب الإنصات إذا تكلم الإمام، ويحرم الحديث حال الخطبة والتَّشاغل عنها يقول النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: «إذا قلت لصاحبك: أنصت؛ والإمام يخطب-فقد لغوت.»[رواه البخاري(934)، مسلم (851)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.]، ويقول –أيضا-: «ومن مسَّ الحصى فقد لغا.»[صحيح مسلم، (857)، أبو داود (1051)؛ ومن حديث علي، رضي الله عنه.]، وفي حديث آخر: «ومن تكلَّم، فلا جمعة له.» [رواه أحمد (93/1)، أبو داود (1051)؛ من حديث علي، رضي الله عنه.]

أمَّة الإسلام، هذه جملة من خصائص هذا اليوم المبارك وفضائله، وما ينبغي أن يكون عليه المسلم فيه وبنظرة تأمُّل في حياتنا، وواقع كثير منَّا تُجاه هذا اليوم المبارك: ندرك تصورا جليًّا لزهد بعض النَّاس في الخير الَّذي أراد الله لهم، وغفلتهم عن ثواب الآخر، وانشغالهم بزخرف الحياة؛ ممَّا له الأثر البالغ في قسوة القلوب، وتردِّي الأحوال؛ فقد بلغ ببعض النَّاس الاستكبار والمحادَّة لشرع الله؛ بحيث يسمعون المنادي لصلاة الجمعة، وغيرها فلا يرفعون بذلك رأسا، وهؤلاء على خطر عظيم، وفي مرتع وخيم.

ومن النَّاس: من يزيِّن له الشَّيطان التَّأخر عن صلاة الجمعة، فلا يأتي إلاَّ عند الخطبة، أو في أثنائها، أو عند إقامة الصَّلاة، وربَّما يقعون في إيذاء عباد الله، وتخطِّي رقابهم، هؤلاء قد فوَّتوا على أنفسهم خيرا كثيرا، ونفعا عظيما، وحرموا أنفسهم ثواب الله، ووقعوا في أذيَّة عباد الله.

ومنهم: من إذا دخل المسجد، تبرَّم وتثاقل، وملَّ الخير والنَّفع والفائدة وتكاسل، وودَّ الخلاص من الخطبة والصلاة، ونسي أنه في خير وعلى خير.

ومن النَّاس: من يسبِّب لنفسه الحرمان والخسارة، ولا يبالي بآداب الجمعة، ولا بحرمة بيوت الله، فيتكلّم ولا ينصب، ويعبث ويتشاغل بنفسه وأولاده ومجاوريه.

وبعضهم: يجعل المسجد محلاً للنُّزهة، فتجده يتجاذب أطراف الأحاديث مع محبِّيه، وربَّما فعل ذلك والإمام يخطب!

وبعضهم: لا يبالي بالنَّظافة من الرَّوائح المستكرهة في بدنه وثوبه؛ فيؤذي ملائكة الله، ويهوِّش على عباد الله، وقد يخرج أولئك من المسجد كما دخلوه دون نفع ولا فائدة.

ومن النَّاس-والعياذ بالله-: من لا يصلِّي إلاَّ الجمعة، ولا يبالي بصلاة الجماعة، وقد يدَّعي -جهلا وسذاجة – أنَّه بحضوره الجمعة يكفَّر عنه ما بين الجمعتين، ولكن هذا مقيَّد باجتناب الكبائر وأيُّ كبيرة بعد الشِّرك أعظم من ترك الصَّلاة؟!

وبعض النّساء – هدلهنَّ الله-: يأتين إلى الجمعة، ولكن بثياب الجمال والفتنة، وحال التَّبرج والسُّفور والزِّينة والطّيب، وهذا لا يجوز؛ لأنَّه صلَّى الله عليه وسلَّم رخَّص للنِّساء في حضور المساجد وقيَّد ذلك بقوله: "وليخرجن تفلات" أي: غير متطيِّبات.

وبعض المصلين: يترك أولاده يعبثون في المسجد، ويؤذون الآخرين؛ كما أنَّ بعض الباعة يمضي في بيعه وعرضه لتجارته، ويفوِّت على نفسه أجر المتاجرة مع الله، وبعض النَّاس يجعل من هذا اليوم يوم لهو ولعب وغفلة وانهماك في الملذَّات، وعكوف على الملهيات، أو يوم سهر وسمر ونزهة، لا تخلو من المحرَّمات.

فاتَّقوا الله -عباد الله- واعرفوا لهذا اليوم العظيم مكانته وحرمته، واعمروه وسائر الأيَّام بالعمل الصَّالح تكونوا من المفلحين.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُواْ إِذَا نُوْدِىَ للصَّلاَةِ من يَوْمِ الجُمُعَةِ فَاسعَواْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوْا البَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(9) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وابْتَغُواْ مِن فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُا الله كَثِراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(10)﴾[الجمعة].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين، فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرَّحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على منِّه وإحسانه، والشُّكر له على توفيقه وإنعامه، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وأشهد أنَّ محمدا عبده ورسوله، صلَّى الله وسلَّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه.

أمّا بعد:

فاتَّقوا الله –عباد الله– واشكروه أن وفَّقكم لهذا اليوم العظيم، وهداكم له. ومن شكر هذه النِّعمة: صرف ساعات هذا اليوم ولحظاته في العمل الصَّالح المشروع؛ من الصَّلاة والذِّكر، والاستغفار والدُّعاء وقراءة القرآن، وكثرة الصَّلاة على رسول الهدى صلى الله عليه وسلم، والبعد عن جميع المعاصي والسَّيِّئات.

ففي هذا العمل استثمار لهذا الموسم المبارك، والَّذي فيه وفي أمثاله من المواسم الشَّرعية، كفاية عمَّا استحسنته عقول البشريَّة، واستحدثته أهواؤهم الرَّديَّة؛ ممَّا يقدح في تجريد المتابعة للمصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم الَّذي كان يكثر التَّذكير فيه بالوصيَّة الجامعة الَّتي يجب أن يعيها المسلمون اليوم؛ لأنَّها تمثِّل منهاجا يجب أن يسير عليه المسلم في حياته كلِّها؛ ليعبد الله على بصيرة؛ فقد كان النبي صلَّى الله عليه وسلَّم يقول في خطبة الجمعة:«أمَّا بعد: فإنَّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلَّى الله عليه وسلَّم، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة. » [رواه أحمد (371/3)، وسلم (867)؛ من حديث جابر رضي الله عنه.].

واعلموا –رحمكم الله – أنَّ الله سبحانه أمركم بالتَّقرب إليه بأمر عظيم، لا سيَّما في هذا اليوم المبارك، ألا وهو كثرة الصَّلاة والسَّلام على عبده المصطفى، ورسوله المجتبى؛ فقال تعالى قولا كريما: ﴿إِنَّ الله وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسلِيماً(56)﴾ [الأحزاب]، وَقَد قَال صلَّى الله عليه وسلَّم: «مَنْ صَلَّى عَليَّ وَاحِدَةً، صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْراً.»[تقدم تخريجه(116).]

عنوان الخطبة	قضايا المسلمين والأقصى إلى أين؟
الخطيب	عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس
الديوان	كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة
صفحات الديوان	517–507
صفحات المتن	163، 164– 170.

الخطبة الأولى:

الحمد لله الواحد القهَّار، العزيز الغفَّار، أحمده تعالى على نعمه الغزار، وأشكره سبحانه على فضله المدرار، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له الملك الجبَّار، له الخلق كلُّه، وله الأمر كلُّه وكلُّ شيء عنده بمقدار، وأشهد أنَّ نبيَّنا وحبيبنا محمَّدا عبد الله ورسوله المصطفى المختار؛ فهو خيارٌ من خيار من خيار، صلَّى الله عليه وسلَّم وعلى آله وصحبه الأبرار، المهاجرين منهم والأنصار والتَّابعين الأخيار، الَّذين لزموا السُّنَّة والآثار صلاة وسلاما تامَّين كاملين متعاقبين ما تعاقب اللَّيل والنَّهار، ونسأل الله أن نكون ممَّن تبعهم بإحسان، فرضي الله عنهم، ورضوا عنه، وأعدَّ لهم جنَّات تجري من تحتها الأنهار.

أمَّا بعد:

فاتقوا الله –عباد الله– فتقوى الله سرُّ النَّصر والفلاح، وسبب التَّوفيق والنَّجاح، وطريق الخير والصَّلاح.

إخوة العقيدة، لقد بعث الله نبيَّه محمَّدا صلَّى الله عليه وسلَّم بالهدى ودين الحقِّ؛ فبشَّر وأنذر، ودعا وأخبر، وهدى وحذَّر، بلَّغ الرِّسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمَّة، وكشف بأمر ربِّه الغمَّة وهدى النَّاس –بإذن ربِّهم– إلى صراط العزيز الحميد؛ فأشرقت به الأرض بعد ظلماتها، واجتمعت عليه الأمَّة بعد شتاتها.

واختار الله له أنصارا، هم صحابته الكرام-رضوان الله عليهم أجمعين- خير القرون على الإطلاق، وأفضل الأمَّة بعد رسولها باتِّفاق، أبرُّ الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلُّها تكلُّفاً، إذا علوا فهم الكرام البررة، وإذا حكموا فهم الولاة الخيرة، كيف لا وقد اختارهم الله لصحبة نبيِّه وحمل شريعته؟! حملوا بعد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لواء الدَّعوة والجهاد؛ ففتحوا البلاد، وأسعدوا العباد، وقادوهم إلى الخير في أمور المعاش والمعاد، نشروا الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، رفعوا راية الوحدانيَّة، وحطَّموا عروش الوثنيَّة، ونكَّسوا رايات الجاهليَّة، واحتلُّوا الصَّدارة والإدارة للإنسانيَّة وأمسكوا بزمام قيادة البشريَّة، وتحوَّلت الأمَّة راعية الغنم، إلى قادة شعوب وساسة أمم، حقَّقت الخير والسَّعادة، وتولَّت القيادة والرِّيادة، واحتلَّت المكانة والسِّيادة، وملأت الأرض قسطا وعدلا، والقلوب إيمانا وخشية وعلما؛ ممَّا لم يشهد له التَّأريخ مثيلا، ولم يعرف العالم له نظيرا.

أمَّة الإسلام، وما كادت القرون الثَّلاثة تنقضي؛ حتَّى ظهرت الفتن، واتَّسع نطاق المحن خلفت خُلُوفٌ تفرَّقت بهم السُّبل، وأعرضوا عن منهج الرُّسل، وضلَّت بهم الأهواء، واستحكمت فيهم الآراء، وتعدَّدت فيهم المذاهب، وتباينت النَّزعات والمشارب؛ ﴿فَتَقَطَّعُوْا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ(53)﴾[المؤمنون].

كثرت بينهم الاختلافات، وأهلكتهم الأنانيات، وسعوا للحظوظ وحبِّ الذَّات، فضربت الأمَّة في تيه السُّبل أحقابا من الزَّمن، وعقودا من التَّأريخ؛ فرَّطوا في أمر الله، فانفرط عقدهم أمام أعداء الله، والَّذين سعوا ويسعون لإطفاء نور الله؛ ﴿وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَفِرُونَ(32)﴾[التوبة].

وكان من نتيجة هذا الإعراض عن الثَّوابت العقدية، والمقوِّمات التَّأصيليَّة: تسلُّط أعداء الإسلام على الأمَّة في ديارها وأفكارها، ومُقَدَّرَاتِها ومقدَّساتها، فعصفت بالأمَّة عواصف الفرقة فضلَّت أفهام، وزلَّت أقدام والمستفيد من ذلك هم أعداء الإسلام، الَّذين ما فتئوا في إذاقة المسلمين صنوف التَّحدِّيات، وألواناً من الهجمات وبثِّ ما لا يحصى من الدَّسائس والمؤامرات، على اختلاف النَّزعات والشِّعارات، فكان أن بليت أجيال من الأمَّة بأزمات وأزمات: احتلُّت ديار، وغيِّرت أفكار وعبث بمقدَّسات، وانتهكت حرمات، واستبيحت أعراض وأموال ومقدَّرات، وضاعت ممالك ودول حكمها الإسلام قرونا عديدة.

وما زالت الحرب العدائية للإسلام ظاهرة سافرة، ولا تزال قضايا أمَّتنا ومآسي مجتمعنا وجراحات إخواننا: تنزف، في عصر ضاعت فيه المقاييس، وانقلبت فيه الموازين، وأصبح المظلوم ظالما والمطلوب طالبا، وتعامت الهيئات الدَّولية، وتقاعست المنظَّمات العالمية عن حقوق المسلمين، وعتَّمت أخبارهم حتَّى خدِّرت الشعوب وأصيبت بالذُّهول والحيرة، ولا يكاد المتابع لهموم أمَّته، ومآسي إخوانه يحسُّ بالأمل، حتَّى يصاب بالإحباط والألم وهو يرى ويسمع القضايا الإسلامية تزداد تعقيدا والانفراجات في أحوال الأمَّة تعود إلى صراعات، وتتحوَّل إلى صدمات؛ فالحروب الطَّاحنة والاشتباكات الدَّامية، ومسلسلات القتل والتشريد –تزيد وتزيد– والأغراب من ذلك والأعجب: أنَّها تكون أحيانا بين الإخوة والأحبة؛ فيوجِّه الأخ السِّلاح إلى صدر أخيه!

أحوال مبكية، وأوضاع مزرية؛ فإلى الله المشتكى، وهو المستعان، ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله!!

أمَّة الإسلام، قضيَّتنا الإسلاميَّة الأولى الَّتي يجب ألاَّ تنسى في جديد الصِّراعات والقضايا: قضيَّة أولى القبلتين، وثالث المسجدين الشَّريفين، و"قضيَّة الأقصى" يجب أن تظلَّ في قلب كلِّ مسلم، ولا يقبل التَّنازل والتَّغاضي عنها يوما من الأيَّام، وليس ما قامت به الصهيونيَّة العالمية عبر التَّأريخ بخاف على أهل الإسلام، بل مسطَّر بمداد قاتم لقوم بهتٍ خونة، معروفين عبر التأريخ بنقض العهود والمواثيق، والتَّحدي السَّافر لمشاعر المسلمين ومقدَّساتهم!

وما استمرار "الصِّرب الظَّلمة" –في صلفٍ ورعونة –ضدَّ مسلمي البوسنة والهرسك، إلاَّ أمر يحزُّ في النُّفوس، ويؤرِّق القلوب!

وسلام الله على "سراييفو" الَّتي يمطرها دعاة الصَّليب الحاقدون بصواريخ اللُّؤم والحقد وقذائف الخبث والمكر، ضدَّ المساجد والمدارس والبيوت!!

وعلى صعيد "الصُّومال الحزين" ماذا يدور هناك؟! وإلى أيِّ حدٍّ انتهت أخبار الفصائل الصُّومالية والفُرَقَاءِ فيها؛ في سبيل تحقيق أمن بلادهم، وسلامة شعبهم وأبنائهم؟!

أمَّا ما يدور في "السَّاحة الأفغانية" فأمر جلل، ومصاب عظيم وخطب جسيم، يحتار فيه الحليم! فما هي الأبعاد الحقيقيَّة للصِّراعات المستمرَّة على أرض الأفغان؟! ومن المستفيد ممَّا يدور هناك؟! إلى الله المشتكى! فقد وصلت الأوضاع في بلاد الأفغان إلى لا وضع يستسيغه العقلاء، ولا يقبله الكرماء، ولا يرضاه الشُّرفاء! وهل يكون الأخ على أخيه أشدَّ عداوة من العدوِّ السَّافر؟! ترى ما

السِّرُّ، وما الخبر؟! لقد حرَّرلا الأفغان وطنهم من الشُّيوعية الحمراء في أعجوبة رائعة، تتباهى بها الأمَّة الإسلامية، وبذلت الأمَّة جميعا أرواحها ومهج أبنائها، وقدَّمت أموالها ودعاءها لدعم الجهاد هناك فلماذا ضاعت روعة الجهاد، وشوِّهت بطولات الرِّجال؟!

فيا أيُّها القادة الأفغان، اتَّقوا الله في أنفسكم وبلادكم وشعوبكم؛ إنَّه من الأجدى التَّحاكم إلى شرع الله وحسم الخلاف بالطُّرق السِّلميَّة؛ لا تضيِّعوا ما علَّقته الأمَّة عليكم من آمال، ولا تجدِّدوا بخلافاتكم الهموم والآلام لماذا تتاح الفرصة للأصابع الخفيّضة؛ كي تعبث في بلادكم، وتشعل النَّار فيما بينكم؟! أصغوا إلى صوت العقل والصَّواب، واحموا البلاد والعباد من الدَّمار والخراب، إنَّنا لنخشى ألاَّ تجدي المناشدات، ولا تنفع جهود الصُّلح والوفاق، ويجمعوا قلوبهم على عقيدة التَّوحيد ويوحِّدوا صفوفهم على وحدة الكلمة، ويحذروا من حظوظ النَّفس والهوى؛ ألا تبًّا للأطماع الشَّخصية، وأف للمصالح الذَّاتية؛ إذا كانت عقبة أمام مصالح الأمَّة وسلامة الجماعة! وتعسا للكرسيِّ والمناصب، وبعدا للأطماع والمراتب، إذا كانت تجرُّ البلاد للشَّر والفساد!

أيُّها الإخوة المسلمون، مآسي الأمَّة الأخرى كثيرة، وجراحاتها عديدة، وأخبار الأقلِّيَّات الإسلامية لا تكاد تخفى، حتَّى أصبح حال الأمَّة كما صوَّرها الشَّاعر المكلوم:[نفح الطيب، للمقري (194/2)، أبيات مختارة من قصيدة للشاعر المجود أبي البقاء الرُّندي الشاعر الأندلسي.]

دهى الجزيرة أمرٌ لا عزاء له *** هوى له أحد وانهدَّ ثهلان!

أعندكم نبأٌ من أرض أندلس *** فقد مضى بحديث القوم ركبان؟!

تبكي الحنيفيَّة البيضاء من أسف *** كما بكى لفرق الإلف هيمان!

على بلاد من الإسلام خاوية *** قد أقفرت ولها بالكفر عمران!

حتَّى المآذن تبكي وهي جامدة *** حتَّى المنابر ترثي وهي عيدان

كم يستغيث بنا المستضعفون وهم *** قتلى وأسرى فما يهتزُّ إنسان!

لمثل هذا يذوب القلب من كمد *** إن كان في القلب إسلام وإيمان

فيا قادة المسلمين، يا من مكَّنكم الله في الأرض، واستخلفكم فيها؛ لتقوموا بالعدل، ورفع الظُّلم، اتَّقوا الله، وانصروا دين الله، وكونوا عونا لشعوبكم في تحكيم شريعة الله، ودعم قضايا المسلمين.

ويا علماء الأمَّة، يا أيُّها المؤتمنون على ميراث النبوَّة، يا من أخذ عليكم العهد والميثاق لتبيّننَّه للنَّاس ولا تكتمونه، قوموا بمسئوليَّاتكم في التَّعليم والتَّوجيه، ولا تتقاعسوا عن أداء واجبكم، وانصحوا لله، ولكتابه، ولرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، ولأئمة المسلمين، وعامَّتهم.

ويا دعاة الإسلام، اجمعوا قلوبكم على منهج السَّلف الصَّالح –رحمهم الله– تخلَّوا عن الحزبيَّة الضَّيِّقة والمصالح الشَّخصيَّة، كونوا عونا لولاة الأمر في تحقيق الخير للأمة جميعا؛ إنَّ التَّعاون بين الرَّعية والرُّعاة عين المصالح للأمَّة، وإنَّ شقَّ عصا الطَّاعة، وبثَّ بذور الفرقة، والخروج على الجماعة –يجرُّ الأمَّة إلى شرٍّ كبير، وضرر خطير ومن فضل الله على هذه البلاد المباركة: أن فتحت صدرها، ودَّت يدها –قادة وعلماء– لرعاية شئون المسلمين والسَّعي في الإصلاح بينهم، وليس ذلك بغريب عليها فهي محطُّ أنظار المسلمين، ومهوى أفئدتهم؛ فلتمدَّ الأمَّة يدها إليها؛ لتحقيق مصالح المسلمين، ودرء الشُّرور والمفاسد عنهم.

وإنَّ الأمَّة لتتطلَّع إلى مراحل العمل والمنهجيَّة والتَّأصيل، فلم تعد تجدي الكلمات ولا التَّنظير وإنَّ مسئوليَّة صلاح أحوال الأمَّة، والخروج بها من وآزقها –مسئوليَّة المسلمين جميعا، في خطا حثيثة في العقيدة والعلم، والعقل والحكمة؛ ليتحقَّق للأمَّة وعد الله الَّذي لا يتخلَّف، وإنَّنا لنأمل أن تكون مصائب الأمَّة سحابة صيف، عن قريب تنقشع، فالنَّصر للإسلام وأهله، فليقرَّ المسلمون بذلك عيناً فمن الله وحده نستلهم النَّصر والتّمكين!.

أعوذ بالله من الشيطان الرَّجيم: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُم وَعَمِلُواْ الصَّلِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَّخْلَفَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِم وَ لَيُمَكِنَنَّ لَهُمْ دِيْنَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُم وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونني لاَ يُشْرِكُوْنَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَر بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَسِقُونَ(55) ﴾[النور].

ولربَّ ضائقة يضيق بها الفتى *** ذرعا وعند الله منها المخرج

ضاقت فلمَّا استحكمت حلقاتها *** فرجت وكنت أظنُّها لا تفرج

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين، فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرَّحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله؛ بارك حول المسجد الأقصى، وأقصى من أعرض عباده واستقصى، وأشهد أن لا إله إلاَّ اله وحده لا شريك له، أمرنا بالتَّمسك بالدين وأوصى، واشهد أنَّ نبيَّنا محمَّدا عبد الله ورسوله بلَّغ رسالة ربِّه فما ضلَّ ولا استعصى، صلَّى الله وبارك عليه وعلى من تبع ملَّته وتمسَّك بسنَّته واستوصى، وسلَّم تسليما كثيرا.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله –عباد الله– واعلموا أنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هديُ محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة.

أيُّها الإخوة في الله، من الثَّوابت الَّتي لا تقبل الجدل أنَّ قضية المسجد الأقصى المبارك قضية إسلامية عريقة، وستبقى كذلك –بإذن الله– حتى يرث الله الأرض ومن عليها؛ فلا مساومة على مقدَّساتنا، ولا تنازل عن شيء من ثوابتنا بحال من الأحوال؛ قضيَّة الأقصى رأس القضايا الإسلامية وأكبرها، هو أولى القبلتين، وثالث المسجدين الشَّريفين ومسرى سيِّد الثَّقلين، مكانته ضاربة في جذور التَّأريخ، وهو اليوم بمأساة تمزِّق القلوب، وتؤرِّق الأكباد، من شُذَّاذِ الآفاق، وضالَّة العلم، وإخوة القردة والخنازير –عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة– يريدون هدم بنائه، وتغيير معالمه وإقامة هيكلهم المزعوم على أنقاضه– لا بلَّغهم الله مرادهم! –وإنَّ لكم– يا عباد الله– إخوة في العقيدة على ثرى فلسطين المجاهدة، يقومون بانتفاضة إسلامية باسلة للدِّفاع عن الأقصى والأرض المباركة؛ فواجب المسلمين دعمهم والوقوف معهم صفًّا واحدا ضدَّ اليهود المعتدين؛ حتَّى يقرَّ الله الأعين بالنَّصر والتَّمكين، وما ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ﴾[إبراهيم: 20، فاطر:17].

ألا وصلُّوا وسلِّموا –رحمكم الله– على من أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كما أمركم بذلك المولى جلَّ وعلا ووصَّى؛ فقال تعالى قولا كريما: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي يَاأَيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[الأحزاب].

عنوان الخطبة	إلى الموقعين عن ربِّ العالمين
الخطيب	عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس
الديوان	كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة
صفحات الديوان	84-70
صفحات المتن	163، 164.

الخطبة الاولى:

الحمد لله فالق الإصباح، وفارق أهل البغي من أهل الصَّلاح، المنزَّه في عظيم عليائه عن مشابهة الأرواح ومشاكلة الأشباح، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، شهادة زاكية الأرباح وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّدا عبد الله ورسوله، أرسله والحرمات تستباح، وحزب الكفر قد عمَّ الفجاج والبطاح، فلم يزل صلَّى الله عليه وسلَّم يرشد إلى الحقِّ بالحجج الوضاح وسمهريَّة الرِّماح، حتَّى ظهر دين الله وسرى في الآفاق سريان الرِّياح، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وأزواجه ومحبِّيه ما أزال الظُّلم الحنادس، ضوء الصَّباح، صلاة نحوز بها أعلى مراتب الفلاح وأسمى درجات النَّجاح ونتخلَّص بها من دركات الإثم والجناح وسلَّم تسليما كثيرا.

أما بعد:

فيا عباد الله، اتَّقوا الله ربَّكم وأطيعوه، وراقبوه ولا تعصوه، اتَّقوه جلَّ وعلا حقَّ التَّقوى، فليس لكم بغير التَّقوى حبل يقوى، ولا أمل يبقى.

أيُّها المسلمون، من عظم مقاصد شريعتنا الغرَّاء، حفظها لدين المكلَّفين، وذلك من جهتين –كما يقول الإمام أبو إسحاق الشَّاطبي رحمه الله–: «جهة وجوديَّة: تكفل إيجاده وتكوينه، وجهة عدمية تكفل حفظه وصيانته.» [الموافقات للشاطبي (18/2) بتصرف يسير.]

ومن المسلَّم لدى أهل الإيمان الحقّ، أنَّ مصدر تلقِّي المسلم لدينه: عقيدةً، وعبادةً، ومعاملةً وسلوكا تحليلا، وتحريما، تحاكما، وتحكيما، إنَّما هو: كتاب الله، وسنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم

فكما أنَّ لله وحده الخلق والتَّدبير، فله –جلَّ وعلا– الأمر والنَّهي؛ كما قال سبحانه: ﴿أَلاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبَّ العَالَمِيْنَ(54)﴾[الأعراف].

وقد حذَّر سبحانه من التَّلقِّي عن غير هذا المصدر الشَّرِّ؛ فقال تعالى وتقدَّس: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّيْنِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللهُ(21)﴾[الشورى].

إخوة الإسلام، كم ترتعد الفرائص، وتَوْجَلُ القلوب، وترى قسمات الاستنكار في الوجوه إذا حُذِّر المسلمون من الشّرك والقتل، والربا والزِّنى، ونحوها من الكبائر؛ لأنَّها معان لا تتهلَّل لها سبحات الوجوه؛ إذ هي ذنوب توعَّد الله عليها وعيدا شديدا في الدّنيا والآخرة، ولما لها من الآثار الخطيرة في تقويض حياة الأمة، وإيرادها موارد العطب والهلاك، ولا غرو؛ فالمعاصي وسائل هدمٍ وتدمير، ولكنَّها أنواع ودركات.

إذا كان ذلك كذلك –يا عباد الله– فهل تعلمون ما هو أخطر من ذلك كلِّه؛ بل ما هو أصل للشّرك والكفران، وأساس للبدع والعصيان، ما هو أغلظ وأنكى منها ومن جميع الفواحش والآثام، والجرائم والبغي والعدوان؟! إنَّه أصل الجرائم على الإطلاق، ذلكم هو: (القول على الله بغير علم).

يقول سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ(33)﴾[الأعراف].

فانظروا –يارعاكم الله– كيف قرن الله سبحانه القول عليه بلا علم، بالشِّرك به والبغي، والإثم والفواحش؟! بل لقد جاءت هذه المحرمَّات الأربع مرتَّبة على حسب مراتب الشِّدَّة فيها على سبيل التَّعلِّي، فأهونها أوَّلها، وأخطرها آخرها، ولا عجب؛ فما الشِّرك بالله إلاَّ ضرب من القول قال الحافظ ابن كثير–رحمه الله– عند هذه الآية: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ(33)﴾: (أي: من الافتراء والكذب؛ من دعوى أنَّ له ولداً ونحو ذلك، ممَّا لا علم لكم به.) [تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (409/3).]

إخوة الإيمان، إنَّ التَّحليل والتَّحريم حقٌّ لله وحده، فالحلال ما أحلَّه اللهُ، والحرام ما حرَّمه الله ولقد أنكر سبحانه على أقوام جعلوا مصدر التَّحليل والتَّحريم من قبل أهوائهم، فقال عزَّ من قائل: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُواْ عَلَى اللهِ الكَذِبَ إِنَّ الَّذِيْنَ

يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ(116) مَتَاعٌ قَلِيْلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ(117)﴾[النَّحل] وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِّزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً قُلْ ءَآللهُ أَذِنَ لَكُم أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُوْنَ(59) وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُوْنَ(60)﴾[يونس].

وإنَّ من أكبر الجنايات أن يتصدر المرء للخوض في دين الله تحريما وتحليلا، من غير علم ولا بصيرة، وهذا –مع كونه جناية عظمى– ففيه سوء أدب مع الله تبارك وتعالى، حيث يتقدَّم بين يديه فيقول في دينه وشريعته ما لا يعلم، وتلك –والله– أمارة ضعف الإيمان، وقلَّة الدِّيانة، بل ونقص العقل والمروءة.

إخوة العقيدة، لقد رسم النَّبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده السَّلف الصَّالح –رحمهم الله– المسلك الوضَّاء في هذه القضيَّة الخطيرة، ديانة وورعا وتثبّتا:

فهذا أعلم الأمَّة وإمامها صلى الله عليه وسلم يسأل عمَّا لم ينزل عليه فيه وحي، فينتظر حتَّى ينزل عليه الوحي، وآيات ﴿يَسْئَلُونَك﴾ في الكتاب العزيز غير قليلة.

وهكذا كان الأجلان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فهذا أبو بكر –رضى الله عنه– يقول: "أيُّ سماء تظلُّني، وأيُّ أرض تقلُّني؛ إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟!"[رواه أبو عبيد في (فضائل القرآن) (ص375)، والطبري في (تفسيره)(58/1)، وابن عبد البر في (جامع بيان العلم) (1561).]، وها هو عمر –رضي الله عنه– تنزل به الحادثة، فيجمع لها أكابر الصَّحابة ويستشيرهم فيها، قال ابن سيرين –رحمه الله تعالى– : "لم يكن أحد بعد النَّبي أهيب لما لا يعلم من أبي بكر، ولم يكن أحد بعد أبي بكر أهيب لما لا يعلم من عمر."[رواه ابن عبد البر في (جامع بيان العلم) (1555)، انظر: (صحيح مسلم) (1706)، و(تاريخ الطبري) (480،481/3)،(57/4).]

وقال ابن مسعود –رضي الله عنه– "إنَّ الَّذي يفتي النَّاس في كلِّ ما يسألونه لمجنون." [رواه الدامي (176)، وابن عبد البر في (جامع بيان العلم)(2206).] وقال أيضا: "من سئل منكم عن علم هو عنده فليقل به، فإن لم يكن عنده، فليقل: الله ألعم؛ فإنَّ من العلم أن تقول لما لا تعلم: الله أعلم." [رواه أحمد(431/1)، البخاري(4809)، ومسلم (2798).]

ورحم الله الإمام الشَّعبي حينما سئل عن مسألة، فقال: لا أدري، فقال له أصحابه: إنَّا نستحيي لك من كثرة ما تسأل فتقول: لا أدري، فقال:((لكنَّ الملائكة لم تستحي حين قالت: ﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾)) [رواه الخطيب في (الفقه والمتفقه)(1123).]

وكان عطاء بن أبي رباح يقول: ((لا أدري نصف العلم)) [أورده الذهبي في (سبر أعلام النبلاء)(85/5).]

وقال بعضهم: ((إذا أخطأ العالم (لا أدري)، فقد أصيبت مقاتله.)) [أنظر: (أخلاق العلماء) للآجري (ص115)، و(جامع بيان العلم)(1580)، و(الفقه والتفقه)(1112،1113).]

وفي تدافع الفتوي، وذمِّ المسارعة إليها يقول عبد الرَّحمن بن أبي ليلى-رحمه الله-: ((أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما كان منهم محدث إلاَّ ودَّ أنَّ أخاه كفاه الحديث، ولا مفت إلاَّ ودَّ أنَّ أخاه كفاه الفتيا.))[رواه الدارمي (137)، وابن عبد البر في (جامع بيان العلم)(2199).]

وهذا إمام دار الهجرة –رحمه الله- يقدم عليه رجل من مسافة بعيدة، فيعرض عليه أربعين مسألة، فيجيب عن أربع منها، ويقول في ستٍّ وثلاثين: الله ألعم، فيقول له الرَّجل: أنت مالك بن أنس، إليك تضرب أكباد الإبل، وإليك الرِّحلة من كل بلد، وتقول: الله أعلم؟! ماذا أقول لأهل بلدي إذا رجعت إليهم؟ قال: تقول لهم: ((إنَّ مالكا يقول: الله أعلم!))[أنظر: (التمهيد)(73/1) و(ترتيب المدرك) للقاضي عياض (81/1).]

وكان الإمام أحمد –رحمه الله- كثيرا ما يسأل، فيتوقَّف، أو يقول: لا أدري، أو نحو ذلك. [رواه الخطيب في (الفقيه والتفقه)(1126).]

وقال سحنون بن سعيد-رحمه الله-: ((أجرأ النَّاس على الفتيا أقلَّهم علما، يكون عند الرَّجل الباب الواحد من العلم، يظن أنَّ الحقَّ كلَّه فيه!)) [رواه ابن عبد البر في (جامع بيان العلم)(2211).] وقال بشير الحافي-رحمه الله-: ((من أحبَّ أن يسأل، فليس بأهل أن يسأل.)) [رواه الخطيب في (الفقيه والمتفقه) (1084).]

وقال الخطيب البغدادي-رحمه الله-: ((قلَّ من حرص على الفتوى، وسابق إليها، وثابر عليها –إلاَّ قلَّ توفيقه، واضطرب في أمره، وإذا كان كارها لذلك، غير مختار له، وما وجد مندوحة))[مندوحة

أي سعة وفسحة (النهاية) و(اللسان) (ندح).] عنه وقدر أن يحيل بالأمر فيه على غيره –كانت المعونة له من اله أكثر، والصَّلاح في فتاويه وجوابه أغلب.» [الفقه والمتفقه) (350/2).]

معاشر المسلمين، إذا كان هؤلاء الأئمة–مع جلالة قدرهم، وعظم مكانتهم –يسلكون مسالك التَّورع والتَّثبُّت، كيف هي الحال الآن؟! الله المستعان!

وعن مالك قال: «أخبرني رجل أنَّه دخل على ربيعة، فوجده يبكي، فقال: ما يبكيك؟ أمصيبة دخلت عليك؟! وارتاع لبكائه، فقال: لا، ولكن اسْتُفْتِيَ من لا علم له، وظهر في الإسلام أمر عظيم! قال ربيعة: ولَبعض من يفتي ههنا أحقُّ بالحبس من السُّراق.»

قال بعض العلماء: «كيف لو رأى ربيعة زماننا؟!»[أنظر: أدب الفتوى لابن الصلاح (ص35).]

قلت: فكيف لو رأى هذا العالم عصرنا؟!

وفي الصحيح، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص–رضي الله عنهما– عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من النَّاس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالمان اتَّخذ النَّاس رءوسا جهالا، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا.»[رواه البخاري(100)، ومسلم(2673).]

وكم رأى الغيور نزلاء في حلائب العلم والمعرفة، وهم ليسوا منهما في شيء؟! ديدنهم الجرأة على الفتوى والتجاسر على التَّحليل والتحريم [أي: الجراءة في الإقدام عليهما.(اللسان) (جسر).] يتكلمون بما لا يعلمون ويجملون ولا يفصلون ويهرفون [يهرفون: أي يمدحون بلا خبرة ومنه المثل (لا تهرف بما لا تعرف) أي: لا تمدح قبل التجربة. انظر (النهاية)و(اللسان)(هرف).] ويسفسطون [يسفسطون: أي يستعملون السفسطة في كلامهم والسَّفسطة: قياس مركَّب من الوهميات، والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته.(التعريفات)(ص181).]

وهم من أجهل النَّاس في أحكام الشَّريعة إذا سمعت أحدهم يتكلَّم فكأنَّما ينزل عليه وحيٌ من جزمه فيما يقول وعدم تورُّعه، ولربَّما نسب ما يراه إلى الإسلام، ترى أحدهم يجيب في عظيم المسائل ممَّا لو عرض على عمر لجمع له أهل بدر، وكم يتملَّك العجب وأنت تسمع عبارات

التَّعظيم لذواتهم، والتَّعالي في نفوسهم، قاموسهم: رأينا كذا، ترجيحنا، اختيارنا والَّذي نراه، ونحن وهلمَّ جرًّا.

يقولون هذا عندنا غير جائز *** ومن أنتم حتَّى يكون لكم عند؟!

وما علم هؤلاء أنَّ الجرأة على الفتوى جرأة على النَّار، وأنَّ التَّجاسر عليها اقتحام لجِراثيمها والعياذ بالله! بل لقد وصل الحال ببعض العوامِّ إلى أن يفتي بعضهم بعضا، وأصبح الحديث في علوم الشَّريعة بضاعة كلِّ متعالم مأفونٍ [رجل أفين، ومأفون أي ناقص العقل (اللسان) (افن).]، حتَّى ساموا باعة البقول عددا، وتكلَّم بعض الرُّويبضة [الرُّويبضة: تصغير الرَّابضة، وهو العاجز الذي ربض عن معالي الأمور، وقعد عن طلبها، وزيادة التاء للمبالغة.(النهاية) (ربض).]

واستطالوا على منازل العلماء، ومقامات العظماء للتَّغيير والتَّبديل، بدعوى تغيُّر الزَّمان، ووجد من يتنصَّل من الفتوى بأمور جاء تحرينها ممَّا علم من الدِّين بالضَّرورة، وكثر التَّحايل على الشَّريعة.

وطالب بعض مثقفي العصر بالترخيص، ليتفلَّت من الأحكام فطالب بعضهم بإعادة النَّظر في حرمة الرِّبا، أو بعض صوره، وآخرون بالتجاسر على حجاب المرأة المسلمة، وهكذا في سيل من التَّلاعب بأمور الشَّريعة، وعمدت بعض وسائل الإعلام، وقنواته المسموعة والمقروءة والمرئية إلى إثارة قضايا كلِّية من الدِّين مع بعض المتعالين ممَّن:[البيت ذكره ابن القيم في (إعلام الموقعين) ويكذلك أي يقول: كذلك قال فلان ؛ بدون دليل من كتاب أو سنة. أنظر: (إعلام الموقعين)(208/4).]

يمدُّون للإفتاء باعا قصيرة *** وأكثرهم عند الفتاوى يكذلك

فالويل لكلِّ من ارتقى هذا المرتقى الصَّعب، فأضلَّ فئاماً من الأمة ممَّن سيحملون أوزارهم وأوزارا مع أوزارهم، ﴿وَلَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ القِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُوْنَ(13)﴾[العنكبوت].

وإنَّ الواجب حماية لبيضة الإسلام، ودفاعا عن أحكامه وتشريعاته –أن يحجر على كل متكلِّم في الشَّريعة –تحليلا وتحريما– وهو لا يحسن؛ فالحجر لاستصلاح الأديان أولى من الحجر لاستصلاح الأموال والأبدان، والغيرة على الشَّريعة من المكارم؛ وهي أولى من الغيرة على المحارم، ووالله إنَّه ليحرم على من لا يهتدي لدلالة القرآن، ولا يعرف السُّنَّة والآثار، أن يتسنَّم سدَّة العلم، ويتصدَّر في مجال الإفتاء، وقد قيل لسفيان الثَّوري –رحمه الله– في ذلك؟ فقال: "إذا كثر الملاَّحون غرقت السَّفينة"[المحدث الفاصل بين الراوي والواعي (ص560).]

وليعلم هؤلاء أنَّهم بكلامهم في الشَّريعة إنما يرقِّعون عن ربِّ العالمين سبحانه، وأنَّ الفتاوى نار تضطرم وكم تسمع من فتاوى لا زمام لها ولا خطام، تبنى على التَّجرِّي لا على التحرِّي، لا تقوم على قدم الحقّ، فتعنت الخلق، وتشجي الحلق [أشجاه الشيء: أغصَّه، وأشجاه العظم: إذا عرض في حلقة (اللسان) (شجو).]وحُقَّ لهؤلاء أن تسلم الأمَّة من لأوائهم [اللأْواء: المشقة والشدة (اللسان)(لأي).]، وتحذر من غلوائهم..

وإن رغمت أنوف من أناس *** فقل يا ربِّ لا ترغم سواهم

روى ابن سيرين –رحمه الله– أنَّ عمر –رضي الله عنه– قال لأبي مسعود البدريِّ –رضي الله عنه– ((أنبئت أنَّك تفتي ولست بأمير؛ فولِّ حارَّها من تولِّي قارَّها)) [من أمثالهم: (ولَّ حارَّها من ولَّى قارَّها؛ يضربونه في وضع الشيء موضعه الذي يستحقه وأراد عمر–رضي الله عنه– هنا ولِّ شرها من تولَّى خيرها. أنظر (النهاية) و(اللسان) (قرر)، و(مجمع الأمثال) (369/2).]

قال الإمام الذَّهبي –رحمة الله– في (السِّير): وهذا يدلُّ على أنَّ للإمام أن يمنع من يفتي بلا إذن. وذكر الخطيب البغداديُّ، بسنده، عن حمَّاد بن زيد –رحمهما الله– ((أنَّه سمع منادي في المدينة ينادي: أن لا يفتي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى مالك)) [تاريخ بغداد (436/10).]

ولذلك فإنَّ الواجب أن يقوم بهذا العمل المؤهلون دون المتعالمين والأصلاء دون الدخلاء حفظا لدين الأمَّة، وتوحيدا لكلمتها، وضبطا لمسالكها ومناهجها؛ لتكون مبنيَّة على الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمَّة– رحمهم الله– وبذلك تسلم الأمَّ من غوائل [الغوائل: جمع غائلة وهي الداهية (اللسان)(غول).] المحن، وبواعث الفتن، وتوجد العواصم–بإذن الله– من قواصم لجريمة الشَّنيعة وهي القول على الله بغير علم.

والله المسئول أن يعصمنا من الزَّلل، ويحفظنا من الشَّر والخطل، وأن يرزوقنا العلم وصالح العمل، فهذا هو عظيم الرَّجاء وكبير الأمل، بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعني الله وإياكم بما فيه من الهدى والبيان، وثبَّتنا وإيَّاكم على الحقِّ والإيمان، ورزقنا اتِّباع سنَّة المصطفى من ولد عدنان.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين، من كلِّ ضروب الذُّنوب والعصيان فاستغفروه وتوبوا إليه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله العليِّ الكبير، العليم القدير، المتفرد بالخلق والأمر والتَّدبير، وأشهد أن لا إليه إلاَّ الله وحده لا شريك له، نعم المولى ونعم النَّصير، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّدا عبد الله ورسوله البشير النَّذير السِّراج المنير، هو للأنبياء لبنة ختامهم، وللرُّسل مسك تمامهم، صلى الله وسلم وبارك عليه وعى آله وصحابته النُّجبا، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتفى.

فاتَّقوا الله –عباد الله ﴿وٱتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيْهِ إِلَى الله(281)﴾[البقرة] واعلموا أنَّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمَّد صلى الله عليه وسلم، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكلَّ بدعة ضلالة.

عباد الله إذا التمست أسباب هذه القضية، وهي: القول على الله بغير علم، فإنَّ أهمَّها: ضعف الوازع وقلَّة الرَّادع، والتقَّصير في التَّقوى والإيمان، والوقوع في مخالفة الواحد الدَّيَّان، وعدم المنهج الصحيح في التَّلقي والتَّحصيل؛ إضافة إلى داء الشُّهرة وحبِّ الظُّهور، واستشراء التَّعالم المذموم وقعود الأكفاء عن البلاغ والبيان، ولا يمنعنَّ بعض المؤهّضلين ورع كاذب، وتثبذُت بارد، من تبليغ ما يعلم من دين الله، عزَّ وجلَّ فلا تنافي بين التَّثبُّت ممَّا لا يعلم، وتبليغ ما يعلم.

وعلاج هذا الدَّاء: بتقوى الإيمان، والخوف من الله في النُّفوس، والسَّير على المنهج الصَّحيح في التَّعلُّم والأخذ من أهل العلم، والرَّدِّ إليهم للبيان والإيضاح؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِى الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِيْنَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ(83)﴾[النساء]، ولا سيَّما في المعضلات.

ومن صور العلاج: القراءة في سير الأسلاف، والتَّحلِّي بأدب الخلاف، والتَّواضع الجمُّ، والورع الصَّادق وقبل ذلك وبعده: إخلاص النِّيَّة لله، وسؤاله التَّوفيق والتَّسديد، سبحانه لا علم لنا إلاَّ ما علَّمتنا؛ إنَّك أنت العليم الحكيم.

هذا؛ واعلموا–رحمكم الله– أنذَ من أفضل أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم وأحقِّها بشفاعة نبيِّكم صلى الله عليه وسلذَم كثرة صلاتكم وسلامكم عليه، كما أمركم بذلك ربُّكم؛ فقال تعالى قولا كريما: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيْماً(56)﴾[الأحزاب].

عنوان الخطبة	القول المحجَّل في سيرة الإمام المبجَّل
الخطيب	عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس
الديوان	كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة
صفحات الديوان	601-587
صفحات المتن	173 -171.

الخطبة الأولى:

الحمد لله، جعل في كلِّ زمان فترة من الرُّسل؛ بقايا من أهل العلم العالمين، ينفون عن دين الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، أحمده تعالى وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره وأسأله لي ولسائر المسلمين الهدى واليقين، والعزَّ والنَّصر والتَّمكين.

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وليُّ المؤمنين، وخالق الخلق أجمعين، وقيُّوم السَّموات والأراضين وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّدا عبده ورسوله؛ إمام المتَّقين، وأشرف الأنبياء والمرسلين، وقائد الغُرِّ المحجَّلين وصلَّى الله وسلَّم وبارك عليه وعلى آله الطَّيبين الطَّاهرين، وصحابته الغرِّ الميامين، والتَّابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعد: فأوصيكم –عباد الله– ونفسي بتقوى الله، فاتَّقوا الله –رحمكم الله– ﴿واتقوا الله ويعلِّمكم الله﴾[البقرة:282].

عباد الله، إنَّ في تاريخ العظماء لخبرا، وإنَّ في سير العلماء لعبرا، وإنَّ في أحوال النُّبلاء لمدَّكرا وأمَّتنا الإسلامية أمَّة أمجاد وحضارة، وتاريخ وأصالة، وقد ازدان سجلُّها الحافل عبر التَّاريخ بكوكبة من الأئمَّة العظماء والعلماء الأفذاذ الكرام، يمثِّلون عقد جيدها، وتاج رأسها ودرِّيَّ كواكبها، كانوا في الفضل شموسا ساطعة، وفي العلم نجوما لامعة؛ فعدُّوا بحقِّ أنوار هدًى، ومصابيح دجًى، وشموعا تضيء –بمنهجها المتلألىء، وعلمها المشرق الوضاء –غياهب الظُّلم، تبدِّدها أنوار العلوم والحكم.

إخوان الإيمان، في تاريخ الإسلام علماء ربَّانيُّون، وأعلام عاملون، وأئمَّة مهديُّون، هم من منَّة الله على هذه الأمَّة، قاموا بالإسلام وللإسلام؛ يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصِّرون به أهل العمى ويرشدون من ضلَّ منهم إلى الهدى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه! وكم من ضلَّ تائه قد هدوه!ى يقتبسون من نور الوحي، ويسيرون على مشكاة النُّبوَّة، عقيدة وعلما وعملا، ومنهجا ودعوة، فكم نفع الله بهم من البلاد! وكم هدى بهم من العباد! وإنَّ ارتباط الأجيال اللاَّحقة، والنَّاشئة المعاصرة: بسلفهم من العلماء الأفذاذ؛ ينتفعون بسيرتهم، أهمِّ الأمور الَّتي ينبغي أن نعنى بها دائما وأبدا؛ لا سيَّما العلماء وطلاَّب العلم، والدُّعاة إلى الله، ورجال الحسبة والإصلاح؛ كيف لا، ونحن نعيش في أعقاب الزَّمن؛ حيث كثرت الفتن، وطمَّت المحن، واستحكمت الأزمات، وعمَّت الخلافات وتباينت المشكلات والمعضلات، واشتدَّت التَّحديات والمؤامرات، ولا مخلص منها إلاَّ الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة والسَّير على منهج علماء سلف الأمَّة –رحمهم الله– الَّذين يعدُّون أمثلة حيَّة، ونماذج فريدة تمثِّل التّطبيق الحيَّ السَّليم، والمنهج العلميَّ الصَّحيح للإسلام؛ عقيدة وسلوكاً؛ ولهذا قال بعض أهل العلم: ((سِيَرُ الرِّجال أحبُّ إلينا من كثير من الفقه))، غير أن لا عصمة لأحد من سائر النَّاس والتعصُّب للرِّجال مذموم، وخير الهدي هدي من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلاَّ وحي يوحى صلَّى الله عليه وسلَّم.

أمة الإسلام، وكان من أجلِّ هؤلاء الأئمَّة، وأفضل هؤلاء العلماء، عالم لا كالعلماء، وعلمٌ لا كالأعلام وجبل أشمُّ، وبدر أتمُّ، وحبرٌ، وطودٌ شامخ، ويعدُّ بجدارة: إمام القرن الثَّالث الهجريِّ، فريد عصره، ونادرة دهره، قلَّ أن يجود الزَّمان بمثله، إنَّه أئمة في شخص إمام، وأمَّة في رجل؛ قال عنه الإمام الشافعي –رحمه الله– «خرجت من العراق فما خلَّفت فيه رجلا أفضل ولا أعلم ولا أتقى لله منه»[البداية والنهاية، لابن كثير(406/14).]

وقال عنه الإمام الذَّهبي –رحمه الله–: ((عالم العصر، وزاهد الدَّهر، ومحدث الدُّنيا، وعلم السُّنة وباذل نفسه في المحنة، قلَّ أن ترى العيون مثله، كان رأسا في العلم والعمل، والتَّمسُّك بالأثر؛ ذا

عقل رزين، وصدق متين، وإخلاص مكين، انتهت إليه الإمامة في الفقه والحديث، والإخلاص والورع، وهو أجلُّ من أن يمدح بِكَلِمِي، أو أن أفوه بذكره بفهمي".

أتدرون –يا رعاكم الله– من هو؟ من ذا الَّذي تعطَّرون أسماعكم بذكر سيرته؟ إنَّه إمام أهل السُّنَّة: الإمام الفذُّ، والعالم الجهبذ، الإمام الفاضل، والعالم المبجَّل؛ أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل –رحمه الله– من عرفته الدُّنيا، وذاع ذكره، وشاع صيته في الآفاق؛ إماما عالما، فقيها محدِّثا ومجاهدا صابرا، لا يخاف في الله لومة لائم ويتحمَّل المحن في سبيل الله، والذَّبِّ عن سنَّة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، ويقارع الباطل بحكمة نادرة، لا تزعزعه الأهواء، ولا تميد به العواصف؛ حتَّى عُدَّ قمَّة عصره وما بعد عصره، وأجمع على جلالته وقدره، إلاَّ عند من لا يعبأ بهم.

قال عنه الإمام يحي بن معين –رحمه الله–: «أراد النَّاس منَّا أن نكون مثل أحمد! لا والله، ما نقوى على ما يقوى عليه أحمد، ولا على طريقة أحمد!». [البداية والنهاية، لابن كثير (309/13).]

أيها الإخوة في الله على ثرى بغداد؛ ولد الإمام ونشا وترعرع ومن أصل عربيّؤ أصيل انحدر نسبه –رحمه الله– وعلى عصاميَّة اليتم؛ تربَّى ودرج في صباه؛ ممَّا ساعد على سموِّ نفسه، وعلوِّ همَّته ونمو مداركه، وتعرُّفه على أحوال مجتمعه، وكانت بغداد آنذاك حاضرة العالم الإسلامي، ومهد العلوم والحضارة، تموج بأنواع الفنون والمعارف وتزخر بشتَّى الأفكار والعلوم؛ وعصره عصر نضوج الفقه وظهور الفقهاء، واشتداد الحوار الفكري بين العلماء، مع عدم استقرار الحالة السِّياسيَّة، وكثرة الفتن ممَّا ساعد على حسن توجُّه الإمام –رحمه الله– فاتَّجه ذا تحصيل العلم ولزوم السُّنَّة، فلم يحرِّض على فتنة، ولم يواجه ذا سلطان، مع قوَّة في الحقِّ، وحبٍّ للخلق، وذبٍّ عن السُّنَّة، وتحذير من البدعة.

معاشر المسلمين، لقد أقبل الإمام الرَّقيق النَّحيل، والرَّبعة من الرِّجال، ذو اللَّون الأسمر والتَّواضع الجمِّ ينهل من العلم؛ فحفظ القرآن، واقبل على الحديث والأثر؛ حتَّى حفظ مئات الآلاف من الأحاديث، وما كتابه "المسند" إلاَّ دليل على طول باعه في علم السُّنَّة، في مجال الرِّواية، وقد جمعه من أكثر من سبعمائة وخمسين ألف حديث، واستغرق في جمعه أكثر من خمس عشرة سنة.

أمَّا الدِّراية: فـ((هو ابن بجدتها))، و((كلُّ الصَّيد في جوف الفرا))، ملتزما بفقه السُّنَّة والعناية بالدَّليل والأثر والأخذ بفتاوى الصَّحابة –رضي الله عنهم- رحل في طلب العلم إلى كثير من البلدان حتَّى قال عنه ابن كثير –رحمه الله-: ((لقد طاف في البلاد والآفاق؛ ليسمع من المشايخ، وكانت له همَّة عالية في الطلَّب والتَّحصيل؛ فما ترك لحظة من لحظات شبابه وكهولته، إلاَّ حرص فيها على سماع حديث، أو تصحيح رواية، وما قصَّته في سماعه من الإمام عبد الرَّزَّاق بن همَّام الصَّنعانيِّ في مكَّة وسفره معه إلى بلاده –مع بعد الشُّقَّة وانقطاع النَّفقة –إلاَّ دليل على علو الهمَّة ومضاء العزيمة، وحتَّى عدُّ حافظ زمانه.

قال عنه ابن المدينيِّ:«ليس في أصحابنا أحفظ منه» [مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ابن الجوزي (ص38).]وقيل لأبي زُرعة: من رأيت من المشايخ المحدِّثين أحفظ؟ فقال: ((أحمد بن حنبل حزرت كتبه في اليوم الَّذي مات فيه، فبلغت أثني عشر حملا وعدلا، ما كان على ظهر كتاب منها: ((حديث فلان)) ولا في بطنه: ((حدَّثنا فلان)) وكلُّ ذلك كان يحفظه عن ظهر قلبٍ)). [المصدر نفسه، ص75.]

ومع هذا العلم الجمِّ: فقد خاف الإمام على نفسه البروز والشُّهرة والتَّصدُّر؛ فلم يجلس للتَّدريس إلاَّ بعد الأربعين من عمره؛ كما قال ابن الجوزيِّ –رحمه الله- وما ذاك إلاَّ مراعاة لسنِّ النُّضج والاستيثاق من العلم، وكان من شدَّة ورعه –رحمه الله- لا يحدِّثُ إلاَّ من كتاب؛ خشية الزَّلل مع قوَّة حافظته، وشدَّة عارضته، ولا يسمح بتدوين فتاواه، ولا يرى تأليف الكتب؛ ورعا منه –عليه رحمة الله- قيل: إنَّه لسعة علمه، أجاب عن ستِّين ألف مسألة بـ ((قال الله))، و((قال رسول صلَّى الله عليه وسلَّم))، و((فتاوى الصَّحابة، رضي الله عنهم)).

إخوة العقيدة، ومن أهمِّ جوانب حياة الإمام أبي عبد الله –رحمه الله- منهجه في العقيدة، والتزامه نهج الكتاب والسُّنَّة، وما عليه سلف الأمَّة؛ في التَّوحيد، والصِّفات، وإنزال القرآن؛ حتَّى ربط موقفه في محنته بموقف الصِّديق –رضي الله عنه- يقول عليُّ بن المدينيِّ: «لقد أعزَّ الله الإسلام

برجلين: بأبي بكر يوم الفتنة، وبأحمد بن حنبل يوم المحنة.» [مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ابن الجوزي، ص148.]

ولم يكن الإمام –رحمه الله– بمعزل عن الأمَّة والمجتمع، بل كان عالما عاملا، مصلحا مجاهدا آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر؛ لكنَّه –مع ذلك– يلتزم مسالك الرِّفق والحكمة، موافقا للجماعة بعيد النَّظر في الإصلاح؛ يقول ابن عمِّه حنبل بن إسحاق بن حنبل –رحمه اله– فيما أخرجه الخلاَّل في كتاب ((السُّنة)): «اجتمع فقهاء بغداد في ولاية الواثق إلى أبي عبد الله – يعني الإمام أحمد، رحمه الله –وقالوا له: يا أبا عبد الله، إنَّ الأمر قد تفاقم –يعنون إظهار القول بخلق القرآن وغير ذلك –ولا نرضى بإمارته وسلطانه، فناظرهم في ذلك، وقال: عليكم بالإنكار في قلوبكم، ولا تخلعوا يدا من طاعةٍ، لا تشقُّوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم، وانظروا في عاقبة أمركم واصبروا حتَّى يستريح برٌّ، ويستراح من فاجر، وقال: ليس هذا صواباً –يعني: نزع اليد من الطَّاعة – هذا خلاف الآثار.» [السنة، أبي بكر الخلال (134/1).]

وفي ذلك عبرة على مدى التَّاريخ: أنَّ سلطان العلم لابدَّ له من منهج سليم، يتَّخذ مع سلطان الحكم تحقيقا للمصالح، ودرءا للمفاسد، وتجنيبا للأمَّة غوائل الشُّرور وعاديات الفتن، الله أكبر! ما أعظم العلم! وما أهمَّ الفقه! وما أجلَّ مكانة العالم إذا ثبت على السُّنة، ولم تستلمه العواطف، ونظر بعين الحكمة في مصالح الأمَّة!

أمَّة الإسلام، ولقد ضرب الإمام أروع الأمثلة في الثَّبات على المبدأ، والصَّبر أمام الفتن؛ لقد أوذي وسجن، وضرب وأهِيْنَ، فلم تلن له قناة، وبذل مهجته في سبيل الله، ولم يتزحزح عن حقٍّ يراه ولو كلَّفه حياته وهذه دروس للعلماء والدُّعاة في كلِّ زمان ومكان، لقد سخر بالأهوال الَّتي حاقت به، والمخاطر الَّتي حفَّت به والمؤامرات الَّتي أحيكت ضدَّه، وهزئ بالسياط الَّتي ألهبت ظهره، ولم يبال بالحديد الَّذي كبِّل به، والسِّجن الَّذي أودع فيه؛ وبالتَّالي: ثبت أمام المغريات كلُّ ذلك هيِّنٌ ما دام في سبيل الله، وصيانة كتابه من عبث العابثين وحفظه من عقائد المخالفين.

أيُّها الأحبَّة، وصفحة أخرى في حياة هذا الإمام الهمام، صفحة العبادة وتصفية الرُّوح، وتزكية النَّفس بالصَّلاة والذِّكر، والدُّعاء والتِّلاوة وكذلك صفحة الخلق الرَّفيع، والسَّجايا الحميدة؛ زهد وحياء

تواضع وورع تعفُّف وجود، بذل وكرم، حبٌّ للفقراء والمساكين، بعد عن الشُّهرة والأضواء، وحبِّ الظُّهور وكثرة الجماهير ومجانبة للرِّياء وضعف الإخلاص، قال ابنه عبد الله: «كان أبي أحرص النَّاس على الوحدة، لم يره أحد إلاَّ في المسجد، أو حضور جنازة، أو عيادة مريض، وكان يكره المشي في الأسواق، ولا يدع أحدا يتبعه»[مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ابن الجوزي، ص.373.]، وتلك – والله– مقامات العظماء، ومناهج العلماء الأتقياء!!

فاتَّقوا الله –عباد الله– اتَّقوا الله يا علماء الشَّريعة، اتَّقوا الله يا دعاة الإسلام، ويا طلاَّب العلم، ويا أرباب الإصلاح! وليت الأمَّة اليوم، وليت شبابها يتوجَّهون بعقولهم إلى علماء سلفهم وليتذكَّروا القدوة الصَّالحة والأسوة الحسنة؛ حتَّى تحيا في أنفسهم سيرة سلفهم الصَّالح– رحمهم الله– فسيرتهم خير سبيل لسعادة الدُّنيا والآخرة، وضمانة من الفتن، وبعد عن المحن، والله المستعان.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوُا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً(23) لِّيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَّ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ المُنَافِقِيْنَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِم إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً(24)﴾[الأحزاب].

نفعني الله وإيَّاكم بالقرآن العظيم، وبسنَّة سيِّد المرسلين، وبسير سلفنا الصَّالحين.

أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه، وتوبوا إليه ؛ إنَّه كان للأوَّابين غفواً.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله الملك الحقُّ المبين، منَّ على المسلمين بأئمَّة هداة مهتدين وعلماء صادقين عاملين، واشهد أنَّ نبيَّنا محمَّدا عبده ورسوله الَّذي أكمل به الدِّين وأرسله رحمة للعالمين، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه الرَّاشدين المرشدين، والتَّابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعد:

فاتقوا الله –عباد الله– ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ(281)﴾[البقرة].

واعلموا –يا رعاكم الله– أنَّ الأمَّة إذا لم تعتزَّ بماضيها، وسير علمائها، ولم تفد من تاريخها وأمجاد سلفها – ضيَّعت حاضرها ومستقبلها، واضطربت مكانتها، وتخبَّط أجيالها. وسير سلفها الصالح –رحمهم الله– شموع على طريق العلم والدَّعوة والإصلاح؛ بهم يستفاد في تصحيح المسار وتوجيه المسيرة، وتوازن الخطا، ولقد ضلَّ أقوام زهدوا بسير سلفهم، والتفتوا – يمنة ويسرة – يخبطون في شتَّى المذاهب، ويتذبذبون بين جديد المشارب ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُم وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُم الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً(83) ﴾[النساء].

أيُّها الإخوة في الله، وحينما نقلِّب صفحة أخرى من حياة هذا الإمام، نرى العجب العجاب! إنَّه الجانب الأسريُّ والتَّربوي، فلم تشغله هموم العلم والدَّعوة، والإصلاح والجهاد، عن أسرته وحسن عشرته لأهله وزوجته يقول الإمام أحمد –رحمه الله: «تزوَّجت أمَّ صالح فأقامت معي ثلاثين سنة، فما اختلفت أنا وهي في كلمة واحدة.» [مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ابن الجوزي، ص.403.]

أيها الإخوة في الله، وثمَّة صفحة أخرى من سجلِّ هذا الإمام الخالد، هي: إنصافه للمخالف وسلامة صدره للمسلمين، وتقديره لأهل العلم وإن اختلف معهم، ولما عتب عليه بعضهم، وأرادوا إثارة الخلاف بينه وبين الشَّافعي، قال: «ما رأت عيناي مثل الشَّافعيّ»، وقال «إني لأدعو الله للشَّافعي منذ أربعين سنة.»[البداية والنهاية، ابن كثير(135/13).]

ولو أردنا أن نقلِّب صفحات حياة هذا الإمام كلِّها، لطال المقام، ولكن حسبنا الإشارة والتَّذكير؛ فاء لقدر علمائنا، وأداءً لبعض حقِّهم علينا، وربطا للنَّاس بسيرهم الَّتي ورثوها عن المنهج النَّبوي، واستقوها من معين الوحي، في بعد عن التَّعصب المذهبي، والمسلك التَّحزُّبي، وفي مجانبة لمسالك الغلوِّ في الأئمَّة، أو الجفاء لهم، والحطِّ من مكانتهم.

أيُّها المسلمون، وبعد حياة حافلة بالخير بجميع جوانبه، قدَّم فيها أبو عبد الله جهده وجهاده وأيقظ في الأمَّة الاعتزاز بالإسلام، وشدَّة التَّمسك بالسُّنة، والمنهج الصَّحيح، وبعدها مرض –رحمه الله– بالحمى، يقول ابنه عبد الله: ((لما حضرت أبي الوفاة، جلست عنده، فجعل يعرق ثمَّ يفتح عينيه، ويقول بيده: لا بعد، ولا بعد ثلاث مرَّات، ففعل هذا مرَّة ثانية وثالثة، فلمَّا كانت في الثَّالثة قلت له: يا أبت، إنَّك قلت كذا وكذا، فقال: ما تدري؟! هذا إبليس قائم حذائي، عاضٌّ على أنامله، يقول:

فُتَّنِي يا أحمد، وأنا أقول: لا بعد، حتَّى أموت.» [مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ابن الجوزي، ص.547.]وقال صالح: «جعل أبي يحرِّك لسانه بالشَّهادة حتَّى توفِّيّ –رحمه الله– وله سبع وسبعون سنة وأيَّام.» [المصدر نفسه، ص.548-549.]

وقد شهدت جنازته –كما تقول كتب السّير– جموع لم يشهد مثلها، حتَّى قيل: إنَّ غير المسلمين أسلموا ذلك اليوم، وكان –رحمه الله– يقول: «قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم يوم الجنائز» [مناقب الإمام أحمد بن حنبل ابن الجوزي ، ص.560.]، وأوصى –رحمه الله– عند موته وذرِّيَّته وللمسلمين خيرا.

تلكم –يا رعاكم الله– صفحات ناصعة، وذلكم غيض من فيض، لا يوفَّى الإمام حقَّه، وكم من معان يعجز اللّسان عن تصويرها وحياة الإمام كلُّها معان ومواقف، حسبه: أنَّه إمام السُّنَّة في علمه وعمله، ودعوته وجهاده، وأنَّه حرب على الجهل والانحراف والبدعة، وقد خلَّف للأمَّة تراثا علميا، ومذهبا فقهيّاً، له من المزايا والخصائص ما ليس لغيره، فرحمه الله رحمة واسعة، ورفع منزلته في علِّيين، مع النَّبيين والصِّدقين والشُّهداء والصَّالحين، وحسن أولئك رفيقاً!!

وثمَّة تنبيه أخير، هو: أنَّ الحديث عن عالم ليس حطّاً من مكانة غيره من العلماء؛ فأبو حنيفة، ومالك والشَّافعي –رحمهم الله جميعا– وسائر الأئمة، لهم حظُّهم الوافر، في خدمة الإسلام وأهله، فرحمهم الله رحمة واسعة، ورزقنا السَّير على مناهجهم؛ إنَّه خير مسْئول، وأكرم مأمول!!

هذا؛ وصلُّوا وسلِّموا –رحمكم الله– على خير الورى، النَّبي المصطفى، والحبيب المجتبى؛ كما أمركم بذلك ربُّكم جلَّ وعلا،؛ فقال عزَّ من قائل: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيْماً(56)﴾[الأحزاب].

عنوان الخطبة	عيد الفطر
الخطيب	أبو بكر جابر الجزائري
الديوان	الخطب المنبرية
صفحات الديوان	239-235
صفحات المتن	176-174

الخطبة الأولى:

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا، الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام، وكفى بها نعمة، أحمده تعالى وأشكره على آلائه، وأثني عليه بما هو أهله، وأصلي وأسلم على نبيه وخيرته من خلقه محمد صفوة أنبيائه وإمام رسله. وأرتضى عن الآل الأطهار، والصحابة الأخيار.

أما بعد:

عباد الله إن هذا اليوم يوم عيد الفطر المبارك يوم شكر الله تعالى على نعمه الصيام والقيام بعد الهداية إلى الإسلام ومن مظاهر الشكر في هذا اليوم المبارك الإكثار من ذكر الله تعالى، فمن خروج أحدنا من بيته إلى المصلى وهو يذكر الله تعالى بلفظ الله أكبر، الله أكبر، لا اله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، وكذا ساعة جلوسه في المصلى إلى أن تقام الصلاة وهو عائد إلى بيته يذكر الله بما سبق بيانه في صيغة الذكر الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم ويستحب له أن يخالف بين طريق الخروج من المنزل إلى المصلى. وطريق العودة من المصلى إلى المنزل.

ومن مظاهر الشكر صلاة العيد والاغتسال والتطيب ولبس جديد الثياب وإخراج صدقة الفطر قبل الصلاة أو بعدها ولكن قبل الزوال وإلى هذه السنة الإشارة في قوله تعالى: ﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى﴾، فقد أخبر تعالى عن فلاح من تزكى بكل ما يزكي النفس من الإيمان

وصالح الأعمال ومن ذلك أنه أخرج زكاة الفطر وهي صاع من برّ أو تمر أو رز وشعير والصاع –عباد الله– أربعة أمداد والمد الحفنة المعروفة وقوله تعالى: ﴿ وذكر اسم ربه فصلَّى﴾ أي الصلوات الخمس والنوافل وصلاة العيد هذه التي صليناها الآن كما بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله وعمله وتأملوا –عباد الله– قول ربنا في هذه الآية الكريمة: ﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى﴾ إنها يا عباد الله موعظة الله تبارك وتعالى لنا، إذ كشف لنا عما في قلوبنا بقوله: ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا﴾ أي على الآخرة وهذا والله حق فلينظر أحدنا إلى ساعات عمله للدنيا، وساعات عمله للآخرة فإنه يجد نفسه قد آثر الدنيا على الآخرة وهل من الرشد والعقل والحكمة يا عباد الله أن نؤثر الدنيا الفانية على الآخرة الباقية؟

لقد قال الحكماء لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان واجب أن يؤثر خزف يبقى على ذهب يفنى، فكيف والآخرة من ذهب يبقى، والدنيا من خزف يفنى وهذا عبد الله بن مسعود رضي الله قرأ مرة هذه الآية ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى﴾، وأقبل على أصحابه يقول: آثرنا الدنيا على الآخرة لأنا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها وزويت عنا الآخرة أي أبعدت عنا وسترت فلم نرها فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل وقوله تعالى: ﴿والآخرة خير وأبقى﴾ أي والحال أن الدار الآخرة وهي الجنة أفضل وأدوم من الدنيا؛ لأنها –عباد الله– تشتمل على السعادة الأبدية الجسمانية والروحانية، والخالية من كافة الآلام. أما الدنيا زيادة على سرعة فنائها فإنها ملاذها كأضغاث أحلام ومقرونة بالانصرام والآلام.

معاشر المؤمنين عباد الله إن يوم العيد يوم فرح للمؤمنين والمؤمنات بما قدموا من الطاعات والصالحات وما تسابقوا فيه من خيرات فلذا هم اليوم فرحون وسيدوم فرحهم إن داموا على ما كانوا عليه في رمضان وإلا فسوف تكون حالهم كحال من بنى وهدم، وأعطى وندم، والله يقول:﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار وله فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعاف فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت﴾.

وهذا عباد الله مثل من يعمل من الصالحات ثم يعقب عليها بالسيئات لا سيما سيئة الرياء والشرك وكبائر الإثم والفواحش.

فلازموا —عباد الله– ما كنتم تفعلونه في رمضان من الطاعات وترك المعاصي والسيئات وأتبعوا رمضان بصيام ستة من شوال، فإنها كصيام الدهر، لأن الحسنة بعشر أمثالها فشهر رمضان بعشرة أشهر وستة أيام من شوال بشهرين والعام أثنا عشر شهرا فمن واظب على هذا كان كمن يصوم الدهر كله، فيعطى أجر صيام الدهر كله.

معاشر المؤمنين عباد الله الفرح بغير فضل اله ورحمته مذموم قال تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وهو خير مما يجمعون﴾ أي من حطام الدنيا الفاني الذي لا يفرح به عاقل ولا يسأله رشيد وإنما الفرح يكون بما أرشد الله تعالى إليه عباده المؤمنين وهو القرآن وعلومه والإسلام وشرائعه إذ أهل القرآن هم أهل الله وخاصته وهم مع السفرة الكرام البررة والإسلام بإسلام القلب والوجه لله. النهوض بفرائضه وسننه وآدابه مع اجتناب كبائر الذنوب وصغائرها بمثل هذا يكون الفرح عباد الله. واعلموا أن الفرح في هذا اليوم ليس فرحا بالطعام والشراب واللباس، والراحة إنما هو بنعمة التوفيق والعون الإلهي لنا حتَّى صمنا وقمنا وقضينا شهرا ذاكرين شاكرين فاذكروا هذا حتى لا تنغمسوا في بؤرة الملاهي والملاعب وتتركوا ما كنتم تأتون من الذكر والشكر من صلاة الجماعة وقيام الليل وتلاوة القرآن الكريم وغض البصر عن المحارم وكف اللسان عن المآثم، وذكر الله الملازم والدعاء الدائم واذكروا عباد الله ما دعاكم ربّكم إليه ولا تنسوه في قوله:﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾ وذلك بالتوبة النصوح. وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين أي سارعوا بتزكية نفوسكم بالتوبة فإذا زكت النفس وطابت وطهرت تأهلت إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين أي أعدّها الله تعالى للمتقين الذين اتقوا فلم يشركوا به ولم يعصوه فزكت نفوسهم فكانوا أهلا للجنة.

فواصلوا –عباد الله– التوبة من كل ذنب، ولازموا تقوى الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه فبذلك تملكون عهد الله لكم بالجنة دار النعيم المقيم بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم، ونفعني والله وإياكم بما فيه من الآي والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وهو الغفور الرحيم.

[ما بعد الخطبة الأولى]

الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا.

الحمد لله ولي المؤمنين، ومولى الصالحين نحمده على ولايته لنا وتوليه إيانا ما دمنا به وبما أمرنا أن نؤمن به مؤمنين ولحقوقه وحقوق عباده مؤدين. نحمده ونشكره ونثني عليه الخير كله، إنا لمقصرون. ونصلي ونسلم على صفيه ومن أنبيائه وخيرته من خلقه نبينا ونبي الرحمة محمد عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وآله وصحابته صلاة دائمة إلى يوم الدين.

أما بعد:

عباد الله إن هذا اليوم يوم عيدكم تشكرون فيه ربكم، وتصلون أرحامكم وتزورون أحباءكم وإخوانكم وتتبادلون فيه التهاني بالباقيات الصالحات وإني موصى فيه نفسي وإياكم بما أوصى الله به تعالى من قبلنا من أهل الكتاب إذ قال تعالى: ﴿ولقد وصينا الذين أتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾ فوصيتي لي ولكم –أيها المؤمنون– هي ملازمة تقوى الله عز وجل فإن تقواه وهي الخوف منه الذي يحمل العبد على طاعته تعالى وطاعة رسول الله عليه الصلاة والسلام وذلك بفعل الأوامر واجتناب النواهي هذه التقوى هي مفتاح دار السعادة، وهي الحصن الحصين دون أعداء الله من الإنس والجن والشياطين. وهي موجبة للرحمة ومنجية من العذاب وهي الحافظة للنعم والمبعدة من النقم وبها فافرحوا إنه من فضل الله تعالى علينا والله يقول لرسوله: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك

فليفرحوا﴾ واعلموا عباد الله أن للفرح خمسة مواطن فاذكروها حتى لا تَعُدُّو فرحاً في غيرها فرحا بل هو حزن وألم.

الأولى: اليوم الذي ينصرم ولم يرتكب فيه العبد معصية بترك واجب أو بفعل محرم.

الثاني: يوم يخرج من الدنيا وهو مؤمن نقي و**الثالث**: يوم يعطى كتابه بيمينه ويوم اجتيازه الصراط بسلام و**الرابع**: يوم دخول الجنان بسلام و**الخامس**: يوم ينظر إلى الرحمن ويتلقى من الرب تعالى السلام.

هذه عباد الله مواطن الفرح الحق أما الفرح بمتاع الدنيا فهو الحقيقة كرب وحزن ولكن أكثر الناس لا يعلمون وإني داع عباد الله فأمنوا: اللهم إنا قد تولينا صيام شهرنا وقيامه على تقصير وأدينا فيه من حقك قليلا من كثير وقد أنخنا ببابك سائلين، ولفضلك طالبين فلا تردنا خائبين ولا من رحمتك آيسين، فنحن الفقراء إليك والأسارى بين يديك، إليك توجهنا ولمعروفك تعرضنا، ولبابك قرعنا ومن رحمتك سألنا فارحم خضوعنا واجبر قلوبنا، واستر عيوبنا، واغفر ذنوبنا، وأقر في القيامة عيوننا ولا تصرف وجهك الكريم عنا اللهم انصر دينك وكتابك وعبادك المؤمنين بإمامنا وولاة أمورنا. وصل اللهم وسلم وبارك على نبيينا وآله وصحبه أجمعين واغفر للمؤمنين الأحياء والميتين أجمعين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

عنوان الخطبة	الكسوف
الخطيب	أبو بكر جابر الجزائري
الديوان	الخطب المنبرية
صفحات الديوان	232،231
صفحات المتن	178 ،177.

الخطبة الأولى:

الحمد لله العزيز الجبار، الواحد القهار، يكور الليل على النهار، ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى، ألا هو العزيز الغفار، أحمده سبحانه وتعالى وأشكره واثني عليه الخير كله، وأصلي وأسلم على نبيه محمد الذي بعثه رحمة للعالمين، وأرتضي عن آله وصحابته أجمعين.

أما بعد:

عباد الله إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل الدالة على علمه وقدرته ورحمته وحكمته، فهما لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، لكنهما آيتان من آياته يخوف الله تعالى بهما عباده إنَّ نظام الأفلاك الدائرة والكواكب السائرة منْ وضعه؟ إنه الله جل جلاله، وعظم سلطانه إذا رأى استمراره إلى أجله أمره وإذا أراد إيقافه أوقفه، يفعل ما يشاء ويحكم ما يرد، إن نهاية الحياة الدنيا بدايتها زلزال الأرض، وانفطار السماء وانتشار الكواكب فإذا أراد إخافة عباده وإفزاعهم أوجد زلزالاً في الأرض أو كسوفا في الشمس أو خسوفا في القمر لعلهم يخافون فيتوبون فسبحانه من إله عظيم برّ رحيم.

واسمعوا عباد الله كلمات من خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الّتي خطبها يوم كسوف الشمس إنه ما إن كسفت الشمس حتى خرج صلى الله عليه وسلم فزعا يجرّ رداءه حتى أتى المسجد ثم نودي بالصلاة جامعة، ثم صلى ركعتين على هيئة خاصة كالتي صليناها الآن، ثم قام خطيبا فحمد

الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة، فافزعوا إلى المساجد، فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره»، ثم قال: «يا أمة محمد والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده، أو تزني أمته، يا أمة محمد –والله– لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» ثم قال: «ما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه، وأوحي إليّ أنكم تفتنون في قبوركم قريبا أو مثل فتنة الدجال» ثم أمرهم أن يتعوذوا من عذاب وقال صلى الله عليه وسلم: «لقد جيئ بالنار يحطم بعضها بعضا وذلك حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها حتى رأيت فيها عمرو بن لحي يجر أقصابه أي أمعاءه في النار ورأيت صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعا ثم قال وجيء بالجنة وذلك حين رأيتموني تقدمت حتى قمت في مقامي هذا ولقد مددت يدي فأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه، ثم بدا لي أن لا أفعل».

أيها المؤمنون –عباد الله– أسمعتم ما قال نبيكم في خطبته في مثل هذا اليوم يوم الكسوف والخسوف؟ فهل أنتم متعظون؟ أرأيتم غيرة الله جل جلاله إذا زنى عبده أو زنت أمته فهل بعد هذا يفكر المسلم في الزنا؟ أو حتى يخطر بباله؟ أرأيتم كيف قاتلة الهرة بتجويعها محبوسة في النار بذنبها الذي هو قتل هرة ظلما فكيف بمن يقتل البشر؟!

أسمعتم ما أخبر به رسول الله عن النار وأنه رأى فيها الرجل الذي سنّ عبادة الأصنام ونشرها في جزيرة العرب إنه عمرو بن لحي، أرأيتم الجنة وكيف همَّ رسول الله عليه الصلاة والسلام بتناول ثمر منها ولو تناوله وحصل في يده لأكل الناس منه الدهر كله فلا ينفد لأنه غير قابل للنفاد والفناء، كما هي الجنة وأهلها، والنار وأهلها وقد أخبر أنه رأى أكثر أهل النار النساء وسئل عن ذلك فبين السبب لذلك.

ألا فلنتق الله –عباد الله– ، ولنواصل توبتنا حتى نلقى ربّنا غير خزايا ولا نادمين. فالتوبة التوبة –عباد الله– وإنها الرجوع الصادق إلى طاعة الله، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بفعل المأمورات واجتناب المحرمات والمنهيات، فاللهم تب علينا، واقبل توبتنا، واعصمنا من الخطأ والزلل حتى نلقاك طاهرين صالحين ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾ .

عنوان الخطبة	الاستسقاء
الخطيب	أبو بكر جابر الجزائري
الديوان	الخطب المنبرية
صفحات الديوان	233، 234
صفحات المتن	178– 180.

الخطبة الأولى:

الحمد لله غافر الذنب، وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير أحمده سبحانه وتعالى وأشكره، وأصلي وأسلم على نبيه وأرتضي عن آله وصحابته.

أما بعد:

عباد الله فقد انقطع المطر عن ديارنا، وأصابنا قحط وجدب وبلاء وذلك بسبب ذنوبنا، فإنه لا مصيبة إلا بذنب إذ قال تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ إذ لو يؤاخذنا الله بذنوبنا كلها ما أبقى منا أحدا. قال تعالى: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا﴾.

عباد الله لو أردتم الغيث المبارك والمطر النافع حتى يصبح جدبكم خصبا ومحلكم نباتا وزرعا فعليكم بالتوبة والاستغفار، فإن الله عزّ وجلّ يسقي عليهما ويغيث، وهذا نبي الله نوح عليه السلام يذكر لربه عز وجل ما قام به من دعوة قومه إلى الإيمان والتوحيد فيقول: ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا﴾.

ذكر عليه السلام أن الاستغفار سبب نزول الغيث. ومثل نوح هود عليهما السلام إذ قال لقومه: ﴿ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا﴾ فالتوبة والاستغفار هما سبب الغيث، فتوبوا عباد الله واستغفرا تغاثوا وتسقوا. فقولوا: عباد الله إليه. نستغفر الله ونتوب إليه. نستغفر الله ونتوب إليه. نستغفر الله ونتوب إليه. واعلموا عباد الله أن التوبة هي الرجوع إلى الحق بعد

الإعراض عنه فهيا بنا نعقد العزم الصادق على التوبة النصوح. فمن كان يغشى كبيرة من كبائر الذنوب أو كان تاركا لواجب من الواجبات أو كان ظالما لعبد من عباد الله بأخذ حقه أو الاعتداء على عرضه. فمن الآن نتوب معاهدين الله تعالى على أن لا نعود إلى ما كنا نرتكبه من معاصيه ومعاصي رسول اله صلى الله عليه وسلم. ونكرر كلمة التوبة وهي: نستغفر الله ونتوب إليه نستغفر الله ونتوب إليه، نستغفر الله ونتوب إليه.

واعلموا عباد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا استسقى قال: «اللهم اسقنا وأغثنا غيثا مغيثا مريعا غدقا مجللا، عاما طبقا، سحًّا». فقولوا آمين اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين. فقولوا آمين اللهم بالعباد والبلاد والبهائم والخلق من الأواء والجهد والضنك ما لا نشكوه إلا أليك. اللهم أنبت لنا الزرع وأدرّ لنا الضرع واسقنا من بركات السماء وأنبت لنا من بركات الأرض قولوا: آمين آمين آمين. اللهم ارفع عنا الجهد والجوع والعرى، واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه غيرك. فقولوا آمين آمين آمين. اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفارا فأرسل السماء علينا مدرارا، فقولوا آمين آمين آمين اللهم اسق عبادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحيي بلدك الميت قولوا آمين آمين آمين.

أيها المؤمنون إن نبينا صلى الله عليه وسلم وهو أسوتنا الصالحة وقدوتنا الفاضلة كان إذا استسقى يقلب رداءه تفاؤلا على الله تبارك وتعالى أن يقلب حال الشدة إلى حال الرخاء وحال القحط والجدب إلى حال السقي والخصب.

فهيا نأتس برسولنا ونقلب اردیتنا كما فعل نبينا صلى الله عليه وسلم وليدع كل واحد منكم بما هو خير له ولإخوانه المؤمنين، ثم ينصرف وهو مصر على توبته مستغفر ربه، وذاكر لآلائه وإنعامه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

عنوان الخطبة	الدخول المدرسي – الصبر في طلب العلم جهاد ومراقبة الأبناء مسؤولية الأولياء–
الخطيب	عبد الحميد مهدي
الديوان	خطب الجمعة –الأعياد والمناسبات الدينية والوطنية والدولية
صفحات الديوان	299-295
صفحات المتن	181، 182.

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي أنعم علينا كثيرة لا تعد ولا تحصى، ومن بين هذه النعم العظيمة القدرة على العلم والتعلم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن سيدنا وعظيمنا وحبيبنا محمدا رسول الله، بيين أهمية العلم ودوره في الحياة الدنيا والآخرة معا. فيقول: (من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما الإثنين فعليه بالعلم). فاللهم صل وسلم وبارك على النبي الكريم الذي أدى الأمانة وبلغ الرسالة وعلم الأمة. فكان خير معلم وخير ناصح. وعلى آله وأصحابه، وعلى كل الذين تعلموا من سنته ما ينير حياتهم ويبارك أعمارهم ويزكي أعمالهم.

أيها المسلمون الأفاضل / إن أول ما نزل من القرآن على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، هي قول الله عز وجل في سورة العلق: (اقرأ بسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم). فإقرأ فعل أمر. فالله سبحانه وتعالى يأمرنا ويفرض علينا أن نتعلم الكتابة والقراءة. فهل أطعنا أوامر ربنا؟ طبعا لا. لم يطعه المسلمون على الخصوص. لأن نسبة الأمية في العالم الإسلامي كبيرة جدا إلى يومنا هذا. اقرأوا الإحصائيات العالمية تجدون الحقيقة المرة التي تسمعونها. ولقد قسم العلماء فريضة طلب العلم إلى قسمين:

القسم الأول – فرض عين: بمعنى أن من العلوم ما هو واجب وفرض وأن يتعلمه كل فرد بعينه في المجتمع الإسلامي. فإذا قام به الفرد المسلم، ذكرا كان أو أنثى، أثيب على فعله، وجوزي

على جهده، وأجر على عمله. أما إذا فرط فيه وتركه ولم ينشغل به، عاقبه الله على تقصيره في الواجب الذي يحي قلبه، وينير عقله، ويهديه إلى الصراط المستقيم. كعلم العقيدة، وعلم العبادات وعلم المعاملات، وعلم الأخلاق...ولذلك ندعوا ونطالب أن تبقى مادة التربية الإسلامية في جميع مستويلت التعليم، حتى يتعلم أبناؤنا وبناتنا الضروري من الدين، الذي يبني تصورهم، ويشكل ثقافتهم، ويستقيم عليه أمرهم في عاجلهم وآجلهم.

القسم الثاني– فرض كفاية: بمعنى أن هذا العلم إذا قام به البعض كفوا غيرهم. فهو العلم الذي يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه. كعلوم الفيزياء، والطبيعة والحياة، والطب، والرياضيات، والفلك والزراعة، والملاحة والتكنولوجيا بجميع فروعها، والعلوم العسكرية، وغيرها. أما إذا أهمل الجميع هذا العلم حتى يصيبهم الضعف والتخلف في هذه الميادين الأساسية في الحياة. فيأتيهم العدو من هذه الثغرات – كما هو حالنا اليوم– وبضغط عليهم، ويساومهم في مبادئهم، ويملي عليهم شروطه المجحفة، والتعجيزية، والماكرة في معظم الحالات. سئلوا جميعا يوم القيامة، وحوسب كل فرد من أفراد الأمة على تقصيرهم، وعدم اهتمامهم بهذه الجوانب الضرورية في حياة الأمم ورقيها وازدهارها. خاصة وأننا نعلم جميعا أن الآيات القرآنية التي تتناول العبادات قليلة جدا إذا ما قورنت بآيات التي تتناول موضوع الكون والحياة والخلق والرزق والنفس وحركة المجتمعات البشرية. وإن علماء المسلمين بذلوا جهودا كبيرة في القسم الأول من هذه العلوم، وأهملوا القسم الثاني إهمالا شبه تام وكامل في القرون الأخيرة. بينما حدث العكس تماما في الغرب. فتقدموا وتأخرنا وازدهروا وتقهقرنا، وأصبنا بالتخلف والجهل بالحياة، وبآلياتها الموضوعية، فكلما خرجنا من أزمة إلا ودخلنا في أخرى أشد منها. ولم نعدّ القوة اللازمة للحق، حتى يظهر فيعمل على إزهاق الباطل. ألا إننا قد قصرنا في طلب العلم، وفي العمل به أيضا.

فطالب العلم والباحث عن الحقيقة العلمية، في مكتبه أو في مخبره أو في خلوته، وكذلك الأستاذ والمشرف والمعلم، الذين يبذلون جهدهم في تنوير العقل، وتعليم الخير لأبناء الأمة يعتبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة المجاهدين في سبيل الله، فيقول في حديث رواه: الترمذي(من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع). ويقول في حديث البيهقي وابن ماجة: (من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهدين في سبيل الله). وروى الترمذي والدارمي وأبو داود أن رجلا أتى أبا الدرداء رضي الله عنه وهو بدمشق. فقال: يا أبا الدرداء إني

أتيتك من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لحديث بلغني عنك أنك تحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فما جاء بك تجارة؟ قال: لا. قال ولا بغاء لك غيره؟ قال: لا. قال: سمعت رسول اله صلى الله عليه وسلم يقول: (من سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله له به طريقا من طرق الجنة. فإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم. وإن طالب العلم ليستغفر له من السماوات والأرض حتى الحيتان في الماء. وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم. وإن العلماء هم ورثة الأنبياء. وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم فمن أخذ بحظه، أو بحظ وافر). من شدة حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على سيادة العلم، واحترام أهله، يوصي بطلبة العلم، وتكريمهم بين آونة وأخرى بجوائز تشجيعية. فقد أخرج الدارمي أن أبا الدرداء رضي الله عنه كان إذا رأى طلبة العلم. قال: مرحبا بطلبة العلم. ويقول: إن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى بكم. وأخرج الترمذي عن أبي هارون العبدي قال: كنا نأتي أبا سعيد الخدري رضي الله عنه فيقول: مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الناس لكم تبع وإن رجالا يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا).

وإن الذين يتعلمون العلوم المختلفة، ويبحثون بجد وذكاء وتقوى إلى آخر لحظة من حياتهم لإيجاد الحلول النافعة والفاعلة التي تبين قيمة الإسلام، ويرفع من شأن الأمة الإسلامية المنهكة والممزقة، وتساهم في حل مشاكلها وأزماتها، يرفع الرسول صلى الله عليه وسلم مقامهم في الجنة. فيقول في حديث أخرجه الدارمي: (من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحي به الإسلام، فبينه وبين النبيين درجة واحدة في الجنة). ويؤكد الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الأجر وهذا الثواب لطالب العلم، إذا كانت هذه نيته، حقق طموحاته العلمية أو لم يحققها. فيقول في حديث أخرجه الدارمي: (من طلب العلم كان له كفلان من الأجر، فإن لم يدركه كان له كفل). وإني أسأل الله العظيم أن يرزقنا وذريتنا العلم النافع. فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قد استعاذ من علم لا ينفع. فقال في حديث رواه مسلم: (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها. اللهم آمين. وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين. وأشهد أن لا إله إلا اله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله. علم وبين، وبشر وأنذر فهدى للتي هي أقوم. فاللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها المسلمون الأكارم/ إن أبناءنا فلذات أكبادنا، وامتداد لحياتنا، وبقاء لذكرنا بعد وفاتنا نحب لهم الخير والصلاح، ونسهر على تربيتهم على الدين والإسلامي الحنيف، وعلى الخلق الكريم وعلى حب الله ورسوله وحب الوالدين والإحسان إليهما، وحب العلم والعلماء. وقد فتحت المدارس أبوابها، وتوجه إلى رحابها أبناؤنا وبناتنا لطلب المعرفة والاستزادة من العلم وصقل المهارات وإظهار المواهب والكفاءات. وإن صغر سنهم، ومرور الكثير مهم بمرحلة المراهقة يجعلهم في غاية من الحساسية والهشاشة والضعف، وبالتالي يكونون عرضة للتيارات الوافدة التي قد تجرهم إلى الانحرافات المختلفة المتوقعة: من رفاق السوء، وصحبة الجنس الآخر، وتعاطي التدخين، ولربما تناول المخدرات والمسكرات والموهنات، وكلها موجودة في واقعنا المعيش. وعليه فإنني أنصح أولياء التلاميذ بمراعاة ما يلي:

1-مراقبة أبنائكم وبناتكم، ولو بطريقة غير مباشرة. كمراقبة أدواتهم المدرسية، وجيوب ملابسهم فقد تجدون ما يدلكم على بداية انحراف، أو ما يطمئنكم على استقامة سلوكهم. وعليكم بالسؤال عن رفاقهم وأصحابهم. فإن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل). وأن تراقبوا أبناءكم وبناتكم على غياباتهم في المدرسة والثانوية بزيارة الإدارة والأساتذة والسؤال عنهم. وأن تعينوهم على الدراسة بشراء كل الكتب والأدوات المدرسية. وإذا وجدتم خللا ما فعالجوه بذكاء وحكمة ورفق. كأن تفتحوا حوارا مفيدا مع أبنائكم وبناتكم. فإنكم إن أقنعتموهم فسيستجيبون لكم بسرعة، ويعودون إلى الاستقامة من جديد. وإياكم أن تنشغلوا في طلب حطام الدنيا وتنسوا أبناءكم وبناتكم، فيشعرون بهذا الإهمال، وهذه اللامبالاة. فيتصرفون تصرفات غير مسؤولة كرد فعل، أو كانتقام. واعلموا أن ذريتكم هو رأس مالكم الحقيق، ومستقبلكم الباسم القريب والبعيد. فلا تضيعوهم، فتخسروا كل شيء. يقول الله تبارك وتعالى في سورة النجم الآيات 39-41: (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى). ويقول العلماء أن

الأولاد من سعي الإنسان. ويبين الرسول الكريمصلى الله عليه وسلم أن الإبن أو البنت الذي تشرف على تربيته وتكوينه وإعداده إعدادا حسنا للحياة، لا يقل أجرا وثوبا عن صدقة جارية، والعلم الذي ينتفع به. فيقول: (إذا مات ابن آدم انقع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له). فالآباء هم السمؤولون عن ذريتهم من الناحية المادية والمعنوية والروحية. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح: (الرجل راع في أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها. ألا فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته) ويقول فيما رواه النسائي وأبو داود: (كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت).

2-متابعة دراسة أبنائكم، كأن تتابعوا تسلسل دروسهم في كراريسهم، وأن تسألوا أساتذتهم ومعلميهم بين آونة وأخرى عن حالتهم الدراسية، من حيث المشاركة، واهتمامهم بالدراسة، وحسن السلوك، والحضور اليومي. وأن تسألو عن طريقة عملهم، والتركيز والعمق في تفكيرهم، وكيفية معالجة مسائل دراستهم. وأن تعينوهم على المذاكرة والمراجعة في المنزل، وفي أوقات الراحة والعطل. وأن توفروا لهم الجو المناسب لذلك. وأن تشجعوهم على طلب العلم باستعمال أسلوب الترغيب والترهيب، أو الفصل النهائي عن الدراسة. فتندمون حيث لا ينفع الندم.

بل ربوهم على حب العلم واحترام أهله، وأن تكون شهاداتهم العلمية شهادات حقيقة لا شهادات مغشوشة، واي تكون نتيجة بناء علمي صحيح، حيث يستوعبون جميع كفاءات المرحلة الابتدائية، ويستوعبون جميع كفاءات المرحلة المتوسطة، ثم يستوعبون كذلك جميع كفاءات المرحلة الثانوية، فيتأهلون بذلك إلى الدراسات الجامعية، والبحوث العلمية المختلفة، فيصيرون علماء حقيقيين، لا علماء مزيفين، بحيث إذا واجهتهم مشكلة ما أو أزمة ما، استعملوا فيها عقولهم فيجدون لها حلا صحيحا ومناسبا، في أقل وقت وأقل التكاليف، فيكون العلم خيرا وبركة عليهم وعلى أمتهم.

3-ربوا أولادكم على السلوكات الحضارية الراقية، وعلى الأخلاق الفاضلة، والآداب الحسنة كالطاعة للعلم وخدمته والاهتمام بنصائحه. والإحسان إلى زملائهم. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم حديث رواه الترمذي: (ما نحل والد ولدا أفضل من أدب حسن). ولنا في وصية لقمان لابنه وهو يعضه في سورة لقمان النموذج الأحس للإتباع. والله سبحانه وتعالى يأمرنا في القرآن بوقاية

أنفسنا وأولادنا من النار، ومن كل الأعمال التي تقربنا منها. فيقول في سورة التحريم الآية 6:(يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة).

4-الالتجاء إلى الله بالدعاء ليصلح ذريتنا، ويهديها إلى الصراط المستقيم. ولنا القدوة الحسنة في سيدنا إبراهيم حيث يقول الله تبارك وتعالى على لسانهفي سورة الصافات الآية 100: (رب هب لي من الصالحين). وفي سورة البقرة الآية 128: (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم). وفي سورة إبراهيم الآيات 39-41: (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي وربنا وتقبل دعء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب). اللهم إنا نسألك بأحب أسمائك إليك أن تصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما، إنها ساءت مستقرا ومقاما. اللهم أنا نسألك أن توفقنا إلى الحكمة في التصرف مع ذريتنا. اللهم ارزقنا السداد والصواب في تربية أبنائنا. (ربنا هب لنا من أزواجنا وذريتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما). (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين). الهم اصلح أحوالنا وبلغنا بما يرضيك آمالنا واختم بالصالحات أعمالنا وبالسعادة آجالنا وتوفنا وأنت راض عنا. اللهم احشرنا في زمرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، واسقنا من حوضه بيده الشريفة شربة ماء لا نظمأ بعدها حتى تدخلنا الفردوس الأعلى، برحمتك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. اللهم اغفر لنا واغفر لوالدينا وارحمنا وارحم والدينا، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

عنوان الخطبة	العام الجديد – حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا–
الخطيب	عبد الحميد مهدي
الديوان	خطب الجمعة – الأعياد والمناسبات الدينية والوطنية والدولية
صفحات الديوان	394– 398.
صفحات المتن	182– 185.

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره. ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن سيدنا وعظيمنا وحبيبنا وشفيعنا محمدا رسول الله. أدرى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة.فاللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين.

أيها المسلمون الأفاضل/ أوصيكم ونفسي بتقوى الله ألا إن أفضل ما يوصي به المؤمن أخاه المؤمن تقوى اله. فاتقوا اله يا أولي الألباب، ولا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور.

وإنه بمناسبة اقتراب نهاية السنة الحالية، ودخول السنة الجديدة، أذكركم بأصل الإنسان وقصة مجيئه إلى الأرض، ومن هو سبب شقائه وتعاسته هنا وهناك. يقول الله تبارك وتعالى في سورة الأعراف الآيات 11-18: (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين قال فأنظرني لا إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين). وردت هذه القصة في سورة البقرة والأعراف

والحجر والإسراء والكهف وص. والمعنى أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم وصوره في أحسن تقويم، ثم نفخ فيه من روحه، ثم خلق ذريته في ظهره، ثم أسجد له الملائكة الكرام فالسجود كرامة كرم الله بها آدم. فالسجدة لآدم، والطاعة لله رب العالمين. فسجد الملائكو جميعا لآدم إلا إبليس الذي كان حاضرا بينهم، وهو من الجن وليس من الملائكة. قال الله تبارك وتعالى في سورة الكهف الآية 50: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه). ولقدكان حاضرا بين الملائكة لكثرة عبادته وقوة علمه وعلوّ شأنه. لكن شك. لكن رذيلة الحسد جعلته يتكبر فيضيع كل شيء. قال الله تبارك وتعالى في سورة ص الآية 75-76: (قال يا إبليس ما منك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين). فإياكم والحسد أيها المسلمون، فإن الحسد يؤدي إلى التكبر، والتكبر يؤدي إلى الحرص وإلى الأنانية المفرطة، وما يتولد عن ذلك من تجاوز كل الحدود، من البغي والفسوق والمكر السيء. قال الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن عساكر: (إياكم والكبر، فإن إبليس حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم. وإياكم والحرص، فإن آدم حمله الحرص على أن يأكل من الشجرة. وإياكم والحسد فإن إبني آدم إنما قتل أحدهما صاحبه حسدا. فهي أصل كل خطيئة). وقال في حديث رواه أحمد والترمذي: (دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء هي الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر. والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم). قال الله تبارك وتعالى: (فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين). قال إبليس: يا رب إنك لا تظلم مثقال ذرة. ولقد عبدتك سنوات طوال واجتهدت في فعل الخيرات والتقرب إليك بما يرضيك. فلي طلب إليك، مقابل هذا الجهد الذي بذلته. قال الله عز وجل: أطلب فلك ما تريد. فبدل أن يقول: اللهم إني ظلمت نفسي وتجاوزت حدودي فاغفر لي فإني تبت إليك توبة نصوحا. ولكن الحسد مازال يملأ قلبه وروح الانتقام من مخلوق برئ يستولي على عقله ومركز إدراكه فيقول كما ورد في سورة ص الآيات 79-81: (قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم). وعندئذ قال إبليس اللعين كما ورد في سورة الأعراف: (فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين). وكما ورد في سورة الإسراء الآيات 62-64: (قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا

منهم قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤهم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا). وحينئذ فالشيطان يأتي الإنسان من جميع أوجه الحق والباطل. فأما الحق فيبغضه إلينا، ويثقله علينا ويصدنا عنه. وأما الباطل فيزينه لنا، ويحببه إلينا، ويأمرنا به، ويستعين بعصاة الإنس، ويستعمل فصحاءهم وفنانيهم في الإعلام الفاسد بأنواعه المنحوت والمرسوم والمكتوب والمسموع والمرئي ويستعمل الأقوياء منهم لمحاربة أهل الخير وأصحاب الحق، ويشارك الفساق في الأموال فيكتسبونها من الحرام وينفقونها في المعاصي، كما يشاركهم في الأولاد بنشر الفجور والخمور وفن التبرج، فيكثر أبناء الزنا، ويعدهم بالغرور، فتارة يقول لهم: الأرحام تدفع والأرض تبلع ولا شيء بعد ذلك، وتارة يقول لهم: العمر مازال طويل، وإن الله غفور رحيم، وهكذا.

أيها المسلمون الأفاضل/ إن الشيطان ليست له سلطة وقوة على المسلم الملتزم أبدا لأن الله سبحانه وتعالى يقول في سورة الإسراء الآية 65: (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا). والشيطان نفسه يعترف بذلك. فقد ورد في سورة ص الآيات 82-83 ما يلي: (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين). وهو الذي سيقف يوم القيامة يخاطب أتباعه ويقول كما ورد في سورة إبراهيم الآيات 22-23: (وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتموني من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم). اللهم إنا نعوذ بك من إبليس اللعين، ومن الشيطان الرجيم (رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون). اللهم اجعلنا وذريتنا من عبادك المخلصين، وألحقنا بعبادك الصالحين، لا مبدلين ولا مغيرين. آمين. وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى.

أيها المسلمون الأكارم/ لما خلق الله آدم، خلق منه زوجه أمنا حواء، وظهر الموقف العدائي من إبليس. قال الله عز وجل في سورة فاطر الآية 6: (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو

حزبه ليكونوا من أصحاب السعير). وكان أبونا آدم يومئذ لا يعرف كيف يوسوس الشيطان، ولا كيف يكيد، ولا كيف يستعمل الحيل، ولا كيف يحيك المكر السيء. ولذلك تركه الله في الجنة لفترة تربصه يخضع خلالها لأساليب المختلفة التي يستعملها إبليس لغوايته وإخراجه من الجنة. قال الله تبارك وتعالى في سورة الأعراف الآيات 19-23: (ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألأم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين). وقال في سورة طه الآيات 117-120: (فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وإنك لا تظمأ فيها ولا تضحى فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ولك لا يبلى). تأملوا رحمكم الله، كل الأشجار بأنواعها وأشكالها حلال ما عدا شجرة واحدة فقط، حرم الله الأكل من ثمارها، فيحيطها إبليس بهالة من الدعاية الكاذبة المغرية: إنها شجرة الخلد وملك لا يبلى، ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكون ملكين أو تكونا الخالدين. حتى ضعفت عزيمة أبوينا آدم وحواء، فأكلا من هذه الشجرة فنزع الله عنهما لباس الستر وظهرت عوراتهما، حينئذ انتبها من غفلتهما، وأدركا قبح صنعهما. ودار حوار تربوي بينهما وبين خالقهما، انتهى بقولهما معا: (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين). فغفر الله لهما، وحذرهما من مكر عدوهما. فأخرجهم الله جميعا من الجنة. ولن يعودوا إليها إلا بإتباع هدي الله. قال الله تبارك وتعالى في سورة البقرة الآيات 26-29: (فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون).

أيها المسلمون الأكارم/ إننا على أبواب نهاية عام قد مضى، لا ندري ما الله قد صنع فيه. وبداية عام آخر، لا ندري ما الله قد قضى فيه. ولكننا نسأله سبحانه وتعالى أن يجعله عام خير وبركة

وسعادة ونجاح. ومع ذلك فليفكر كل منا في هذه 365يوما التي عشناها. كم من هجوم شنه الشيطان علينا فانتصرنا عليه؟ وكم من مرة حقق انتصارا علينا؟ فنهاية السنة فرصة لمحاسبة أنفسنا. ومن يحاسب نفسه تقل سيئاته، وتتحسن حاله تدريجيا. أنظرو إلى علاقاتكم بآبائكم وأمهاتكم وأبنائكم وأقاربكم وجيرانكم. هل التزمتم فيها بشرع الله؟ أنظروا إلى جانبكم الروحي والذاتي والعائلي والاجتماعي، هل التزمتم فيه بهدي الله؟ هل تقرأون القرآن وتذكرون الله وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر؟ هل ترحمون الأرملة واليتيم؟ هل تتصدقون على الفقراء والمساكين؟ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا. وأنبهكم إخواني إلى خطر النفس الأمارة بالسوء، التي نحملها بين جنبينا، والتي يستغلها الشيطان ليوسوس. إنه يتحين أوقات ضعفها: كأوقات الغضب الشديد، والحزن الشديد، والفرح الشديد/ واتباع الهوى، وإعجاب المرء برأيه، فيوحي لها زخرف القول غروا. والخطر الكبير يكمن في كونه يرانا ولا نراه يقول الله تبارك وتعالى في سورة الأعراف الآية 27: (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون). والعدو الذي لا يرى، مهما كان ضعيفا، فهو خطير. وإياكم أن تغفلوا عن وظيفتكم الأساسية التي هي عبادة الله وعمارة الأرض. فعبادة الله لا تكون إلا بالإخلاص، واتباع هدي النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وعمارة الأرض لا تكون إلا بالعمل الصالح المتقن.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا وأهلينا وأموالنا. اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحت أرجلنا. اللهم إنا نسألك فعل الخيرات وترك النكرات وحب المساكين ونسألك حبك وحب من أحبك وحب كل عمل يقربنا إلى حبك. اللهم اغفر لنا وارحمنا، وإذا أردت بقوم فتنة فتوفنا غير مفتونين ولا فاتنين. اللهم اجعل جمعنا هذا جمعا مرحوما، وتفرقنا تفرقا معصوما. اللهم لا تجعل فينا شقيا ولا محروما. اللهم قوّ إيماننا وزد علمنا ووسع رزقنا، ولا تكلنا إلى أنفسنا ولا أحد من خلقك طرفة عين ولا أقل من ذلك ولا أكثر يا رب العالمين. اللهم إن أعداء الإسلام قد كثروا عددا وعدة ومكرا. اللهم واجعل في أمة محمد من يقف ضدهم ذكاء وتقوى وقوة. اللهم أفرغ على أمة محمد صبرا. اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين. اللهم اغفر لنا واغفر لوالدينا وارحمنا وارحم والدينا وارحم بفضلك جميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات برحمتك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

السور	الآيات	رقم الآية	صفحة البحث
البقرة	وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ .	31	02
	أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ.	44	116
	فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ.	85	127
	إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا	119	126
	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ.	204	153
	أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ	266	174-173
آل عمران	فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ.	20	19
النساء	وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا.	93	146
المائدة	يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ.	67	19
الأنعام	وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ.	19	19
	فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ.	76	56
الأعراف	يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ.	59	88
	يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ.	65	88
	أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ.	62	19
	إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ	24	153

يونس	الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ		
	قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا	89	66
يوسف	قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ() قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ	75-74	69
النحل	مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.	97	127
الإسراء	فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ	33	66
الكهف	أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا.	31	127
طه	يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا.	108	55
النور	الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.	02	127
	وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ.	55	168
الشعراء	وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ.	22	56
	نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ() عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ() بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ.	195-193	04
	وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ.	214	93
النمل	أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ	62	56

		اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ.	
القصص	71	قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ.	143
الأحزاب	24–23	مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا() لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا.	171
	39	الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا	19
	56	إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.	172–171
فاطر	45	وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا.	177
الصافات	182–180	سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ () وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ () وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.	176
فصلت	16	فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا	57
الشورى	30	وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ.	177
	50–49	لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ() أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ.	145
الأحقاف	12	كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ	04
الفتح	13	وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا.	66
الذاريات	56	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ.	03

النجم	وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى () وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجْزَاهُ الجَزَاءَ الأَوْفَى	40–39	180
الرحمن	الرَّحْمَٰنُ() عَلَّمَ الْقُرْآنَ()خَلَقَ الْإِنْسَانَ() عَلَّمَهُ الْبَيَانَ.	4–1	02
	كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ.	26	60
	وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.	27	60
الواقعة	أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ () أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ.	59–58	55
الجمعة	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ () فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	10–9	161
نوح	فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ()يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا.	11–10	177
	وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ()إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا	27–26	24
الجن	لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا .	28	19
النبأ	أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا () وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا.	7–6	91
الأعلى	قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ () وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ () بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا () وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ.	17–14	173
الشمس	وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا() فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا () قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا() وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا.	10–7	64
المسد	تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ () مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ .	2–1	94–93

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

سند الحديث	نص الحديث	رواية الحديث	رقم الحديث	صفحة البحث
عن علي بن عبد الله عن محمد بن حازم عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير عن عبد الله ابن عباس	قال : صعد النبي صلى الله عليه وسلم الصَّفا ثمَّ نادى " يا صباحاه " فاجتمعت الناس إليه بين رجل يجئ إليه وبين رجل يبعث رسوله فقال: يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني لؤي، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟ قالوا : نعم قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.	الصحيحان البخاري ومسلم	339	93
عن محمد بن سعد والوليد بن صالح عن محمد بن عمر الواقدي عن أبي سبرة عن عمر بن عبد الله عم جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم	إنَّ الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت النَّاس جميعا ما كذبتكم ولو غررت النَّاس جميعا ما غررتكم والله الذي لا اله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة وإلى النَّاس كافة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزونَّ بالإحسان إحسانا والسُّوء سوءا وإنها لجنة أبدا أو لنار أبدا.	أنساب الأشراف للبلاذري	50	94
أبو يزيد القراطيسي ثنا أسد بن موسى ثنا فضيل بن مرزوق عن الوليد بن بكير عن عبد الله بن محمد العدوي البصري عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله	ألا أيُّها النَّاس توبوا إلى ربّكم قبل أن تموتوا، وبادروا الأعمال الصَّالحة قبل أن تشغلوا وصلوا الذي بينكم وبين ربِّكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة في السّر والعلانية ترزقوا وتؤجروا وتنصروا واعلموا أنَّ الله –عزَّ وجل– قد افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا، في عامي هذا في شهري هذا إلى يوم القيامة حياتي وبعد موتي فمن تركها وله إمام فلا جمع الله له شمله ولا بارك له ألا ولا صوم له ألا ولا صدقة له ألا ولا برَّ له ألا ولا يؤمُّ أعربي مهاجرا ألا ولا يؤمُّ فاجر مؤمنا إلاَّ أن يقهر سلطان يخاف سيفه أو سوطه.	الأحاديث الطوال للطبراني	28	95-94
عن أبي لبابة بن عبد المنذر	سيِّد الأيام يوم الجمعة وأعظمها عند الله وأعظم من يوم عيد الفطر وعيد الأضحى	راه بن ماجة حسنه الألباني	1048	140

		في صحيح الجامع		
عن أبي هريرة	خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها.	صحيح مسلم	1410	140
عن أبي هريرة	أحب البلاد إلى الله مساجدها	رواه مسلم	671	140
عن أبي هريرة	ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلاّ نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده.	صحيح مسلم	2699	142
عن أبي هريرة	ارض بما قسمه الله لك تكن أغنى النَّاس	رواه الترمذي وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي	2342	153
عن أبي هريرة وحذيفة	أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة	صحيح مسلم	856	158
عن أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة	من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيَّام	صحيح مسلم	857	160
عن أبي صخر عن عمر ابن اسحاق مولى زائدة حدثه عن أبيه عن أبي هريرة	الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر.	صحيح مسلم	376	160
عن الحكم بن ميناء أن عبد الله بن عمر وأبا هريرة حدثاه أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم	لينتهين أقوام من ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثمّ ليكوننّ من الغافلين.	صحيح مسلم	865	160
عن أبي جعد الضمري	من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه أو فهو منافق	الترمذي	500	160

عن أبي هريرة	فيه ساعة لا يوافقها عبد وهو قائم يصلي يسأل الله شيئا إلا أعطاه إيّاه	صحيح البخاري	5295	160-161
عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري عن عبد الله بن عمر	ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصّلاة	صحيح مسلم	853	161
عن يحي بن سعيد عن إسماعيل عن قيس عن أبي مسعود	إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة فافزعوا إلى المساجد فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره	صحيح البخاري	3201	176
عن عبد الله بن مسلمة عن مالك عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها	يا أمة محمد والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته يا أمة محمد —والله– لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا	صحيح البخاري	4923	176
عن ابن هشام عن عروة بن الزبير عن أسماء بنت أبي بكر	ما من شيء توعدون إلا قد رأيته في صلاتي هذه وأوحي إليَّ أنكم تفتنون في قبوركم قريبا أو مثل فتنة الدجال	صحيح البخاري	1307	176
عن سالم بن عبد الله عن أبيه	اللهم اسقنا وأغثنا مغيثا مريعا غدقا مجللا عاما طبقا سحًّا	الشافعي كتاب الاستسقاء	423	177
عن أنس بن مالك	من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع	رواه الترمذي	437	179
عن أبي هريرة	من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهدين في سبيل الله	رواه البيهقي وابن ماجة	742	179

فهرس المصادر والمراجع

فـــهـــرس المـــصـــادر والـمـــراجـــع

- القرآن الكريم، بالرسم العثماني، برواية ورش لقراءة نافع من طريق أبي يعقوب الأزرق، ط4 (1431هـ/210م).

- القرآن الكريم، بالرسم العثماني، برواية حفص عن عاصم، دار الغد الجديد، المنصورة، القاهرة، ط1 (د ت).

المصادر :

1- أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي، العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، ج4، (1404هـ/1983م).

2- أرسطو طاليس، الخطابة، تح: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان، (د ط)، (1979م).

3- الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر، ط7،ج1 (1998م).

4- ابن الجزري حافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، النشر في القراءات العشر، صححه وراجعه: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، ج1.

5- جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي، تفسير الجلالين، إشراف وتدقيق جميل الرحمن عبد السلام (د ط)، (د ت).

6- ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة، القاهرة، مصر (د ط)، (د ت)، ج1.

7- الداني أبي عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي، التحديد في الإتقان والتجويد، تح: غانم قدوري الحمد دار عمّار، عمان، الأردن، ط1، (1421هـ/ 2000م).

8- الزمخشري أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3 (1430هـ/2009م).

9- السَّعدي عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلاّ اللّويحق، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، (1437هـ/2016م).

10- ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (1982م).

11- السيِّد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د ط)، (د ت).

12- ابن سينا علي الحسين بن عبد الله، رسالة أسباب حدوث الحروف، تح: محمد حسَّان الطيَّان ويحي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، (د ط)، (د ت).

13- صفي الدين الحلبي، ديوان صفي الدين الحلبي، دار صادر، بيروت، (د ط)، (د ت).

14- أبو عمرو زبّان بن العلاء بن عمّار البصري، كتاب الإدغام الكبير، تح: أنس بن محمد حسن مهره دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).

15- عنتر بن شداد العبسي، ديوان عنترة، مطبعة الآداب لصاحبها أمين الخوري، بيروت، ط4 (1893م).

16- أبي الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي الدمشقي، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، تح: ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط5 (1420هـ/1999م).

17- عبد القاهر الجرجاني أبي بكر عبد الرحمن بن محمد النحوي، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د ط)، (د ت).

18- قدامة بن جعفر، نقد النثر، حققه وعلق على حواشيه: طه حسين بك، وعبد الحميد العبادي مطبعة الأمير مولاق، القاهرة، (د ط)، (1941م).

19- القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن ، التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط1، (1904م).

20- معلوف لويس، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، ط19، (د ت).

21- مكي أبي محمد بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح: أحمد حسن فرحات، دار عمَّار، عمان، ط3، (1417هـ/1996م).

22- ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي دار المعارف، القاهرة، (د ط)، (د ت)، المجلد السادس.

23-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الغد الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 (1435هـ/2014م).

المراجع

24- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة، مصر، (د ط)، (د ت).

25- أحمد المتوكل، التركيبات الوظيفية قضايا ومقاربات، مكتبة دار الأمان، الرباط، ط1 (1426هـ/2005م).

26- أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الرباط، ط1، (2010م).

27- أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، مطبعة الكرامة، دار الأمان الرباط، ط1، (2006م).

28- أحمد كشك، من وظائف الصوت اللغوي –محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، (2002م).

29- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، (د ط)، (1418هـ/1997م).

30- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مطبعة عالم الكتب، القاهرة، ط5، (1998م).

31- إسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارة الخطيب بحوث في إعداد الخطيب الداعية، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط5، (1437هـ/2016م).

32- أيوب عبد الرحمن، أصوات العربية، مطبعة الكيلاني، القاهرة، ط2، (1968م).

33- أبو بكر جابر الجزائري، الخطب المنبرية، الناشر مكتبة العلوم والحكم، توزيع دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط4، (1425هـ/2005م).

34- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، (د ط) (1994م).

35- عبد الجليل الشعرواي، الحجاج في الخطابة النبوية، عالم الكتب الحديث، إربد للنشر والتوزيع الأردن ط1، (2012م).

36- عبد الجليل عبده شبلي، الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، ط1 (1401هـ/1981م).

37- عبد الجواد محمد طبق، دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، (1413هـ/1993م).

38- حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، (1435هـ/2014م).

39- حسن محمد الرفاعي، ديوان خلاصة الأدب في كفاية الخطباء من الخطب، دار الكتب المصرية المطبعة الرحمانية، بالخرنفش، مصر، (د ط)، (1354هـ/1935م).

40- عبد الحميد زاهيد، نبر الكلمة وقواعده في اللغة العربية –دراسة صوتية، دار وليلي للطباعة والنشر الرباط، ط1، (1999م).

41- عبد الحميد مهدي، خطب الجمعة- الأعياد والمناسبات الدينية والوطنية والعالمية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، (د ط)، (2008م).

42- خليل ابراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، (د ط) (1983م).

43- خليل حلمي، الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية (د ط)، (1996م).

44- خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، (2006م).

45- ديزيره سقال، الصرف وعلم الأصوات، دار الصداقة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1 (1996م).

46- ديل كارينجي، فن الخطابة فن اكتساب الثقة، الوسام للخدمات المطبعية، عمان، ط1 (2001م).

47- عبد الرحمن أحمد البويربي، اللغة العربية أصل اللغات، دار الحسن للنشر والتوزيع، عمان، الأردن (د ط)، (1419هـ/1998م).

48- عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، السفر الأول مكتبة إمام الدعوة العلمية، مكة المكرمة، ط1، (1423هـ/2002).

49- عبد الرحمن طه، التواصل والحجاج، منشورات جامعة الإسكندرية، ط1، (2001م).

50- رشيد عبد الرحمن العبيدي، معجم الصوتيات، مكتبة الدكتور مروان العطية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، جمهورية العراق، ط1، (1428هـ/2008م).

51- أبو زهرة محمد، الخطابة، مطبعة العلوم، مصر، ط1، (1353هـ/1934م).

52- أبو السعود أحمد الفحلاني، البحث اللغوي عند إخوان الصفا، مطبعة الأمانة، مصر، ط1 (1411هـ/1991م).

53- سعود بن ابراهيم بن محمد الشريم، الشامل من فقه الخطيب والخطبة، دار الوطن للنشر، الرياض المملكة العربية السعودية، ط1، (1423هـ/2003م).

54- سمير أبو حمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية، منشورات عويدات، بيروت، ط1، (1991م).

55- سناء حميد البياتي، التنغيم في القرآن الكريم دراسة صوتية، جامعة بغداد، مركز إحياء التراث العلمي العربي، (د ط)، (2007م).

56- السيد شفيع، الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ط)، (1986م).

57- سيِّد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط17، (1425هـ/2004م).

58- طارق محمد السويدان، فن الإلقاء الرائع، شركة الإبداع الفكري، الكويت، ط3، (ديسمبر 2004م/ 1425هـ).

59- الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية –مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، (1428هـ/2007م).

60- الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، ط3، (1992م).

61- عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع إسكندرية، (د ط)، (1996م).

62- عدنان عبد السلام الأسعد، الإعجاز البلاغي في سورة المفصل دراسة تحليلية لأسرار المعاني والبيان والبديع، دار عيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، (1434هـ/2013م).

63- عفيف دمشقية، الانفعالية والإبلاغية في بعض أقاصيص مخائيل نعيمة، دار الفرابي، بيروت، (د ط) (د ت).

64- علي جارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار المعارف، باتفاق خاص مع الناشر ما كميلان وشركاه بلندن، (د ط)، (د ت).

65- علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار النصر للطباعة الإسلامية، مصر، (د ط) (1984م).

66- العوفي عيسى سعد وعبد الرحمن علوي، القاموس العربي الأول لمصطلحات علوم التفكير، دار ديبونو، الأردن، ط1، (2010م).

67- عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشاة وتطورا، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2 (1414هـ/1993م).

68- فضل حسن عبّاس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط4 (1417هـ/1997م).

69- عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظرية التواصل رومان ياكبسون نموذجا، دار الحوار للنشر والتوزيع سورية، ط1، (2003م).

70- عبد القادر عبد الجليل، الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي، دار صفاء للنشر والتوزيع، سلسلة الدراسات اللغوية، عمان، الأردن، ط1، (1417هـ/1997م).

71-كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، (2000م).

72- محمد ابراهيم شادي، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، الشركة الإسلامية للإنتاج والتوزيع والإعلان الرسالة، الدقي، ط1، (1409هـ/1988م)

73- محمد أبو زهرة، الخطابة-أصولها- تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، دار الفكر العربي القاهرة (د ط)، (1934م).

74- محمد أحمد معبد، الملخص المفيد في علم التجويد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة (د ط)، (1997م).

75- محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغة والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، (1994م).

76- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية منتديات الأزبكية، بيروت، لبنان، ط2، (2002م).

77- محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن، ط1 (1996م).

78- محمد حسن شرشر، البناء الصوتي في البيان القرآني، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط1 (1408هـ/1988م).

79- محمد صادق القمحاوي، البرهان في تجويد القرآن، دار الفا للنشر والتوزيع، مكتبة الرائد العربي، ط1 (1433هـ/2012م).

80- محمد صالح الشنطي، من التحرير العربي ضوابطه وأنماطه، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل المملكة العربية السعودية، ط7، (1427هـ/2002م).

81- محمد عابد الجابري، التواصل نظريات وتطبيقات، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، منتدى مكتبة الإسكندرية، بيروت، ط1، (2010م).

82- محمد عزام، المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، دار الشروق العربي، حلب، سورية، (د ط) (د ت).

83- محمد علي الخولي، معجم علم الأصوات، مطابع الفرزدق التجارية، ط1، (1402هـ/1982م).

84- محمود ابراهيم شادي، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، الشركة الإسلامية للإنتاج والتوزيع والإعلان (الرسالة)، الدقي، ط1، (1409هـ/1988م).

85- محمود السَّعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت (د ط)، (د ت).

86- مناف مهدي محمد الموسي، علم الأصوات اللغوي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، (د ط) (1998م).

87- منال أبو الحسن، الصوتيات علم وفن تدريب وممارسة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1 (2014م).

88- نادية رمضان النجار، علم اللغة والأصوات بين القدماء والمحدثين، دار أم القرى، الإسكندرية (د ط)، (2008م)، ج1.

89- نعيم أنطوان وحيد، فن الخطابة والإلقاء، دار الكتاب العربي، لبنان، (د ط)، (2010م).

90- هادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الوطنية بنغازي ليبيا، ط1، (مارس 2004م).

91- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1 (1427هـ/2007م).

92- هاري ميلز، سيكولوجيا جديدة للتأثير في الإقناع –كيف تسترعي انتباه الآخرين وتغير آراءهم وتؤثر عليهم، مكتبة جرير، الرياض، ط1، (2001م).

93- هامل شيخ، التواصل اللغوي في الخطاب الإعلامي من البنية إلى الأفق التداولي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، (2016م).

الكتب المترجمة:

94- أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق (د ط)، (1991م).

الدوريات

95- إبراهيم خليل، صوتيات ابن سينا، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 32، ع.3 (2005م).

96- أبو أوس إبراهيم الشمسان، الإدغام مفهومه وأنواعه وأحكامه، مجلة جامعة الإمام، ع25، (محرم 1420هـ).

97- باديس لهويمل، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع7، (2011م).

98- جنان محمد مهدي، الإيقاع الصّوتي الايحائي في سياق النّص القرآني، مجلة كلية التربية للبنات المجلد21، ع4، (2016م).

99- دفة بلقاسم، نماذج من الإعجاز الصّوتي في القرآن الكريم- دراسة دلالية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، (جوان 2009م)، جامعة بسكرة.

100- سامي عوض، التشكيل المقطعي (مفهومه وعلاقته بالنبر اللغوي)، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد31، ع.2، (2009م).

101- عمر عبد الهادي عتيق، الأسلوبية الصوتية في الفواصل القرآنية، مجلة المنارة، مجلد16، ع.3 جامعة آل البيت.

102- عمر علي محمد الدليمي وظافر عكيدي فتحي العاني، موانع الإمالة، مجلة الأستاذ، ع.203 (1433هـ/2012م).

103- بن فريحة الجيلالي، الوظيفة التواصلية للغة في التراث العربي، كتابات معاصرة فنون وعلوم، مجلة الإبداع والعلوم الإنسان، ع.78، المجلد 20، (تشرين الأول-تشرين الثاني 2010م).

104- عبد القادر فضيل، منهجية بناء الخطاب المسجدي، مجلة رسالة المسجد، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ع02، (رجب1424هـ/سبتمبر2003م).

105- مصطفى حسين مزعل، علم الأصوات عند الكندي في رسالة (اللثغة) و(استخراج المعمى) مجلة كلية التربية الأساسية، ع.66، (2010م).

الوثائق:

106- الدليل الوطني لخطب الجمعة نور المنبر وزاد الخطيب، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، مديرية التوجيه الديني والتعليم القرآني، الجزائر، (د ط)، (2017م).

الرسائل العلمية:

107- عبد الكريم حاقة، إبلاغية الخطاب القرآني من منظور لسانيات النص –دراسة في سورة البقرة رسالة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، (2016/2015م).

108- منى السر إسماعيل الباقر، أثر التغيرات الصوتية في تحولات الصيغ الصرفية –دراسة وصفية تحليلية في ضوء علم اللغة الحديث من خلال الربع الأخير من القرآن رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية السودان، (1433هـ/2012م).

109- نادر عبد الرحمن محمد الوقفي، الإبلاغية في الشاهد البلاغي دراسة وتحليل، رسالة دكتوراه جامعة مؤته، الأردن، (2007م).

مواقع الكترونية:

110-
http://www.adab.com/literature/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=8367
0&r=&rc=0

111-https://www.youtube.com/watch?v=tUJrwJXQCKE.موقع قناة الشيخ كشك

112- https://www.youtube.com/watch?v=6Y2ylj14NFw-المغرب –رشيد نافع خطيب بالرباط)

113-https://www.youtube.com/watch?v=5ReJqKbHW7U(عبد الله نهاري)

114-https://www.youtube.com/watch?v=nYklVUF3Zgc.(شوقي أبو حرم)

115 -https://ar.wikipedia.org/wiki/عبد_الحميد_كشك

فهرس الموضوعات

فـــهـــــرس المـــوضـــــوعات

- شكر وعرفان.....
- إهداء.....
- مقدمة.....(أ،ز)

المدخل: اللغة والوظيفة الإبلاغية

- توطئة.....02

1- اللغة والاستعمال.....09

2- الوظيفة الماهية والتعريف.....11

2-1 وظائف اللغة.....12

3- الإبلاغية الماهية والتعريف.....18

4- قضايا لغوية متواشجة مع الإبلاغية.....20

الفصل الأوَّل: الصَّوت اللّغوي ودلالته الوظيفية

- توطئة.....30

1- تعريف الصَّوت.....30

1-1 تعريف الصَّوت اللغوي وماهيّته.....32

1-2 التمييز بين الصَّوت والحرف.....33

2- المراحل التي يمر بها الصَّوت اللغوي.....34

3- علم الأصوات (فوناتيك) وفروعه.....35

4- علم وظائف الأصوات(الفونولوجيا).....41

4-1 المقطع الصَّوتي.....45

4-2 النبر (Stress).....49

4-3 التنغيم.....52

4-4 الوقف والابتداء.....59
4-5 الإدغام.....65
4-6 التباين.....67
5- الفونولوجيا ومستويات اللغة.....68
6- اختلاف اللهجات العربية والنظام الصَّوتي.....71
7- عيوب النطق والتغيرات الفونيمية.....75

الفصل الثاني: الخطاب والخطابة

- توطئة.....81
1- مفهوم الخطاب..... 82
1-1 أنماط الخطاب.....83
2- الخطابة التعريف والماهية.....84
2-1 تاريخ الخطابة.....89
2-1-1 الخطابة في العصر الجاهلي.....90
2-1-2 الخطابة في صدر الإسلام.....94
2-1-3 عادات العرب في الخطابة.....98
2-1-4 الخطابة في العصر الحديث.....100
3- تصنيف الخطابة.....102
4- علم الخطابة.....104
4-1 مقومات علم الخطابة.....106
4-1-1 مكونات الخطبة وأسلوبها.....106
4-1-2 شروط الخطابة.....113
4-1-3 موضوع الخطابة.....114
4-1-4 شروط الخطيب.....115

5- آداب الخطيب مع السَّامعين.....118
6- قواعد الإلقاء الجيِّد.....119
7- أهداف الخطابة ومراميها.....121

الفصل الثالث: الإبلاغية في الخطب المسجدية

- توطئة.....127
1- الخطاب المسجدي والهيئة الوصية.....130
1-1 توجيهات الدليل الوطني للخطيب.....130
2- مدُّ الصَّوت وتكرار المقاطع ودلالته الإبلاغية.....140
3- الوقفة الاضطرارية لغاية إبلاغية..... 143
4- التلعثم والإخلال بالوظيفة الإبلاغية.....144
5- كفاءة الخطيب اللغوية والإلقائية ودورها في الإبلاغية.....145
6- نبر الجمل –دلالة التنغيم وإبلاغيته.....149
7- توظيف الشواهد ودورها في التأثير والإقناع.....153
8- الفواصل الصَّوتية ودلالتها الإبلاغية.....156
9- استمالة الحاضرين بحسن التدرج في العرض.....159
10- حسن الافتتاح ودلالته الإبلاغية.....163
11- أهمية الاختيار الصائب لموضوع الخطبة.....166
12- التشويق في العرض ووظيفته الإبلاغية..... 170
13- خطب المناسبات.....173
- خاتمة.....187
- ملحق الخطب المسجدية.....191
- فهرس الآيات القرآنية.....240
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.....245
- المصادر والمراجع.....249
- فهرس الموضوعات.....261

ملخّص:

تؤدي اللّغةُ أدواراً مهمّةً؛ كالتَّواصل، وتبادل الأفكار والمعلومات، والتَّسجيل والتَّوثيق وحفظ تراث الأمَّة وتاريخها، وتبادل الأحاسيس والمشاعر والتَّعبير عنها وغير ذلك، فاللّغة بهذا ليست أداة أو وسيلة للتخاطب والتَّواصل فحسب، وإنَّما هي وسيلة للتّأثير في العالم وتغيير السلوك الإنساني، من هنا تظهر الإبلاغية كواحدة من الوظائف الّتي تؤدّيها اللّغة؛ حيث تبحث في جميع سبل التأثير والإقناع على المتلقي المستمع/القارئ، فهي –الإبلاغية–اتجاه يتناول أساليب التعبير الفني لتحقيق أكبر قدر من التأثير والإقناع؛ وذلك بتفجير الطاقات الكامنة في اللّغة؛ من خلال الابتعاد بها عن مستوياتها في الإفهام والإيصال؛ فالإبلاغ لا يقتصر على مجرد نقل الأخبار والمعلومات ولكنَّه يحمل عناصر تتجه إلى العقل وأخرى تتّجه إلى الوجدان من أجل حمل المخاطَب على تبنّي مضمون الرسالة الإبلاغية والعمل بها.

أظْهرُ وأوضح مجال تواصلي للوظيفة الإبلاغية يكون في الخطابة بصفة عامة، وفي الخطاب المسجدي بصفة خاصة، نظرا لحضور جميع عناصر العملية التواصلية، فيبرز الأداء اللّغوي المتمثل في الصّوت اللّغوي، وما يجب أن يتحلّى به الخطيب من نبرات صوتية تحمل دلالات ومقاصد تمكّن الخطيب من استمالة الحضور وتغيير أفكارهم وتوجهاتهم، من هنا جاء عنوان بحثنا الَّذي وسمناه بـ: **الوظيفة الإبلاغية لدلالة الصَّوت اللّغوي في الخطاب المسجدي**، وذلك للبحث عن أجوبة لإشكال رئيسي هو: **ما مدى أهميّة الصّوت اللّغوي في أداء الوظيفة الإبلاغية في الخطابات المسجدية؟** يتفرع عن هذا الإشكال عدَّة تساؤلات منها: ما المقصود بالإبلاغية؟ هل يمكن عدُّها وظيفة قائمة بذاتها؟ ما هي القيّم التعبيريّة الّتي يحملها الصّوت اللّغوي وتؤدّي وظيفة إبلاغية؟ بمَ تقاس فاعلية الخطاب المسجدي؟

الكلمات المفتاحية: الصَّوت اللغوي، الخطاب، الإبلاغية، التأثير، الإقناع.

Résumé:

La langue joue un rôle important tels que : la communication, les échanges d'idées et des informations, l'enregistrement, la documentation, la préservation du patrimoine et de l'histoire de la nation, l'échange de sentiments et d'émotions et les exprimer, etc. Cette langue n'est pas seulement un outil ou un moyen de communication, mais aussi un moyen d'influencer le monde et de modifier le comportement humain. C'est l'une des fonctions du langage qui consiste à examiner tous les moyens d'influencer et de persuader l'auditeur / le lecteur.. La transmission de nouvelles informations, qui incluent des éléments dirigeants vers l'esprit et d'autres au service de la conscience, pour influencer le destinataire et le faire fonctionner.

La zone de communication la plus claire pour la fonction de rapportage apparaît dans un discours public et dans le discours de la mosquée en particulier, en raison de la présence de tous les éléments du processus de communication, qui met en évidence les performances linguistiques représentées dans la voix linguistique et ce qui devrait être disponible pour le prédicateur. Nos recherches, porte sur la : fonction du reportage et l'importance de la voix linguistique dans le discours de la mosquée, afin de trouver des réponses à un problème majeur qui est quelle est l'importance de la voix linguistique dans la mise en œuvre de la fonction de signalement dans les lettres de mosquée? Cette question a plusieurs questions: Qu'est-ce que l'information? Une fonction séparée peut-elle être calculée? Quelles sont les valeurs expressives véhiculées par la voix linguistique et par les médias? Quelles sont les conditions d'efficacité du discours de mosquée?

Mots-clés: voix ,langage, Informatif, influence, persuasion.

Abstract :

Language plays an important role: communication, exchange of ideas, informations recording, documentation, preservation of the heritage and history of nations, exchange of feelings expression of emotions, etc. This language is not only a tool or a mean of communication, but also a mean of influencing the world and changing human behavior. This is one of the functions of language which consists in examining all the means of influencing and persuading the listener / reader. The transmission of news and informations, but includes elements directed to the spirit and others in the service of consciousness, to influence the recipient and to make it work.

The clearest communication area for the reporting function appears in a public discourse, and in the mosque speech in particular, because of the presence of all the elements of the communication process, which highlights the linguistic performances represented. in the linguistic voice and what should be available to the preacher. Our research, which we call: the reporting function and the importance of the linguistic voice in the mosque discourse, in order to find answers to a major problem: how important is the linguistic voice in the implementation of the function of reporting in mosque letters? This question has several branches : What is information? Can a separate function be calculated? What are the expressive values conveyed by the linguistic voice and the media? What are the conditions of effectiveness of the mosque discourse?

Keywords: language, speech, reporting, influence, persuasion.